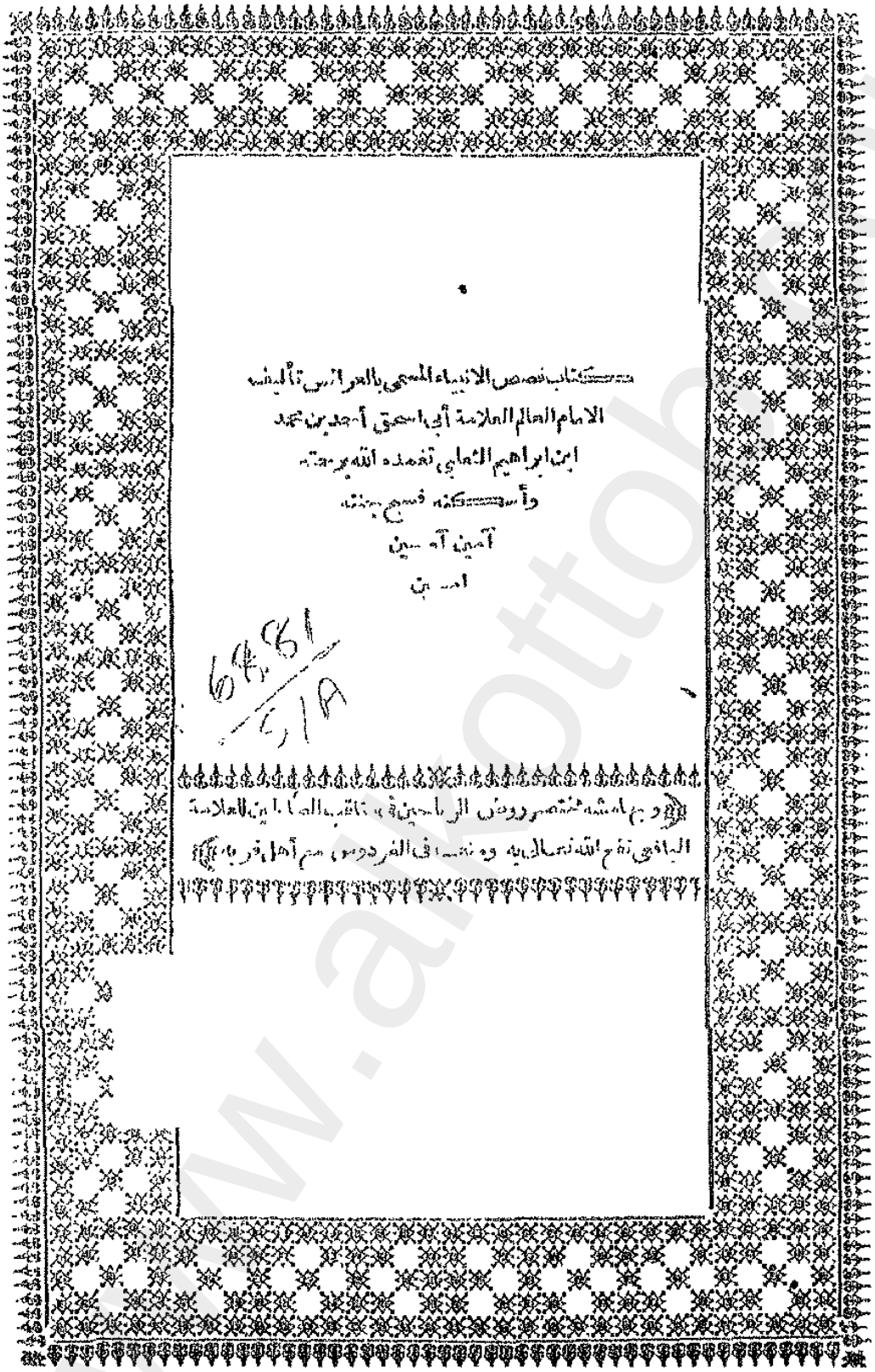

كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس تأليف
الامام العالم العلامة أبي اسحق أحمد بن محمد
ابن ابراهيم الثعلبي تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين آمين
امين

64.61
C18

وهو مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين للعلامة
اليافعي تغمد الله تعالى به وجعله في الفردوس مع أهل قربه

www.alkottob.com

(فهرست كتاب قصص الانبياء المسمى بمرآة المجالس)

صحيفة	
٢	باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
٣	مجلس في صفة خلق الارض
٣	الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها
٤	الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها
٥	الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض
٦	الباب الرابع في ذكر أجبالها وأنهارها
٦	الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض
٦	الباب السادس في عاقبتها وما آلت اليه حالها وآخر مآلها
٧	الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
٧	مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل بها
٧	الباب الاول في بدء خلق السموات
٨	الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
٨	الباب الثالث في هيئتها وحدودها
٨	الباب الرابع في أجبالها وأنهارها
٩	الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
٩	الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
١١	الباب السابع في ذكر ما آلت اليه أمرها وآخر مآلها
	مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وما يتصل بأمرهما وأحوالهما
١٥	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
١٥	الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة في خلق آدم عليه السلام
١٦	الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
١٧	الباب الثالث في صفة نفخ الروح
١٨	الباب الرابع في صفة خلق حواء
١٨	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام
٢٠	(فصل وابتليت حواء الخ)

صحيفة	
٢١	الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٥	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة
٢٥	الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيمن تراءى له ابليس الخ
٢٦	الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل
٢٨	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٢٩	باب في انفاسه التي خصه الله بها آدم عليه السلام
٢٩	مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام
٣٠	قصة هاروت وماروت
٣٢	مجلس في قصة نوح عليه السلام
٣٦	ذكر خصائص نوح عليه السلام
٣٦	مجلس في قصة هود عليه السلام
٤٠	مجلس في قصة صالح عليه السلام
٤٣	مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود
٤٣	الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام
٤٥	الباب الثاني في تزويج ابراهيم عليه السلام من السرية الخ
٤٧	الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام
٥٠	الباب الرابع في الثواء على بقية قصة ابراهيم
٥١	الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وما يتعلق بأمرها ووقتها
٥٤	الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده وفي هلاك النمرود بن كنعان
٥٨	الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وأولاده
٥٨	الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام
٥٩	الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام
٦٠	مجلس في ذكر بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام

www.alkottob.com

صحيفة	
٦١	مجلس في قصة لوط عليه السلام
٦٤	مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وأخوته عليهم السلام
٦٤	الباب الاول في ذكر نسبه عليه السلام
٦٥	الباب الثاني في صفة يوسف عليه السلام
٦٦	وحليته ونعته وخلقه وصفته وسيرته
٦٦	القول في القصة
٨٥	مجلس في قصة موسى بن عمران بن يوسف عليه السلام
٨٥	مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد
٨٨	مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس
٩١	مجلس في قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام
٩٧	مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
٩٨	مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام
٩٩	مجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام
٩٩	الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام
٩٩	الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام
١٠٢	الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام
١٠٣	الباب الرابع في قصة قتل القبطي وخروجه من مصر ورورده مدين
١٠٣	الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه
١٠٤	الباب السادس في ذكر نعت معاش موسى وبدو أمرها
١٠٥	الباب السابع في صفة الدار والرحبة التي كانت فيها لموسى
١٠٥	الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين الخ
١٠٨	الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
١٠٩	الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة
١١١	الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته

صحيفة	
١١١	الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
١١٢	الباب الثالث عشر في بناء الصرح
١١٣	الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه
١١٣	باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
١١٤	فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد
١١٦	الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل
١١٧	فصل قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر الخ
١١٩	الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه
١٢١	فصل في نسخة العشر كلمات التي كتب الله تعالى لموسى نبيه
١٢٣	باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل
١٢٦	باب في قصة قارون حين بغى على موسى واستكبر
١٢٩	باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب
١٣٠	فصل في ذكر رجل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
١٣٠	فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام
١٣٦	باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة
١٣٨	باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك
١٣٩	باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك
١٤٠	فصل في فضل الشام وأهله
١٤٠	ذكر قصة بلعام بن باعوراء

www.alkottob.com

صفحة	
١٤٢	باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم إياهم إلى أرض كنعان ليرتادوا له ولقومه
١٤٢	فصل في ذكر رجل من أخبارهم وهو يوشع بن نون وأحواله
١٤٤	باب في ذكر النعمة التي أتم الله بها على بني إسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع بها ذكرهم الهلال كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام
١٤٥	باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام
١٤٥	قصة وفاة هرون عليه السلام
١٤٦	ذكر وفاة موسى عليه السلام
١٤٨	جامع في ذكر الأنبياء والمسلمين الذين قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
١٤٨	ذكر حبر حزقيل عليه السلام
١٤٩	باب في قصة إلياس عليه السلام
١٥٢	قصة اليسع عليه السلام
١٥٤	جامع في قصة ذي الكفل عليه السلام
١٥٥	جامع في قصة إسماعيل ذكر يا وهو إسمويل بالعبرانية وقصة التابوت وتسميته بالقبة وبالوند بالحبر
١٥٥	فصل في سياق آية ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى
١٥٥	القول في بدء أمر إسمويل وقصة وحيه من الله على لسان جبريل عليه السلام
١٥٧	ذكر قصة الملك طالوت وإيتاء التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
١٥٧	قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
١٥٩	باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت ملخ بني إسرائيل وصفتهم والابتلاء
١٦٠	باب في ذكر أمر داود عليه السلام وشيء من جالوت وصفة قتله
١٦١	ذكر بقية قصة طالوت وما كان من أمر داود عليه السلام بعد قتل جالوت

صفحة	
١٦٢	جامع في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
١٦٣	باب في ذكر نسبه عليه السلام
١٦٣	باب في ذكر صفته وحليته
١٦٣	باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه النبوة والملك
١٦٥	باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك
١٦٩	باب في ذكر خروج ابنه داود على أبيه وما كان من أمرهما
١٧٠	باب في قصة أصحاب السبت
١٧١	باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث
١٧١	باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان على بيت المقدس وما كان من أمر الدابة
١٧٢	باب في ذكر وفاة داود عليه السلام
١٧٢	جامع في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به
١٧٣	باب في قصة ولادة سليمان عليه السلام
١٧٣	باب في ما سخر الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام من ملكه من أنواع المنافع والمرافق وغير ذلك
١٧٩	جامع القول
١٨٠	قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر فيها بالهواء
١٨٠	صفة كرسي سليمان عليه السلام
١٨١	قصة بلقيس بنت الشرح وخبر أمرها
١٨٢	باب في قصة تباشير ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به
١٨٥	صفة القصر الذي بنته بلقيس
١٩٠	باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا فروة جزيرة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يد سليمان والملكة
١٩٣	باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام
١٩٤	جامع في قصة بخت نصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير
١٩٤	قصة شعياء عليه السلام

www.alkottob.com

صحيفة	
١٩٧	قصة أرميا عليه السلام
٢٠٠	قصة دانيال عليه السلام
٢٠١	خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٠٣	باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
٢٠٥	باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه
٢٠٥	مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا بن يوخيا وخراب حضور
٢٠٦	مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
٢٠٧	باب في ذكر بعض ما روي من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
٢٠٨	مجلس في قصة بلوقيا
٢١٣	مجلس في قصة ذي القرنين عليه السلام
٢١٣	باب في نسبه ولقبه عليه السلام
٢١٣	باب في ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه
٢١٤	باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا الخ
٢١٦	باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به
٢١٧	باب في دخول ذي القرنين الظلمات وما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة
٢٢٠	مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
٢٢٠	باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها
٢٢٢	باب في ذكر مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام
٢٢٢	باب في صفته وحليته عليه السلام
٢٢٣	فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
٢٢٤	باب في مقتل يحيى عليه السلام
٢٢٥	ذكر مقتل زكريا عليه السلام

صحيفة	
٢٢٥	مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم به وما يتصل بذلك
٢٢٧	باب في ذكر ميلاده عليه السلام
٢٢٨	باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت سليم
٢٢٩	باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر
٢٢٩	باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام
٢٢٩	باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه
٢٣١	باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس
٢٣١	باب في قصة الحواريين عليهم السلام
٢٣٢	ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه
٢٣٤	ذكر حديث جامع في هذا الباب
٢٣٥	نزول المائدة
٢٣٨	ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه سبعة أيام
٢٣٨	ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام
١٣٨	ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان
١٣٩	باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية
٢٤٠	قصة يونس بن متى عليه السلام
٢٤٣	باب في قصة أصحاب الكهف
٢٥٣	مجلس في ذكر حبيس عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة شمسون النبي عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة أصحاب الاخدود
٢٦٠	باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد) لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذي خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده * وهداه الى طريق الايمان * وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن * وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان * وأولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان * أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم بأكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتشت من شراب قربه القلوب والابدان ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار وألبسهم من حلل رضائه ألوان * فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقي وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان * وأتوب اليه وأستغفره استغفار اوجب الغفران * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له

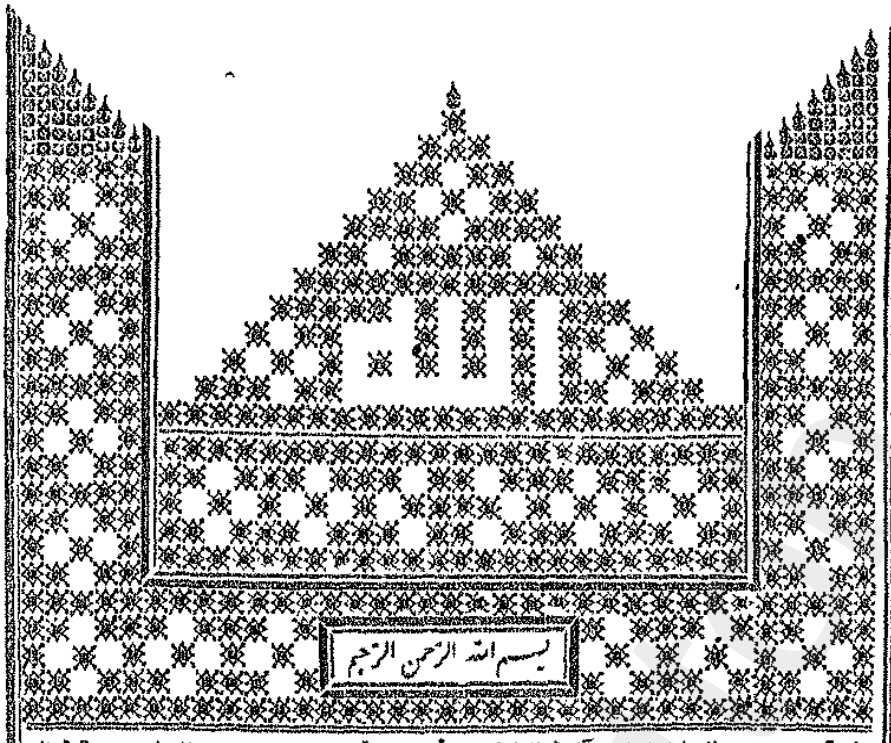

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكور في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

* (باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين) *

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة أمور أي حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزا له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتتسلى أمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بتخالفها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فعلم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما ابتلي الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال

بعض المتأولين فى تفسيره قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما فرض الله تعالى هذه القصص على نبيه ورأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله سبحانه وتعالى أمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام الليل بنهاره وصلاته بقيامه ولا يفتر عن عبادته به أداه الشكر حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتقر عليه السلام فقال بعشت بالحنيفية السمحة

(والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتنبيها لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وقرابتهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع تعذيرهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحو هذا من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العالم بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين اسباغا لذكرهم وآثارهم ليكون الحسن منهم فى ابقائه ذكره سببا لله تعالى لجعل جزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحيى وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا ليقال انها لفلان بن فلان وأنشدنا ناصر بن عبد الله الرازى قال أنشدنى الزبيدى

وانما الرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى

(فصل فى صفة خلق الارض)

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية وتظاهرت الآيات كثيرة فى القرآن *(واعلم)* ان لكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول فى بدء خلق الارض ودحيها)

روى الواقدى بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فصار دخانا ثم ارتفع منه بخار ودخان وبخار وأزبد من خشية الله فمن ذلك اليوم يزبد الى يوم القيامة ثم خلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فسماها الله الارض من تحتها فذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبع أرضين فذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضع قدميه على ما تحت الارض السفلى يليها فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى عرف قدرها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأهبط الله بأقوته فحضراه من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعهما بين سنام الثور والى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقر من ذلك الثور فخار بجهد أطباق الارض وهى كالسكة تحت العرش ومخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة فنضر اها غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله الآية *وروى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى لها نونا وهو الحوت العظيم اسمه لويتا وكنيته بهموت وتبعهموت فوضع الصخرة على

الرحيم الرحمن * واشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من الانس والجان اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) * فهذه فوائد يسهل الله عليه فنقلت من كتاب روض الرياحين فى حكايات الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم فى الدارين فيذكرهم تنزل الرحمات * وفضل البركات وقسم أوردت فيها من أخبار السادات * وبدائع المعادات * وجعلت أهل السعادات * بروايات * درجات ليزول عن معانيها الهم والفكر * ويلوح بسامها لما سن تلك السير * سميتها بنزهة الابدان والاشباح فى الاخبار والاثار وهذا أوان الشروع فى ذلك ونسأل الله تعالى أن ينظمنا باولياء الله وان يشركنا فى زمرة أهل ولايته * (نبذ مما جمعه شمس الدين محمد بن سليمان ذى النون المصرى رضى الله عنه) * قال ركب البحر مرة فركب معى شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه ألف دينار فتش كل من

ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وتمثل الدنيا وما عليها معرفان من كتاب الله تعالى قال لها البارى كونى فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وذلك قال بعض حكماء الشعراء

لاتخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو فضتها اليتهم من ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فمج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فقربت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه ليشار اليها وتنظر اليها وهم شئ من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم يعنى لكى لا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض مجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعصونك على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء منضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كاكهار هو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرنى ما هذه الجبال التى حولك فقال هى عروق فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروق فتزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر دونه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما يوصف منها قال ان وراء أرضا المسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدى الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم فى الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعنى لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى فى حدود الارض ومساقتها وأطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأدواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كأصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب لبلنهارهم ونهارهم لبلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الى راسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل

كان فى المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتى جلس فى البحر فقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يا مولاى ان هؤلاء ما خوفونى وانى أقسم عليك يا حبيب قلبى ان تأمر كل دابة من هذا البحر ان تخرج رأسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رؤسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة تلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر فى الموج وصاح شيئا ولم نتبين فحواه وهو يقول ايالك نعبد وايالك نستعين حتى غاب عن بصرى قال ذو النون فعلمنى ذلك على السياحة وتذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال فى أمتى ثلاثون رجلا فلو بهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحدا

(وحكى عن سيدى ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه) أنه قال طالبنى نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج الى البلاد الوخيمة فسوفت نفسى

العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو
عبد الله محمد بن يونس المقرئ قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن
حفص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أريد الحج اذ دفعت الى
الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في
بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهلي وخالستك اذ خالفتك
لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني ومن حبل من اتصل اذا انقطع حبلك مني واذ نبذ باءراغوثاه بالله قال منصور
فأبكاني والله فوضعت في على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله
الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعته شهق شهقة
اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت بعيرا على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان
أصلحت وبحنوط قد دخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا البيت الذي فقالت البشني يا عبد الله
لا تعد د علي أحزاني فقلت اني أريد هذا الوجه الكريم لعلك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعنا
أهل العراق فالت يا منصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل الرسول الله صلى الله عليه وسلم
يكتسب بما يكتسب فجعل ثلاثا لله تعالى وثلاثا للمساكين وثلاثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا
كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب
حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى * وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة
الخائفين فقلت انفسي ان هذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم
سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم أن في سهم وادبا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى
فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال لي زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بالقلم الغدر وهو في عيد من أعياد مدينة
عالية فطرفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل
الله بك فقال أتاني ثواب أعمالي بأبرز لي فقال لهم قال لا نعم فتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت به فيقال الله
الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كأمثال البغال لها أذناب كأمثال الرماح لكل ذنب منها ثلاثمائة
وستون مقارا في كل مقار ثلاثمائة وستون قمقما من السم كل قمقم منها ثلاثمائة وستون قلة من سم لو وضع منه قلة
من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسده كل شيء وذرها أيضا أهل النار
كأمثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالنخلة العالية في أصل كل ناب ثمانية عشر
ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بنابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود ترابا
وانهم الثاني الكافر فيسمى فتطرس فاصلا * والارض السادسة دار دار بن أهل النار وأعمالهم وأزواجهم وأتباعهم
واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده
وفيها عشة في أحد جانبيه سموم في الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة عتاة لبن وهم ابيته راياته
وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أضلهم فتنة لبني آدم * وروى سهل بن سهيل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال
الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء النار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غدا
جعلها الله حيث يشاء وأما بحور الارض فكانفجار عين حمئة خسف الله به الارض وبداره
وبأمواله ففي انفجاره يخسف به كل يوم مقدار قامة لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام
بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة

* (الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض) *

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال أبو اسحق قال شبل بيدي أبو بكر
محمد بن أحمد القطان قال شبل بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبل بيدي ابراهيم بن يحيى قال شبل بيدي

تلفت الى ذلك فرجعت
انظر في دياهم وأجول
أطلالهم والعناية
تكفني والرعاية تحفني
لا ألوي نصرانيا الا غض
بصره عني وتباعد مني
الى أن أتيت مدينة من
المدائن فرأيت على
بابها رجالا لابسين
السلاح وبايديهم آلات
الكفاح فلما رأوني أقبلوا
الي وقالوا أطبيب أنت
قلت نعم فقالوا أجب
الملك فمضيت اليه فلما
رآني قال أنت الطبيب
قلت نعم فقال الملك
ا ه علوها بالرماح وعروه
بالشر قبل الشؤول
بأيها قال ابراهيم
فاحسبوني وقالوا ان
للملك ابنة قد أصابها
اضلال شديد وأعيا
الاطباء علاجها وما من
طبيب ندعه يعالجها
ويداويها ولم نر الا قتله
الملك فانظر الى نفسك
قبل الشؤول اليها قال
ابراهيم فقلت لا بل
ولا فوة الا بالله العلي
العظيم فرفقت الملك
بي فأخذوني وصعدوا
بي أنهيا فلما وصلت الى
باب القصر اذا هي تنادي
من داخل الباب ادخلوا
بالطبيب فسلي وله سر
بجيب فبينما أنا كذلك
اذا شيخ كبير قد فتح

صفوان بن سليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شبك بيدي عبد الله بن أبي رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

*قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أدعما والثانية بسيطا والثالثة تقيلا والرابعة بطحا والخامسة متشاقة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى *(وأما أسماؤها المذكورة في القرآن) * فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أم من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات * ويحكى أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متعلب يدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف متين في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة تثقيله وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وخاصمته أبوها أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

*وسئل يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد واحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم *(وروى) * يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أما الشمس فعلي والقمر فاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بأنواع الحيوانات والنباتات والجمادات *(الباب السادس في عاقبتها وما * لها وآخرها)*

*(اعلم) * ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بأنواع الفرش وبستر موضوع ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا وأردت أن أسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فامسكت عن السلام فنادت من داخل الستر أن سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق ياشواص قال فتعجبت من اجابتها بجميع الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة الباروحة أن يرسل الي وليا من أوليائه يكون على يديه اخلاص فتوديت سيحضر عندك ابراهيم الشواص قال ابراهيم فقلت لها مستي خطر فكيف لي هذا الامر فقالت منذ أربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا تعالى رقوني بالعيون ورموني بالجنون فما دخل على طبيب الا أوحشني ولا زائر الا أدهشني قال ابراهيم فقلت لها وما الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل

وفى الخبر يؤتى بارض بيضاء من فضة كانها سبيكة النقى لم يعص عليها وارى لم يعص عليها طرفة عين ولا وسم فيها ولا اثم مستوية كالصاب المهند * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا جار ولاة الحكم احتبس القطر واذا منعوا الصدقة واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة فهلكوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فانتفض بصعادته منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم ربطتم وات الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يفرق عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعنى لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تتخلى وتلقى ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بعلبة ذراعيه ويقول يا خامد يا دماه أين أنتما ومتى

(الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن)

وهى سبعة أولها مكة نفسها قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصادق أمثالكم فى التصغير وقال تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(مجلس فى ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام فى هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لنقول وبالله نستعين كادت الاشياء ان تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين واياته الملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول فى بدء خلق السموات)

(روى) فى الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة

قال ابراهيم شيخا أزرق اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرفه العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلنى بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ الملك وأخبره فقال لها فصيرها تردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذى أخذك الىّ وساقك الىّ هو الذى يخرجنى معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شئ قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشئ كن فيكون فهو الذى يوفقنا وهدانا ما رأيت أسرع منها الى الصيام والقيام وربما صلت حتى الفجر الغمام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت نحبها وخلفتنى بيم وهذا بيان الحلى نورها رحمة الله تعالى علينا ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة آمين *(وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه)* أنه قال خرجت من بلدى

مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر الى الماء فقال هيه فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلى وارتفع وعلاه زبد وخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى فصدع فتقها بعد ان كانت لبقة واحدة فسيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما *(الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها)*

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث فى هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخلق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تتعطم به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع فى أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه أولها سماء الدنيا وهى بناء والثانية بيضاء والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طفطافة والسادسة عيماق والسابعة عماقائل وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان * وروى ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما طوعا لما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى * وقد ورد من النعمان بن مراهم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن عرفة قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كاون الحديد المجلى واسمها رقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو فيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واسمها يدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له سمسيئيل نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كاون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله تعالى

على فانتهى الى سماء الدنيا فنظر الماء فرأى هيئة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلى وارتفع وعلاه زبد وخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى فصدع فتقها بعد ان كانت لبقة واحدة فسيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما *(الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها)*

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث فى هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخلق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تتعطم به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع فى أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه أولها سماء الدنيا وهى بناء والثانية بيضاء والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طفطافة والسادسة عيماق والسابعة عماقائل وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان * وروى ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما طوعا لما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى * وقد ورد من النعمان بن مراهم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن عرفة قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كاون الحديد المجلى واسمها رقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو فيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واسمها يدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له سمسيئيل نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كاون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله تعالى

www.alkottob.com

وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها ماون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة تذكرة لك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها إلى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو قال وهم صيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملائكة منهم في أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي إلى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها لون الذهب واسمها الأحقوق ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الأرض سبع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها بيت الله الأعظم الأكبر المكرر بيون لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعلى كل سماء ثمانية آلاف ملك على كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد ما في البر والبحر وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين وخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا مسيرة خمسمائة عام وما بين الله وبين الملائكة وهم رؤساء الملائكة رهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الثمانية لهم وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا وأعينهم أمثال المصابيح ينظرون إلى العرش لا يطرفون لو أن الثمانية منهم نشروا جناحه لطبق النهار بضيئه من بياضه ولا يسع عددهم إلا الله تعالى ومن فوق ذلك سبعة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة إلى الكرسي سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك في بحر لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق في يوم الجمعة ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في أول ساعة الآجال وفي الثانية الأرزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما بين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الأول قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى وسراجا وهاجا يعني الشمس والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وأكثر ما يكون الضوء في السماء الدنيا لأنها أقرب السماء إلى الأرض وهي على ميزان منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ومنها ما هي أكثر تسبيحا في الليل وهي ثلاثمائة وستون ألف ملك ما خلق الله تعالى شيئا إلا وكل به ملكا يقال له رقيب وفي بعض الأخبار ما تكون من سموات في الأرض ولا أدنى تدبير دون العرش الأول في خلق الكواكب بسمائها يدير العرش قال الله تعالى ووسع كرسيه السموات والأرض وروي عن ابن عباس عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال ابن عباس تأويل قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير السريع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ولا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى سوقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام فطرله ناظر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الأجنحة القوة

في اتباع النبي ﷺ

إلى الله واعتمدت عليه
بكر اعتمادك أنه أن
لا يقدر منك فكان
ما رأيت وقد أقول كما
تقول أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن سيدنا
محمدا رسول الله وقال
إبراهيم فصرحت بذلك
فرحا شديدا وسرنا بمني
فنحا ملكة شرفها الله
تعالى فلما فضينا ما كان
علينا من فرائض الحج
أقمنا بها أياما قلائل
فلما كان بعض الأيام
فقدته فذهبت إلى الحرم
فوجدته قائما يصلي
فلما أحس بي أسرع
في صلاته فلما سلم من
الصلاة التفت إلي وقال
يا إبراهيم قد آن لقاء الله
تعالى فاحفظنا واسبق
مرافقتي إلى وجهي
وعلي ثم شهق شهقة
فمات رحمه الله فقال
إبراهيم فأسندت رأسه
أضلاعه وبطنه بجهزه
وحده فلما كان الليل
رأيت في المنام كأني في
أحسن سورة وعلي
ثياب من السندس
والإستبرق فقلت له
ألست صاحبي بالأمس
قال نعم تفرقنا بالله
فرحا شديدا ثم قلت له
ما فعل الله بك قال
يا إبراهيم أتيته بذنوب
كثيرة فعفا عني بحسن
ظني به وبعفوه كما حدثت
في الحديث المأثور في الأخبار

وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينقطع في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم * وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض * وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان * وروي اسمعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الباجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت نقر اعن الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخر لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فاهبي قال لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابه نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده منموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكاتب ما خط في اللوح
فالنفس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش الها منتهى علم

ونفعنا به * وروي أن غلاما كان لجعفر الصادق رضي الله عنه صب الماء على يديه يوما من الايام فسقط الاناء من يده في الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاي والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظي فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالي وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم *

* وحكي عن بعضهم رضي الله عنه ونفعنا به قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي وسيآتي فرجحت سيآتي على حسناتي فصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم سلمت الصرة فاذا فيها

الخلائق كل ورقة منها قبالة أمة من الامم يغشاها ملائكة كثيرهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم وأما الجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة من لا يموت ومنهم لا يأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم الى صعرات تجأرون الى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآنوالها)

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسعة أشياء أحدها النور قال الله تعالى يوم تور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني كدردي الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانطواء قال الله تعالى واذا السماء طويت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه له مذهب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفتهما وما بدأ من هما ومعادهما)

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في ربيع سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال أخبرني أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عيسى يحيى بن أبي مريم الخراساني قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من أمر الاحبار يذكرون الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاستوى ثم قال وما هو قال يزعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال فكبر ابن عباس حتى ظننا ان السماء ستقع وقعت أنت عليها ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هما مخلوقان يسبحان الله تعالى أفترى أن الله تعالى عذب خلقا خلقه ليكون وقودا لنار جهنم وهو يقول وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ويحك أفترى أن الله تعالى عذب الشمس والقمر وهما يسبحان الله تعالى ويحبانه ويطيعانه أفترى أن الله تعالى يعذب عبدين من عبيده المسلمين الله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ حصيات من الارض فجعل يتلققهن في الارض ويقول كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه وتعوذ بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبمثلتهما وبصير أمرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما اتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يمحوهما فانه خلقهما مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسهما ويحولهما فانه خلقهما دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان في بدء الاسلام يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المديونون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنار لعباده وأرحمهم بهم فأرسل جبريل عليه السلام

أفتيته في فصم فتنفر الله لي بذلك وأدخلني الجنة فانظر الى كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده *(وحكي عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه)* ان ملكا بنى دارا وأحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا والله لا نعلم أحدا من الدخول حتى جاء أناس في آخر الناس فلما طلعوا من درجات قالوا الوا بئسما صنعتم تلقاهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا لهم رأينا عيبين اثنين قال فبئسوهم ورجعوا الملك فأخبره بما قال فقال ما أعرفه بالعيب ولا لغة له الا ما أعلمه أنت أو من يعيب داري فكيف أدخل أقواما يعيبون داري ثم قال اخرجوهم فاطعموهم بين يديه فلما طعموا قال لهم الملك هل رأيتم في داري ما تعيبون فقالوا نعم رأينا فيها الموت فقال الملك فاني هيأت لكم دار الا تخرب ولا تموت ساكنها فقالوا نعم فقال الملك فاني هيأت لكم دار الجنة ونعيمها وشوقوهم اليها وذكروا لهم النار وخشونهم منها

www.alkottob.com

فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل الملعاوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من شعاع نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة وكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا فكل تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في أقطار الارض وكنفي السماء ثمانين ومائتي عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائتي عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء هو رغاليها كالقدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا شرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها هنا وأولها هناك وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يستقر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخنس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة تحتها ماء ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمهم من أوليائه وأهل طاعته

(قال) ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابي أنت وأمي يا رسول الله ذكرت تجري الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فالخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة المريخ وهو المشتري وعطارد وزحل وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة له تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تتبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة بيانها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودوانهم اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء موريعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله أن يبتلي القمر والشمس ويري العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس من العجلة وقال مرة تحرك الشمس عن العجلة فتقع في ثمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليستخوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة ثم منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنهي عن كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاي ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لا يكادان يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من ثمر ماء ذلك البحر وهو

قعالى فاجابهم الى ذلك
وخرج من ملكه هاربا
تائبا الى الله تعالى يسأله
تعالى التوبة والمغفرة
*(وحكى عن بعضهم
رضي الله تعالى عنه)*
ونفعنا به قال كان لي
أخ في الله تعالى وكان
من الاولياء وكان رجلا
جميلا حسن الخلق
طيب الحيا وكان له
زوجة من أهل الخير
والصلاح وكانت على
قدمه فكانا يشتغلان
في صنعة المراوح
والاطباق فكنت أوده
وأزوره وألتمس منه
الدعاء فكنت كلما
دخلت بيته وجدت عنده
ريشا من ريش الطيور
العالية مثل العنقاء
والنسر والعقاب
والطاوس على سائر
الجنوس العجيبة يشتغل
بذلك الريش صنعة
المراوح فكنت أتعجب
من ذلك فقلت له يا أخي
من يأتيك بهذا الريش
مع قلة تردد الجبال
والاودية فقال يا أخي
ان الله سبحانه وتعالى
سخر لي ملكا من
الملائكة يأتيني بذلك
في كل جمعة لاجل المؤونة
على القوت فلما كان
في بعض الايام فقدته
فمضيت اليه في بعض
الاسواق التي كان
يبيع فيها المراوح فسلم
أجله فمضيت الى داره

وزوجتموها لشيخ بالباب

وجوههما من ذلك الماء فاذا أنتوجوهها كأنها البدر فسجدت الملائكة كلها فاحتملاها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنبلج الفجر حتى يحمدوا الله تعالى على ما فوا هم لذلك ويتطلعون بعرى العجلة حتى يعبروها باذن الله تعالى في ذلك البحر حتى اذا بلغوا باب المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أقفى السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم بحبتي من خلق الله وما بين من القدرة فهم لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الاخر مسيرة فرسخ فاهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية بوقيشا وبالعبرانية بابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيساو بالعبرانية جابرساه وتحت كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في احراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع ومن تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منشلمنذ وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاما برا وأتابوا فهم اخيار الناس في الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو من المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس رفعهم الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن في أن تؤمر بالطلوع من مغربها أمن مطلعها وتكسى نورا وان كان الثور فنورا على نور ساعات الليل والنهار ثم يطوقهم الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل دربات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتحدر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى سماء الدنيا سبحن بتغيير اللون وعن الصبح فاذا انبعثت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام سنة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من حين الرجعين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فبعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار سعة الليالي في السنة خلقها الله تعالى يوم ثنى رفي فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين وكلوا بالليل فيقبض بعضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أسابيط قلبلا قليلا وهو يرى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل تلك الظلمة جميعا ثم ينشر بجناحيه فيملأ ما بين أقطار الارض وكنفي السماء ويجار وانما سماه الله تعالى بالليل لانه يجلس فيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أمر الصبح من المشرق فضرب ناصيته ثم ضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكفه ويعدو بقبضته التي تناولها من الحجاب بالمشرق ثم رفعها عند المغرب على البحر السابع فمن هذا الليل اذا انشق ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا انفلق في الصور وانتشرت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ان تضاهيا الى السماء السابعة فتحبس فيها تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض وينكر المعروف ولا يأمر به أحد ولا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما حبست واستأذنت ربها من أن تطلع فسلا يؤذن لها ولا يرد لها جوابا حتى توافي القمر فيحبسهما ويستأذن من أن يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لها جوابا حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول ثلاث الليالي الا المتهجدون في الارض وهم يوشك عامة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد

فقلت لها فلان أخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو نائب أم ضيف فقالت يا سيدي انه مقيم الا انه مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها اني أحب منه أن أراه فانتبهت فاذا بي قد نمت وعدت الى وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته في بيت مبني له العبادة وعليه أنوار السعادة فلما رآني قام الي واعتنقني وسلم علي سلام المحبين وجلسنا وتحدثنا ساعة فبينما نحن في الحديث اذا بمائدة قد وضعت بين أيدينا فيها من جميع الالوان فأكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بطشت من ماء مدوضع بين أيدينا فتمضمضنا فقلت في نفسي ان ذلك الطعام ولا أعمل من ذلك الماء فعرفت أن ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب اقامته عندنا فقال لي نسيبه فتبسم وقال يا أخي وفقني لي حكايته عليه فقلت وما هي فقال تزوجت يوما البيع المراوح على عاتقي فمضيت الى أسواق بغداد فلم يقع على بصري شيء ولم يكن عندي شيء من القوت فغربت وعضني

المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فبينما أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نعوما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويتعالمه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو قمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواسلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغاربكما فقد أمنتما عامتكم لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجميع ملائكة الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمع أهل السبع سموات ومن دونهما وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيكون جميع بكائهما لما علموا من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى منادي ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما سودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرينين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتمارى أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفها بإذن الله جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنيهما ويردهما الى المغرب فلا يفرهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يمر بهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا وجبت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيمر بهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسفان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يعلمون على الدنيا ويعمرون فيها الاثمار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نفخ الرجل منهم فيها مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن مطلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة حدثنا يا رسول الله فداءك أبي وأمي فكيف بهم عند النفخ في الصور فقال يا حذيفة والذي نفسي بيده ليفظعن في الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيسقي ماشيته ولتقومن

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل لعله الدنيا فليحرر اه

www.alkottob.com

الساعة وقد أخذ بلقمتين تقتها فلا يشربه ولا تقوم الساعة والثوب بين الرجلين فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولا يبيعانه والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة النار وقبل أن يدخلوها يريهما الله تعالى بالشمس والقمر فيهما جميعا أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفزاعتهما أشد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا سجدا تحت العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وسرعتنا لامضى في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ابانا قد علمت انا لا ندعو هم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما اني قد قضيت على نفسي أن أديني وأعبد اني معبدكما الى ما بدأتكما منه فأول ما خلقكما منه فيقولان ربنا ما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا اليه فيتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيخالطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد قال عكرمة فقصصت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بخبر ابن عباس وما وجدنا من حديثه وما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار اني حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين فخبر البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى أستغفر الله من ذلك نصح أني لم أتقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب أن أثبت ثبتني بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأعطاه صك الحديث فاذا فيه حدثني ابن عباس عن أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثني به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله ما زاد أحد أنا على عليه ابن عباس الحديث ولا استقربه في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فما زاد ذلك في ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال العلماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود بالظاهر بكمال علمه وقدرته وباهر أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تأتي الا من قادر حكيم وليعبد فانه نصب عبادة العابدين دليلا على قدرته على اعمالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين والله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لاهل الجنة من فوائد هم ليوم القيامة وليتفضل عليهم فيجعل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والحسين بن مجاهد أي للرحمة خلقهم وليحمد ولانه يحب الحمد (وروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى اني أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن الفتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلق الجنة للرحمة قال الله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر وليجزيكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم (عن) قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه

أن أتوسل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالبكاء فقلت وأرث مدتين الى باب مغلق يتوسل منه الى أعلاه ثم تحتوفالت امض ولا تلتفت معي فصعدت مسرعا الى أعلاه وانظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدي لا تؤاخذني عليك أمري الموت ولا معصيتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فألقيت نفسي الى الارض فأرسل الله تعالى الي ملكا من الملائكة فاستقبلني على جناحه فلم أشعر بنفسي الا وأنا على باب الجنة فحمدت الله تعالى على ذلك وأنه أجرى على يدي فرج عني فصرت أذكر الله تعالى ثم علمت أن الله لا أخرجني من بيت أموت فيه فهأنا أنتظر عندها ما هو أتى هذا الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فأرجو أن يفرج عني ما بقي من الحال حتى ما مر بي من الله تعالى ونعمائه

(ومن) من الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه السلام

منهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون (وقال) علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو (وقال) الاوزاعي بلغني ان في السماء ملكا ينادي كل يوم الا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبت عني أبي ولا أحصيت علي عملي ولا أدري الى اي الدارين منقلبي لقد أودعتني وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتني (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حلف فقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت ما مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح سامحه الله أعلم

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث الله جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل قبضت منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ان تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا النار فتصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سهلها وحزنها وطينها وحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم عذبها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ثم يخمرها فجعلها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي طيب الارض وهوائها ونورها الخالق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة المربين المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم وعركت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم سقيت بأنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار انطبق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فتطاير منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم تركها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذي اذا ضربته بيدك صلصل أي صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا يتقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة ان الله تعالى خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم ووجهه من تراب الكعبة

صدره وظهره من بيت المقدس ونفذيه من أرض اليمن وساير من أرض مصر وقدميه من أرض الجاز زيد
ليمنى من أرض المشرق ويا ما البسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكان ماسا على سمه لأمن الملائكة
نبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر
انخلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل في فمه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا
خلق أجوف لا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضلت هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نسمع ونطيع ربنا فقال
ليس في نفسي والله لئن فضل هذا علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون
ما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى
استكبر وكان من الكافرين * (وفي) * الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة بمكة
يمطر السرور عليه السرور ويسقيه الحسد فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح
والراحة * وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرباني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم تحيات ويوم مكاره
وما صدروا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائه

وأنشدني ابن الاعرابي فقال

من الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء يكون أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور تتوزن رتا * والبلايا تكال بالقفزان

* (الباب الثالث في صفة نفخ الروح) *

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح كيف تدخل بعيد
وهو مظلم المدخل فقال للروح ثانية فعالجته فأبى ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال في الرابعة ادخلي كرها أو طوعا
رها فلما أمرها الله تعالى بالدخول فيه تأول ما تنفخ فيه الروح دخل من حلقه حتى استقرت في صدره ثم
م ثم نزلت في عينيه * وانما فعلت ذلك أن الله تعالى أراد أن يري آدم ما خلق وأراد أن يعلمه حتى اذا
كرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في منخريه فعطس فحين فرغت من عطاسه نزلت الروح الى
ولسانه فالهمه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال
يرحمك ربك يا آدم الم تخلقك قال تعالى بيده حتى تعيش ثم نزلت الروح الى صدره وثار اليه دما فجعل
تيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح
يجوفها اشتهى الطعام فهو أول موضع دخل بعد آدم عليه السلام * (وفي) * بعض الاخبار
م عليه السلام لما قال له ربه جل ثناؤه آدم مد يديك وضعهما على أم رأسك وقال أوه فقال الله تعالى يا آدم فقال
أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة تنزل بين فصارت تلك العطسة في أولاده فمن أصابه أحد هم
سية أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وصار ثم
ساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما وقف الذنب على هذا الجلد وتقشعت عنه بقية
أنا أعلمه ايتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كان الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه
سلام وكان النسر ياتي الحوت في البحر فيخبره عما في البر ويخبره الحوت عما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم
يه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليتراءى من وكرى
بحر بجنبك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح فرطه وثقه موصوعه
نطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثنايا ثوبه كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله
يه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سماواتي

عيق كاتم سم البدو
فصارنا عليه ودقناه
والصرفنا مصر اعليه
فلما قربت عجز بعض
البغداد ثم سأل عن
ذلك العرب فأرشدت
اليه فلما دخلت العرب
نظرت فاذا بصبيان
يلعبون في الزقاق فنهض
من بينهم غلام صغير
السن حسن الوجه
فصيح اللسان فقال يا أبا
القاسم لعلك جئت
تخبر في بيوت والدي هذا
الجنيد فتعجبت من
كلام الغلام على صغر
وسكانه ثم سلم
على وأخذ بيدي وأتى
الى باب الدار وطرق
الباب فخرج اليه عجوز
عليها سيما الخير
والصلاح فسلمت عليها
وهي باكية العين حزينة
القلب ثم قالت يا بني
أرسلك والدي عمرة من
دلك ما تعمر فعجلت
الها لا فقال لعلك ما تعرفني
فقلت لها لا فقالت لعلك
ما تعرف الجنيد فقلت لها
لا فقالت لعلك ما بالبادية
بيت شعر ولا خيمة فقلت
لها نعم فقالت فصلحت
عظمه وقالت ما والله
لا الى بيته أوصلك ولا
معناه تركك ثم شهقت
شهقة فارقت روحها
الدنيا رحمة الله عليها قال
الجنيد فنظر الغلام الى
السماء وقال الهي وسيدي
ومولاي لا مرأة أخذتها

لايرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فملئه الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له المهون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين *(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)*

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيري فخلق منه حواء من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو أحس ولم آدم من ذلك لما اعطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يتحنون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شئ حي قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقيمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حسنا وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا *(وفي) بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت *(وروى) سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث الى اهلها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجليها ويقولان بسم ربنا ورب الله ضعيفة خلقت من ضعيفة انطق عليها ما ان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة الحنطة ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شئ علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فاكلا منها وهما يريان أنهما من أكلا من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وسول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته في فيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طبي لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان

ولامع جسد ثم نطقت
اللهم بهما الحقني ثم شق
شهقة فمات رحمة الله
تعالى عليهم أجمعين
قال الجنيد فاخذت في
غسلها وتجهيزها
ودفنها رحمة الله عليها
والمسلمين
*(وحكى عن السري
السقطي رحمه الله ونفعنا
به)* قال كنت جالسا
ببيت المقدس سنة من
السنين عند الصخرة
وكان ذلك في أيام العشر
وأنا مغموم حزين على
التخلف عن الحج في تلك
السنة وقلت في نفسي
ان الناس قد توجهوا
الى مكة ولم يبق الا أيام
قلائل وانا ههنا مقيم
قال السري فبكيت على
فواتي وتخلفي عن الحج
في تلك السنة فسمعت
هاتفا يقول يا سري لا تبك
فان الله سبحانه وتعالى
يبعث لك من يوصلك
الى الحج في هذه الساعة
قال السري فقلت كيف
يكون ذلك وقد بقي أيام
قلائل وأنا مقيم ببيت
المقدس بعيد عن مكة
فقال الهاتف يا هذا لا تخف
فان الملك القدير يسهل
عليه السير قال السري
فسجدت شكرا لله
عز وجل ثم جلست
أرتقب صدق الهاتف
فبينما أنا كذلك اذ أنا
برجل قد دخل
من باب المسجد كأن

www.alkottob.com

منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوسل به الى آدم فحكث على باب الجنة ثلثمائة سنة تلا بأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طاؤس من طيور الجنة اسمي طاوس فتجلى ابليس فقال له الطاوس من أنت ومم تكاؤلك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تاسفا على ما يلوح لك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخالدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلني الجنة قال الطاوس كيف يمكنني بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لان رضوان خازن الجنة فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سادلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر الى فانك ان فعلت سعادة الابد لك فانها قدرت على ذلك لجاه الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال لها فيما رأيت بباب الجنة الكائن الكرو بيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت الحية نحوه فلما رآها قال لها ابليس تنحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فانه قال لها أتوسل ريحا فتحملني بين أنيابك قالت نعم فتوسل ابليس الى الله تعالى بحاود دخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وحواء وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما مناحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقال لهما ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما لذلك وقبل ابليس رضي ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس ما نهاكما عن أكلها الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فابى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغتر بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت سوءاتهما الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكل منها (روى) بإسناده عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحنفية يقول سمعت أبي يقول سمعت عليا يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر جماع الاثام وأم الفرى ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يسم انشاء فوكلهما الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا منها (وقال) سمعت الحسن بن محمد بن الحنفية يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلي أول الدنيا ورد هذا أبونا آدم باع عز به بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتغير آدم وصار هاربا في الجنة فتعلقت شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بلى يا رب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمصر حياء يوم القيامة (وروى) ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فرمحته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فغطى بها سوأته يعني آدم وحواء فخسفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة

النعيس تشرب من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه سيمة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفي أرجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من أنوارهم نورا قال السري فقلت اليوم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين دعي ربي بهم ورزقني صحبتهم قال السري فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبدر وكبر وهم في صلاته فلما سلمت فؤادي فلما فرغ من صلاته جلس وجلست الاثنين بين يديه قال السري فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب يا سري علمك السلام يا سري يا صاحب الهاتف الذي هتف بك اليوم ربك أمرك أن لا تبيع الخبز في هذه السنة قال السري فكدت أن أصعق وامتلأ قلبي فرحا وسرورا ثم قلت نعم يا سيدي هتف بي الهاتف قبل ورودكم بساعة فقال الشاب يا سري كذا قيل أن يهتف بك الهاتف في بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا ما عزمنا عليه

وأعطاه الله عمرتين فى كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعدان كان جلده كله كالثلغر وأبقى عليه من ذلك قدر ما يستر عليه أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر الآية يعنى آدم وحوّاء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحوّاء بجدة بالقرب من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهى بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لخطيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها مالم يأكلوا فيها ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة * أخبرنى نافل بن آذفر بن أحمد باسناده من عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا اسلاما من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار الشقاء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منك نفسك ومثلها فأبعتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصلى الذنوب الى الذنوب وترتجى * دريح الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حوّاء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو والحية عدوته تلدغه اذا أمكنها وابليس عدوّهم جميعا وفيه اشارة الى أن الاحباب اذا اجتمعوا تعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وروى) ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا على ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدوّ على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا مجنة له ولاولاده وابتلاءهم بها ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بها عهد لتعوّدهما الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أوّل خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتلیت حوّاء و بناتها بهذه الخصال وهى خمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت و بناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شئ كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حوّاء كانت النساء لم يحضن ولكن حاضت وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبى سعيد فى حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للبّ الرجل الحازم من احداكن قلن له وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة)

على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السرى فقلت له يا سيدى وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم وبمعروف الكرخى اخواننا فى الله جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السرى فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سرى لو كانت الطريق ألف سنة العبد عبيده والارض أرضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهى جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فليس ببعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس فى يوم واحد فان الله تعالى له القدرة فخرج

www.alkottob.com

شيرانها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تعتد من بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شئ ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشرة) ليس منهن نبي (الثانية عشرة) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشرة) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشرة) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشرة) لا يسلم عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله من الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى (الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع منه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية خمسة أشياء قطع يديها ورجليها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعدما كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة لبني آدم وهم أعداؤها حيث رأوها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات أخرجه أبو داود (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن عبيد عن أبي الاحوص الجشمي قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيبه حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

* (الباب السادس في حال آدم بعده وهبوطه الى الارض وما كان منه) *

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرا جبال الارض الى السماء وكانت رجلا آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فنقصت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما انتقص من قامته ذلك قال يا رب كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فأهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت ذلك بك وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر بالسماء على الارض عطس فقال الحمد لله فلما رأى بلاد الهند ... ن أنفسهم ولم يكن رأى قبل ذلك دما ولا مارأى ولم يشرب الارض الدم فاسود على وجهها فلما نظر آدم الى ذلك فزع فزعا شديدا فقد ذكر الجنة وما كان من الراحة فيها فمكث باكيا ونحو أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغم فاسترا بما كان يجده من الغم وقال شهر بن حوشب بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة لم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا في تلك الكلمات ما هي فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال بشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات * وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يا رب أرأيت ما أتيته شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته

الهواتف من جمرة النار ثم قال يا سري علمك بعز الدنيا والآخرة وبالله أن تدلني الى ذلك الدنيا والآخرة فقلت له يا سيدي أرشدني الى عز الدنيا والآخرة يرحمك الله تعالى فقال من أراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يراني اليها ولا يطمئن قلبه اليها قال السري فقلت له يا سيدي بالذي خصك بأنواره وأطلعك على أسراره أين تقصد قال الى الله بيته الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا أفارقكم فانه رافقكم على أشد من ذراع الرجل للجسد فقال بسم الله وخرج ثم جعلنا نمشي من بيت المقدس فلم نزل نمشي حتى قال يا سري هذا وقت الزوال فانصرف فقال بلى وحد ... على التيمم بالتراب فقال يا سري ... عطشنا ... الطريق فاذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت ثم قلت له والله يا سيدي لقد سلكت هذه الطريق مرارا عديدة ولم يكن هنا ماء فتبسم وقال الحمد لله على لطفه بعباده قال

عليك فبسل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ورفعها وضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قنادبل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما تحيال عرشى فانه فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء عالمة به وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فسأل أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثنى ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا يرحمك الله يا آدم لقد أخبرناك من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجر الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتعلقت الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فى أودية الهند وكان أصله من الجنة فامة لا ماهنالك طيبا فنبت ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتناثر بأرض الهند فنبت شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هى دابة تشبه الغزال ربعت من ذلك الشجر فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتضع به الآدميون قالوا يارسول الله فان يقع قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هى دابة فى البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها فى البحر وهى أعظم ما تكون من الدواب غانما ألف ذواع وانما ترمى به كما ترمى البقر أحشاءها فرمى بما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام وداء جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك ان تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى فى جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فاكل آدم فبرئ (قال) أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة فى سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فاذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجا آدم فجعل منه سبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت

www.alkottob.com

دم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه
م فقال يا رسول الله ما أتحول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال
قتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله
وجل يحب حرفتك فانها حرفة تحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال لك انك النبي فأبونا آدم خصمه ومن أنف
كم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا
بشر وافان حرفتكم حرفة مباركة تكون آدم قائد كم الى الجنة (وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله
ى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان
فارفي الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم ان
ر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من
نة قريب من النار قال واتم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته استكى فقال لجبريل ما الذي أصابك
ل أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين جلدي وجلدي دبيبا كدبيب النمل
له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه
رين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم
منه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع
ت فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء
ع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم اني لا أطيعك واني منتقمة من عصاة أولادك يوم
امة فقال جبريل يا آدم انها ان تطيعك ولكني أمنعها الا ولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع
نها في الحر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية ويروى ان آدم لما أتاه ذا النار
ترقت يده فقال عنها فقال جبريل ما لها تحرق يدك ولا تحرقك قال لانك سميت الله والذي لم تسمه ثم أمره
يل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حفنات فيها الاثنان بنات من الجنة فقال يا آدم
جبتان وطوا سبعة فذلك قول الله تعالى ذكرا وانثى وكان ولد آدم يومئذ ألف بطن وحواء ألف بطن وهم
يا آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم غرسها فانهم سيأكلون بها أخرجتك من الجنة وبها تعيشون
دنيا وبها تلقى الفتنة أنشر أولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يتخذ الثور ويكسر من الشعب
عه علم ما فعل ذلك وجعل يحرث الارض عليه ما فهو أول من حرث الارض وبذر الثور ان على ما تأتم ما
ات الجنة فقطرت حبوبها على الارض فنبت منها البلوط وسائر الاشجار وراتا تنبت منه
دس ثم كلم جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه السلام والله
ه فقال لا اصبر حتى يدرك فاسنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلة فلما حصد قال آكله قال لا وعلة
س فلما داس قال آكله قال لا وعلة التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وعلة الطحن فلما طحن قال
آكله قال لا وعلة العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما دخل دقيقه أمسه جبريل أن يبيت الدقيق
ض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا الا ان يسخر سخيرة ويتبع الخطيئة فلم يزد
نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه على النار حتى جعله خبزة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا
يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله
وعدك ذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك أن تأكل من
بيتك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى
يل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فلم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما
ر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ما زالا يردان من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم
منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيكا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي

وتقول العرب ما أوحش الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسألت عليها فرد علي السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد فقلت أريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هيهات لحاجة توجه بها الليل ولا يقطع سبيلك فقلت ليس بيني وبينه ثلاثة المعرفة فقالت وما الذي فعل من معروفه فقلت كثرة الذنوب فقالت والله يا عثمان ما أيقن بالله ولا وصل محبة الله إلى قلبه من شك بالقوي العزيز وقضى ما أبصر من تحير في ريب فقال عثمان فلما سمعت قولها كبت وعلا نحيبها فقلت لها أريد منك الدعاء فقالت أعانك الله على ما تحبه وجنبك ما تكره قال فلما هممت على الانصراف أخرجت رغيفين فدفعتهما الي وقالت كان زادي بيني وبينها وقلت شغلني هذه النفقة استعين بها على سفري هذا فقالت يا عثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها ان رجلا أصعد الى الجبل وأحضر له منه بقلا واحمله على رأسي وأبيعه

أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا فشق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا وقد عمل ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ صرب منه سندية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة جل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والقرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخربوز والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجني من الجنة ولا تريد أن تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآس وهي سيدة رياحين الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا والحجرة وهي سيدة غمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الجوزة من غراس الجنة وفيها شفاء وانما ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر العرني فكلوه فانه يسبح في جوفه ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يا رب أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيهم بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من ذلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحترم بحرمتي ساحوله وما فوقه وما تحته ففن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قريبا من مكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم

في أسواق المسلمين وأنفق ثمنه فقال له نعم الكسب الحلال اجعل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو صحبت معاملة ذي الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قال يا عثمان أريدان أريك كيف صحبت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهممت بشتمها فاذا يداها مملوءتان دنانير فقلت خذ هذه أنت يا عثمان فوالله ما طمع عليها اسم مالك ولا سلطان واعلم انك لو أحببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عني فلم أرها نفعنا الله تعالى بها آمين

*(وحكى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه انه قال) * كنت ملاحا بنيل مصر اعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا يوما من الايام جالس في الزورق اذا أنا بشيخ ذي وجه مشرق قد أقبل علي وسلم علي وقال تحملني لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمني لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى الجانب الغربي فبكان عليه مرقعة وسبحة وكوز

www.alkottob.com

بشغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله
لى اليه ديكا فاسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول ديك صوت خلقه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع
سبيح في السماء سبح في الارض فيسمع آدم بتسبيحه (ويروى) أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه
الارض يا آدم اني منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني اقطع ما تسألون وأما
انية فاني أفرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة أميت ما تلدون وانك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض ومعالجته فيها بعد اللعنة)

الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) أنزل ابليس من السماء على سرعة ليس
ت ذقنه منها شيء أعور في لسدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن ظالم بن سعيد بن هلال انما كره أن
صر في الصلاة لان ابليس هبط مخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن
يس قال يا رب أخرجتني من الجنة من أجل آدم وانى لا أستطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يا رب
نى قال لا ولد له ولد الا ولد له ثلاثة قال يا رب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال يا رب
نى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال
يا رب قد سلطتني على وانى لا أمتنع منه الا بك قال لا ولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب
نى قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يا رب زدني قال قل يا عبادي الذين
رفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يا رب زدني قال التوبة لا أترك عبد ما دام في روحه
م قال يا رب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة
جعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسولي قال الكهنة
فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديث الكذب قال فما قرآني قال مزامير الشيطان قال فما مؤذني قال
ذلك المزمار قال فما مسجدك السوق قال فما بيتك الحمام قال فما طعامي قال طعام من لم
كر اسمي عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحزن والغلمة فتكمع نفسه فباض
بيض فنفاها فذرية (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال لقيني ان ابليس تزوج حواء التي
ل في فيما بين كلام آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فنهاها فذرية

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه ايانا)

روى ان آدم التقى بابليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون أي شيء هذا الذي أصابك بشرورني
خرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم اني لما سمعت منك ما تقول وأنزلت هذه المنزلة فمن
لي بما أنا فيه وأصلني هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور وتفرعون في صورة الانسان يصرفان الخيام فانكره
ون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال فكيف وأنت خلقتني ألست القائل أنا ربكم الاعلى (ويروى
سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أي الاعمال أحب الى الله وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك
الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيئا أحب الى وأبغض الى الله تعالى من استخفافك الرجل بالرجل والمرأة
رأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من آدمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيى بن زكريا
ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب أرني ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكلمني شيئا سألته عنه فاوحى الله تعالى
ابليس ان ائت عبدي يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكلمه شيئا يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيى انا ابليس
نى ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وسمة وامحضوفتان
لوا زكورهنا وكورهنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك قال بها أخطف
ولد بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها الى بني آدم حتى يغنى أو يغني له قال فاى ساعة أنت

فلما نزل قال أريد أن
أسألك أمانة قلت وما هي
فقال اذا كان في شهر
عند الظهر تعدني ميتا
تحت تلك الشجرة
فغسلني وكفني في الكفن
الذي تجده تحت رأسي
وصل علي وادفني تحت
تلك الشجرة فان قبري
بها فاذا فرغت من أمري
خذ هذه المرجعة والركوة
والعصا فاذا جاءك من
يطالبهم فادفعهم اليه
قال فتعجبت منه ثم
تركني ومضى فبت تلك
الليلة متفكرا فلما
أصبحت انتبهت الوقت
الذي قال عليه الشيخ
فلما جاء وقت الظهر
نسيت فاذا الهدف الا
قريب العصر فصرت
اليه مسرعا فوجدته
قد مات الشجرة ميتا
ووجدت كفنا تحت
رأسه نفوح منه رائحة
المسك قال فغسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مهيأ سواه
فدفنته فيه ثم عدت الى
موضعي ليلا والمرقعة
والركوة والعصا معي
فلما طلع الفجر وبان
البياض اذا أنا بشاب قد
أقبل فقدت النار
اليه فعرفته وكان من
بعض صبيان الملاهي
يرقص ويغني وعليه
ثياب رقاق وهو مخضوب

www.alkottob.com

على ابن آدم أقدر قال حين علي شبعا ورياقال فهل وجدت في نفسي شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم البك طعام ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته البك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لا جرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا أنصح آدميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف قد سمعت من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف يا علي صونوه غسله يا علي فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال علي جزاك الله خيرا فقد أخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بني اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف حتى نسألك فوقف وكانت تقف بين يدي الله تعالى حيث شاءت كلما تقف قبل أن تعصي ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ما توا عن آخرهم (ويروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فايقظه وقال قم فان اجدارها هو يسقط فقال له من أنت الذي أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا ما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى نفشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

* (الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل) *

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانه ولد له منفردا وكان جميع من ولد له سواه أربعين من ذكر وأنثى في عشر بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله في نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلاف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وجعا ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تريهما دما ولا طهارة لبنه فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والعلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أي اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل ويتكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولديه هابيل فرضي وسخط قابيل وقال هي أختي ولدته معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل فانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق بأختي فقال له أبوه انها لا تحل لك فابى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنات فسمى بناته عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رجلا

ابناه فدنا مني وسلم علي وقال لي أنت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التي عندك وديعة لي فقلت وما هي فقال مرقعة وعصا وركوة فقلت ومن أين لك هذا فقال لا أدري الا أني كنت في عرس فلان بالامس وأنا أرقص وأغني الى أن أذن المؤذن فمت لاستريح فبينما أنا نائم اذا رجل قد أيقظني وقال لي قم ان الله سبحانه وتعالى قد قبض روح فلان الولي وجعلك مكانه فسر الى فلان بن فلان فان الشيخ أودع لك عنده وديعة وهي مرقعة وعصا وركوة قال فاخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل في البحر وتوضأ ولبسها وأعطاني أثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركني فلم أدر أين ذهب فاقمت يوما أبكي الى الليل فلما غمرني سرب النوم في المنام وهو يقول يا فلان أنقبل علينا ان مننت على عبد من عبادي كان عاصيا وقبلته اتباذ لك فضلي أو تبسمن شئت ورحمتي وسعت كل شئ

* (ويحكى من بعضهم رضي الله تعالى عنه) * أنه قال كنت ساكنا ببغداد وكانت لي دويرة خراب فاحببت بناءها جائط سنة فلما فرغت منها

وأوحى الله الى آدم أن زوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حورا في صورة أنسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت أنت أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بم والله فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه فقربا وكانت القربان حينئذ اذا بات نزلت نار من السماء فاكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلتها وتأكلها السباع فخرجا بالقربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضغره في نفسه مما يأبى أن يقبل مني أم لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه قلم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعه قربانه على الجبل فنزلت نار من السماء فاكلت الكبش والزبد واللبن ولم تاكل من قربان قابيل شيئا لانه لم يكن بزاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل ونظروا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فابيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجيع وتراه كما يسره فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتسكح أنثى الحسناء وأسكح أنثى الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وماذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمران المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل راغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرضخ صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه ووضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقال بعضهم على عقبة حراء وعن محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فالله تعالى أعلم ولم يدر ما بعث به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وتمكنت عليه الطير والسباع ينتظرون أن يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى من الاوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه جفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ينادي من الارض فلم قتلت أخاك قال فان دمه لك كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا (ومن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وصر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

طلع حيث الى موقف
البنائين لانظر جهاز
لبناء الحائط فنظرت الى
شاب نحيف ذي وجه
نظيف فجئت اليه ووقفت
بين يديه ثم قلت له سيدي
أتريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر على بركة الله
تعالى فقال بشرط أشترطه
عليك فقلت وما هو قال
الاجرة درهم ودانق فقلت
نعم قال واذا أذن المؤذن
تدعني أصلي مع الجماعة
فقلت نعم فسار معي الى
منزلي فقدم خدمتي أو
مثلها ولا أحسن منها
فذكرت له الغداء فقال
لا فعرفت انه صائم فلما
جاء وقت صلاة الظهر
وسمع الاذان قال اشر ما
باسيدي فقلت نعم قبل
جزاءه وتوضأ وتشهد
ما رأيت أحسن منه ثم
خرج الى الصلاة مع
الجماعة في المسجد ثم عاد
الى خدمته الى أن سمع
أذان العصر فقال
اشر ما باسيدي فقلت
له انم قرير وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى
خدمته فاتيت اليه
وقلت له حبيبي ان خدمة
البنائين الى العصر فما
تستريح فقال سبحان
الله انما كانت خدمتي
الى الليل قال فلما جاء
الليل أخرجت له درهمين
فلما رآهما قال ما هذا قلت
والله يا سيدي هما من
سعة أحوالك لاجتهادك

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بنى انك وصيى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فازداد به ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيـ * ـل واجزا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها زنين * لها بلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبى بغير جرم * فقلبى عند قتلته جريح
وجاورنا الحين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغنى البكاء من البواكى * اذا ما المرء غيب فى الضريح
فأبلت النفس وانزل عن هواها * فلست مخالدا بعد الذبيح

فاجابها ابليس لعنه الله شامتا بها

تنح عن البلاد وساكنيها * فقى الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك فى رخاء * وقابيل من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتى ومكرى * الى أن قاتل الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفلك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له مالك لا تضحك ولا أبكاك قال وما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعنى أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق فى كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فاتخذ بيدا أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليها ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولد الارماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبو لك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبو لك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلنى ابنى بلطمتى قال مجاهد فعلقت احدى يدى قابيل الى نخذها وساقها وعاقبت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه فى الصيف حظيرة نار وفى الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير والمكوى اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام وبقى نسل شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث

فى الحديث فأراها الى وقال والله لا أزيد على ما بينى وبينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فاخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان العد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يبت هنا الامن السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رانى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معى فقدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فاخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوزا لها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شئ وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا فقال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه أبكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبى ألك من حاجة فقال نعم اذا كان فى غد فأتنى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى فى هذه الخيمة واحفر قبرى بيدك ولا تعلم بذلك أحدا

نتب وديته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل بسبب امه له
ن خصه آدم بتزويج أخته فلما خاف عليها أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عهم
ن الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا فوج عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم
نور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهر وهو أضوءهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال
رب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد سبق القلم باعمار بني آدم
كان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى
ن عمره تسعمائة وستون سنة جاءه اليه ملك الموت ليقبض نفسه فقال آدم عجلت على يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت
بتوفيت أجلك قال آدم فذهب من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له
بيا فاخرج الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى لا كمل لادم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ
(قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه سمي الرحمن دفنته الملائكة وشيث واخوته
في مشارق الفردوس عند قريه هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن
فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه حنوط وكفن من الجنة وولت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر
والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم حملوه ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات
آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة
فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق
في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير وروى أبو صالح
عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت
آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم بيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة
ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأتمهم عليه فقال
عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقد أكرمنا بني
حين حملناهم في البر على دابة والبحر على سفينة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ثم قال له ولزوجته اسكنا أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته
في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول
حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الارض وهو المبرأ من روائح الطيبة من الطيبة
وهو الباعث يوم القيامة بعث الذر من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم شرفه
وكرمه والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا * قال أهل العلم بأنباء الماضين وقصص النبيين هو
ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة
درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمهاتون وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس
المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء
على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما
فاذا بيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك
وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما حال الذي قضيت على قيه فقال

وأخرج ما فيها وأمسكه
عندك فاذا دفنتني
وفرغت من أمري
فصل الى هرون الرشيد
وادفع له ما عندي في
الجيب وأقرئه مني
السلام قال فلما كان
الغد وصلت الى تلك
الطيمة فوجدته قد
مات رحمة الله تعالى عليه
قال فتأسفت عليه أسفا
شديدا ثم اشتغلت في
غسله وتجهيزه وكفنته
وصليت عليه في الطيمة
وحفرت قبره بها كما قال
ثم فتشت جيبه فرأيته
فيه ياقوتة تساوي ألف
دينار قال فتعجبت من
ذلك وقلت والله لقد
زهد في الدنيا كل الزهد
قال فلما فرغت من أمره
وانصرفت من عنده
انتظرت خروج هرون
الرشيد فلما خرج في
موكبه تعرضت له في
بعض الطريق ودفعت
اليه الياقوتة فلما رآها
خرمشها عليه فاحتز شئ
اليه ودار في فلما
أفاق قال ما لك ويحك ثم
أشفق بعدي وبعثني الى
منزله وقال يا أخي
ما فعل الله بصاحب هذه
الياقوتة فقلت له مات
الى رحمة الله تعالى ثم
وصفت له كل ما كان منه
قال فعل الرشيد يبكي
ويقول التمع الولد
وخاب الوالد ثم نادى
يا فلانة فجاءت امر

تعالى ان عبدى ادريس سألنى أن أستخف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمل الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له الى لك حاجة فقال له افعل لك كل شئ أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فينقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاحد هو يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجسده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا

*وقال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربى أن أزوره وأصاحبه فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ألك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له ألك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها فعل ذلك ثم قال فكما أرى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكيما فقال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفر واتحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له أدن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وسحارهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لجرأته فهذه قصة الآية وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك فقال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو

ماروت

ار وتدعز ريائيل واتما غير اسمها لما افترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى
فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك
والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزا وريائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى
السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطأ رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران
فانهما ثابتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال
قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي
الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها افتتنت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت
وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس
وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح
من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة
لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما
انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس ومجاهد الصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا قال علي رضي الله عنه والسدي
والكلبي انها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما
تتكلمان به حتى تعلماني قال أسدهما لصاحبه علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فان رحمة الله تعالى فعلماها
ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا * قال الاستاذ نعلي قول هؤلاء هي الزهرة بعينها
قال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالنارسية ناهيد وبالقبطية باذخت يدل على صحة هذا القول
ما أخبرنابه يحيى بن اسمعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت * وقال
شاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي اوسق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت أيقظته
فنظر اليها وسبها وشتمها فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلق الملكان منها
ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي
جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بهن فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت التي فتنت
هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزهرة ذكر تلك المرأة فوافقت هذا الاسم فاعنها وكذلك سهيل العشار كان وبيلا فلما رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا النجم الوافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن سعد عن ابن عباس في هذه
القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب فالوا فلما
مسي هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما
فصعدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى ففعل فخيرهما الله تعالى
بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان * واختلف العلماء في كيفية
عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول
أفخاذهما وقال مجاهد يلجبان نارا فيعلقانه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان
بسياط من حديد وروي ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة
وجوههما ليس بين ألسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما
وقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أي أمة أنت قال من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال
الرجل وما استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا * وروى هشام عن عائشة أنها قالت قدمت

وسألني العجمية فقلت
له يا أمير المؤمنين ان لي
قي ولدا لك عفلة وعيبة ثم
مضيت من عنده حزينا
على ذلك الشاب رحمه
الله تعالى ورضي عنه
* (وحكي عن الاصمعي
رضي الله تعالى عنه انه
قال) * حججت سنة من
السنين الى بيت الله
الحرام وزيارة النبي عليه
أفضل الصلاة والسلام
فبينما أنا في الطريق
اذا أنا برجل اعرابي بيده
سيف عريض ورمح طويل
كان يقطع بهما الطريق
لاخذ أسباب المسلمين
وأموالهم فلما دنا مني
أراد أن يأخذ أسبابي
فاسرعت نحوه وسلمت
عليه فرد علي السلام ثم
قال من أين الرجل فقلت
له فقير وعابر سبيل فقال
ما صنعت حتى فقلت اقرأ
القرآن وأعمل بما فيه
المسلمين فقال وما يكون
القرآن فقلت كلام الله
عز وجل فقال أوتيه
كلام فقلت نعم فقال
الاعرابي فانشدني من
كلامه شيئا قال الاصمعي
فقرأت بسم الله الرحمن
الرحيم وفي السماء رزقكم
وما توعدون فسري
الاعرابي سيفه ورمحه
وقال تباً لقاطع طريق
وخائن سبيل رزقه في
السماء وطلبه في الارض
ثم تاب الى الله تعالى
وعاهده أن لا يعود الى

امرأة من دومة الجندل جاءت ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ فدخلت فيه من أمر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لأخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري فأبيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي الى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقالا لا فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم أره قالا صدقت ذلك اعمالك خرج منك فاذهبي فقلت لا والله ما أعلم شيأ ولا قالا لي شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان تحذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت انطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت اني لا أريد شيأ الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا * قال الاوزاعي بلغني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابهم صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذائقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه ونشوبه وخلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وكيف لا أبكي يا جبريل أتبكي وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أنساك ان أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فما كون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل ابن بخوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث * قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذا ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من سولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى * قال ابن عباس كان آدم أوصى أن لا ينكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا بنو قابيل

وقال نافع بن الأزرق
يا وشيخ الله أتم زأى
لتكونن أمرا يا والله لولا
يا بحضوره بهلة وروشانة
قسما لئن ركن تلك الى
حبيبي محمد صلى الله عليه
وسلم قال فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
أما تعرف نبيك يا أعرابي
العرب فقال الاعرابي
لا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فما اعلمك نبيه
فقال آمنت بنبوته ولم
أره وصدقت برسالته ولم
ألقه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا أعرابي
اعلم أني نبيك في الدنيا
وشفيعك في الآخرة
قال فاقبل الاعرابي
يقبل قدمي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم
يا أيها العرب لا تتعلق بي
كما تفعل الاعاجم بملوكها
فان الله سبحانه وتعالى
بعثني لا متكبرا ولا
جبارا بل بعثني باشفق
بشيرا ونذيرا قال فهبط
جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
يا محمد السلام يقرئك
السلام ويخصك
بالتحية والاكرام
ويقول لك قل للاعرابي
لا يفوتنه كرمنا ولا جلنا
فقد اجاسبه على
القليل والكثير والفتيل
والقطمير فقال الاعرابي
أو يحاسبني ربي
يا رسول الله قال نعم

بعثت المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بني قابيل فاختبرن النساء الرجال ثم كثروا ما شاء الله
قال ما أنت ترى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاختبرتهم النساء ثم هبطا بنو شيث كلهم
ظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثروا بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم
يهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويحذرهم بأسه
يحذرهم بسطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال
تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
(روى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في بيته ثم يأتي في بيته فيرون انه قد
مات ثم يخرج فيدعوهم حتى ابن من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يقوده كالا على عصا فقال
يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك أن يغرك فقال يا أبت كم كنى من العصا فاعلاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه
شيء اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم
ان يكن غير ذلك فصبر ذلك أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تزدد الظالمين الا ضلالا ولا يغوثا ويعوق
ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهي أسماء أصنامهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا
أي هلاكا ودمارا فأجابه الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال
نوح يا رب وما الفلك فقال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأنجو أنا ومن معي فقال
نوح يا رب أين الماء قال يا نوح اني على ما أشاء قدير قال نوح يا رب أين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج
أربعين ذلك أربعون سنة وكف في تلك المدة من الدعاء فلم يدعهم فأعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد
فلما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يا رب كيف أصنع هذا البيت قال اجعله أزورا
على ثلاث صور وأسه كرأس الديك وفي الطير وذنبه كذنب الديك ثلاثا وأجعل له ثلاثة أبواب واجعل
بابا في جنبها واجعل لها ثلاث طبقات واجعل طولها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وارفعها في السماء
ثلاثين ذراعا والقرع الا الذكب هذا قول أهل الكتاب ثم ان الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع
الشجر ويضرب الحديد ويعمل مدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه
ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يبتغي بناء على الماء
يضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال نوح ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى
نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستعجل نوح في صنعة الفلك وكان يعمل في كل يوم
عملا ما حتى اذا فرغ من عمله أتاه جبريل عليه السلام وهو يعمل فقال يا نوح ان الله يأمرك أن تحمل في
الفلك من كل زوجين اثنين ذكرا وأنثى من الطير والدواب والسباع وسائر الحيوان وأهلك الا من سبق عليه القول
منهم وامرأتك واحمل معك من آمن وما آمن معك الا قليل وكان نوح قد حمل في الفلك ما شاء الله من الطير
والدواب والسباع ثلاثة أزواج ثلاثة أزواج وثلاثة أفراد فالأزواج الذكر والأنثى والأفراد الذكر وحده
والأنثى وحدها مسافرا حديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وقد اختلف العلماء بين القار جعل السفينة
فقال بعضهم جعل السفينة من خشب الساج وقال بعضهم من خشب الصنوبر وقال بعضهم من خشب الجوز
وقال بعضهم من خشب الطرفاء فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع
الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران
التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل
فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أي عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفار التنور قال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض

تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور من عين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء على النوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كامة نزل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك ياعدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج ياعدو الله قال ما أخرج وما كان بدلك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروي ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا أحملكما فالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا تضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن) وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فأنا أؤلف بينهم حتى لا يتضار وا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب حيوانا وان طال عمره * لعمرك ما الهموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لانها تلد في كل شهر مرة * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن يوسر السفينة قال بسم الله فترست واذا أراد ان تجري قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاءت بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عبرة قال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معترضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلوها وحمل معهم من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمارت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد

عباسك ان شاء الله تعالى
الاعرابي وعزته وجلاله
ان حاسبني لاحاسبنه
فقال صلى الله عليه وسلم
وعلى ماذا تحاسب ربك
يا أبا العرب فقال
الاعرابي ان حاسبني
ربي على ذنبي حاسبته
على مغفرته وان حاسبني
على معصيتي حاسبته على
عفوه وان حاسبني على
بخلي حاسبته على كرمه
قال فبكى النبي صلى الله
عليه وسلم حتى ابتلت
لحيته فهبط جبريل
عليه السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
ياعبد السلام يقرئك
السلام ويقول لك
ياعبد اقلل من بكائك
فقد ألهبت حملة العرش
عن تسبيحهم قل لاخيك
الاعرابي لا يحاسبنا ولا
نحاسبه فانه رفيقك في
الجنة * (وحكي عن عبد
الرحمن بن المهتب رضي
الله عنه انه قال) صرت
يوما بسوق الرقيق
فوجدت دلالا ينادي
على عبد ويقول أبيعه
على عيبه فقلت للدلال
ما العيب الذي في هذا
العبد فقال يامولاي
سله فدنوت من الغلام
وقلت ما العيب الذي
فيك فقال ياسيدي
عيوبي كثيرة ولا أدري
بايها شهرتني فقلت
للدلال أخبرني ما العيب
الذي في هذا الغلام

كنعان الجبال ثم اقتص من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروى) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فرببته الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء فوقه حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيديها حتى ذهبوا بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بحجه آدم مسبابله من العرش وهو البيت المعمور ونحبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بجزيرة الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد ثناخت الجبال وتطاولت لئلا يناله الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد بادماء على وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم يبق شئ من الحيوانات الا توهم ومن معه في الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا (قال) ابن عباس كان عوج يتجزر بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعها ثم يأكله فقال نوح اخلني وسلني فقال اخرج باعدو الله فاني لم أؤمر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ راكبي نوح بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي اشربي وبا سماء أقلعي أي امسكي ماءك ونغيض الماء أي ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانهم لا أكثر ما بقي في الارض من ماء الطوفان وبقي في الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا من الموتى ينبئنا فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كان سام ابن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له بإذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير فلما كثر أذى الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يعرض حبالها وذلك أنه توالد في السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره هرة وهرة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد بست فقال له بعث الغراب فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال وطوقها الله الحمرة التي في عنقها جزاء لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا نطلق به الى أهلنا فيؤنسنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاث عشرة ليلة خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح وانتهى الى سنة وستمائة سنة وستين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر ليلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سألين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أطالت مقامهم أعينهم في السفينة من دوام النظار الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء لما الذي خرجوا فيه من السفينة (عن) ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح

الغلام كيف بأتيك هذا الصريخ في كل سنة أم في كل شهر أم في كل جمعة أم في كل يوم فقال يا مولاي اذا استولى داء المحبة على القلب سرى في الاعضاء واذا استولى على الجوارح تشعر جلو المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فحينئذ على القلب استعرافا وعلى البدن سكونا فيستفيده الجاهل الجنونا فقال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من أولياء الله تعالى فقلت له كم تعيش هذا الغلام فقال ما تنا دوهم فقلت وثلاث عشرون فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار ثم أمرته بالدخول فابى وقال يا سيدي ألك أهل فقلت نعم فقال ومن يستطيع النظر الى محبوبه فقلت له قد أجبتك الى ذلك فقال معاذ الله وأكون معهما كان لك من الاهل والمال منهم وأنا دون الباب فقال عبد الرحمن فشكرت صنعه وتركته ثم أخرجت له الغد ما سألني فلما كان الليل أتيت له العشاء فقال اني صائم فقمت عني في صلاتي الدار فرجعت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلي ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته

ومن معهمن السفينة اتخذ في ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك الثمانمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقيل ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه سام وجعله ولي عهده وكان ولده سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه سام وهو بكره فقال يا بني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما اللذان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع حلقة حلقة حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيهما وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير من الشرك وأول من عذبته أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد ذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي في حلفت الي لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي بعدها ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والبلاء ما لقي ولذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر رأسه آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض فله بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقي النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربي النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراء ذلك الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وترك كلمة في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى قوله وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا

www.alkottob.com

يتزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها ورل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد نشؤا في الارض وكثروا وقهروا أهل الفضل قومهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي علما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تأخذ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وبين شالخ وعابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فارسهم عود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فبعث الله عليهم الضر والمنافع ويطشوا في ايناس الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاحسنوا واذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير من مختلفة أديانهم وكانهم معظم لمكة عارف بحرمتها وكان عمالقة يومئذ أهل مكة وسيدهم العمليق واسمه والعمالق لكل أبيهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العمالق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية بنت سعد بن عاد فبعث ابنها بكرا في رجل من عاد فاصابا المطر عند جيرون فاقاموا بها ما شاء الله ثم رجعوا فقالوا لاخوالهم قد رأينا بجيرون رجلا طوالا عمالقة ونساؤهم طوال جعاد فلما سمعت عاد بمكة قالوا لئن كان لقومنا حاجة بالغيث لقد كنا نستسقي فيذهبون فيستسقون عند بيت الله الحرام فيسقون فبعثوا وفدا منهم قيل بن عنز وقيم بن هزال بن هزيل وعميل بن حندين عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان لقمان بن عاد الاكبر فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة ناحية الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأقاموا عنده شهرا ويشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان سيدهم شهرا ومطعمهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستسقون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال لقينتيه الجرادتين وأسمهما هزلى وفرتنا هؤلاء مقيمون عندي وهم في شغل عما بعثهم له قومهم وما أدري كيف أصنع بهم فاسمعيني ان آمرهم بالخروج الى مأبعثوا اليه يتأنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد علمت ما بعثهم له قومهم من أجله وما ذلك الا من أمرهم الذي بعثوا اليه فتغنيا الجرادتان فقالتا له قل نعرانفيهم به ولا يرجون من قاله ثم ذلك يحزكم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمغثنا غماما
فتسقي أرض عاد ان عادا * قد آلوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

لما فهمتهم الجرادتان بما قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فانطلقوا فاسقوا وقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود وعلمه السلام سرا انكم والله لا تسقون ببدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم اليه ربكم سقيتم فاظهروا اسلامه عند ذلك فقال

www.alkottob.com

جهلة بن الابيرى قال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أباسعد قائلك من قبيل * ذوى كرم وأملك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فدأمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤال النامع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد ولم يدع فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى ساجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واسقنا اللهم لم أجئ لمريض فادا وبه ولا لأسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فاما دعا هلكنا فانشأ الله سحابات ثلاثة واحدة بيضاء واحدة حمراء واحدة سوداء ثم نادا منادمن السحاب يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فنادا ه المنادى يقول اخترت رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا ولا والدا ترك كبيرا ولا ولدا الا جعلتهم رميما هامدا الا بنو الوبرة المهدار بنو الويدة رهط من هزال بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واديهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما بينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تفرج على قوم عاد فتنتقم لهم منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر مخرقوري حتى رجعت الارض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب ان بطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليهما ان ارجعى فاخرجى على قدر خرمة انائهم وهى الحلقة قال فصخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذه الانفس وانها امن عاد لطمن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطيرهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سود التقيهم فى البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشر لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال قيل تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فلما دخلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * بالاثم من يوم دهانى أمسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لو لم يعتنى جثته وحبسه

فقال

قال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له مالي عندك بذلك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في
سحابك كأنهم الجن قال هود ذلك الملائكة قال ان أسلمت أبقيت عليك نعمك وتركت عليك هل رأيت
كما يقيد من جنوده فقال لو ثقل ما مرت بشيء فاعتته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي
من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا
أبو يعلى الموصلي أخبرنا اسحق بن أبي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعي
عن يزيد الرقاشي عن الشعبي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث
يوم من هذه الامة على طعام وشراب وهو يبعثون قردة وخنازير وصنيعهم خسف وقذف فيقولون انظروا
الى سخف الليلة بني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم
القينات ولبسهم الحرير وقاماتهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه
فأقاموا عنده أياما فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بما لاقت عاد فقالوا له أن فارقت هودا
وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة
فقال نور بن بعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنزتين دعوا
الله قد أعطيتم منا كم فاختاروا والا نحسكم فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقالت ميل أختار أن
يسقيني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاما لبد الذي أصابه عاد من
عذاب فهلك وقال لقمان بارب أعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أطلب منزلا يعسلها
نظر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر عمر
سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره
ولم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ
ما بالكم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخي هذا لبد ولبد بلساننا الدهر فلما انقضى عمر لبد
وقع النسور غدا فمن رأس الجبل ولم ينهض لبد فمات ولم تكن نسور لقمان لا تغيب عنه حتى اذا رأى لبد لم ينهض
النسور وقام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه من هذا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل
ليتسور لبدا وثقا بين النسور فطاروا فنهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فمات لقمان عنده وبقي عمر بن
لقمان حتى أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

قال محمد بن اسحق قال محمد بن سعد بن جميع قول الراكب الذي أتى عمرو هلاك عاد شعرا

عصت عادا رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
وصير وفدهم شهر اليحموا * فاوردهم مع العطش الماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا تزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم فسق وهواء
من الرب المهين اذ عصوه * وما تغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابتغائي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معنيات * على ظلم ومذهب السفاه
لنا صنم يقال له صمود * يقابلنا بسدي والهباء
فما بصروه الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
واني سوف أحلق آل هود * واتبعه اذا جن المساء

ه لحق بهود ومن آمن معه وبقي هود ما شاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة
ت علي رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر

www.alkottob.com

كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعت لي نعت رجل قد رأه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الخضر ما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أنبأنا أبو عمر وأحمد بن أبي العرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندي أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن الساب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام في ثلثان البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

(تجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد بهما القبيلة قال أبو عمر وبن العلاء سميت ثمود لقلة ماؤها وثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الارض فلما فيها وكثروا وعمروا وسخى جعل بعضهم يبني المساكن من الطين والمدر فتهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وبأنوها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فقالوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عمارا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يقبله الا قليل مستضعفون فلما أبلغ عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة من الجبل في ناحية الحجر يسمونها الكاثبة فاتنا بناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظاما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صعصعة وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب ابن خليفة فأرادا أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال الرجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت أن يتبعوا الكتابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل عمرو * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال

www.alkottob.com

لها بقر الناقة فيرتفع الماء لها فما ترتفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتنفجع ثم ترويح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويعلفون أولادهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعري أتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في سرحها وحديقته فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدة فامتنع ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مرتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى سعوا على عقر الناقة فاستعانوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن الهلي وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت ممنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا بها تان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا محتالتان في عقر الناقة فمن كفرهما بصالح لما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه وأشفقت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها على أولادي فما أراك علمتهم قالت ستي أما كنت الى بني عمي وذلك ان بني عمها زوجها كانوا مسلمين فابت أن تحاكمهم اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعلمنه ولئن طاعنة أو كارهة لما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فاقدعت صدوق غلاما من ثمودية ال له الحباب فاصرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدمي واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له باقدار أصلبان من ينتاني أما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث أشقاها رجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة فانطلق قدار فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بابن استعانوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات ابن مبلغ خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعير بن غنم بن دابرة أخي مصدع وخسلم تذكر أسماءهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاكم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن قالوا أن يذبح ابنه وكان بكرا لم يولد له قبل ذلك شئ وكان ابن العاشر أزرق أصهب فابت نبأ ناسر يعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه قتلوا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فنرى الناس أنا قد خرجنا السفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم نصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه في الليل فاذا أصبح أتاهم وعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأصهروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون

أريد حسو اثم الطعام فقالت يا سيدي أي طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقالت لها صفيهما لي فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتشبع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المأمول وهو واجب التشبع بالخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه في النفس والنجوى ثم انها قامت تصلي فقرأت في الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت في آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى ختمت التوراة وسورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكي الى أن أغمي عليها وسقطت الى الارض فلما فتحت عينيها وجدت نفسها في الجنة فرأت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فسبحان الله تعالى عليها

(وحكي عن الامام علي رضي الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج

www.alkottob.com

في القرية يا عباد الله ما تمنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا لهلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كان قد ألحقنا به ناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليالتهم تلك (قال) السدي وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان ينشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة وينشب في الجمعة شباب غيره في الشهر وينشب شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فاراد واما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كانا نأخذ الماء الذي تشرب به هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها طظام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أنا كافأت الليلة قدارا ومصدعا فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعنا كافلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة أخرى فرمت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمست ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأبصرت له عن وجهها وضربت على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارداها وطعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له صوه وقيل اسمه فارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن الخطاب فاتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رآهم صعد على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب (قال) محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وهم مصدع وأخوه ذؤاب وولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله وألحقوا الجميع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى وتقسمه فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وبما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان أعيش وان يومي * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غدا مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم

المنار فقطع من الركب الطريق فقال لرجل عجائبي امالي هذا الركب رجل يأخذ سيفا يردعنا هذا الاسد فقال أما رجل فلا أعرف ولكني أعرف امرأة ترمي من غير سيف فقلت وأين هي فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلي وردي عنا هذا الاسد فقالت يا أبت أبطيب قلبك أن ينظر الى الاسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن قل له ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعي فوالله ما استتممت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا امامنا * هذا والله دلائل الصالحين وأمارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين * (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) * انه رأى نباريه في البادية وهي تمشي وتفرح وليس معها أسد فقال من أين أقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى أين تريدين قالت الى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت

كرهم وأنثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا
هم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو
شرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح
ال له مبدع من هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم علينا أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب
كلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم
ن عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا ما يرون في وجوههم فلما أمسوا اصاحوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل
ا أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع
م فلما أمسوا اصاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل ويحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا
جوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح
يه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا
حنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم
ى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من
سماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير
كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم
ع منهم الاخبار به مقعدة يقال لها ذريعة بنت شافي وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجلها
دما عاينت العذاب أسرعت فخرجت كأسرع شئ يكون حتى أتت قرارهو وادي القرى حد ما بين الحجاز
الشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت تماتت
(وروى) * أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه
يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن
يكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية
عث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فشربت ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول
ه صلى الله عليه وسلم من تحت النسيل حين ارتقى في الغار فعقروها عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله تعالى من تحت
يم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله
الى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ومدفون معه غصن من ذهب وأراهم
سول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن
ن الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال أهل السلم توفي صالح
يه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان
بد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال
برنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قيس بن أبي حازم
ن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت
رسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال
لك والله أعلم

* (مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود) *

و ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن
ح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمرود قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال
اهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى
وج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا
لس يشتمل على أبواب والله أعلم

* (الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام) *

وما يخرج منهما وما
ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم
أينما كنتم والله بما
تعملون بصير ثم
قال يا بطال من استأنس
بالله استوحش مما
سواه ومن طلب رضاه
صبر على قضاه ثم غاب
عني فلم أر هارضي الله
تعالى عنها * (وحكي عن
السري السقطي رضي
الله تعالى عنه انه قال) *
أرقت ليلة من الليالي
فلم أستطع الغمض
فقلت في نفسي أخرج
الى المقابر لعلي أعتبر
برؤية القبور والتفكر
في البعث والنشور
فيزول همي وغمي
فخرجت اليها فما وجدت
قلبي متشرحا لدخولها فقلت
أدخل الاسواق لعلي
باختلاط الناس يزول
عني الباس ففعلت ذلك
فما انشرح قلبي لذلك
فقلت أدخل المارستان
وأنظر الى المرضى
والمبتلين والى أفعالهم
لعلي اعتبر بأحوالهم
فدخلت اليه فوجدت
قلبي مقبلا عليه فقلت
الهي وسيدي الى ههنا
سيرتني ولاجله من
منازلي أيقظتني فنوديت
في سري ما أتيتنا بك الى
هذا المكان الا لنافيه
نبأ وشان قال السري
فتقدمت الى مكان
المجانين فرأيت فيه
رجلا بين يدي الزبن

www.alkottob.com

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كانت ولادته بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمرود الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح *(وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمرود وبختنصر وكان نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء *(وقال السدي) *رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والعافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمرود بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذا أمن الواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر وأبو ابراهيم فوجدا مرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام *(وقال) *محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها *(وقال السدي) *خرج نمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب اني أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أضع على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمرود ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأشفقها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فتقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ووجعت فأخبرت زوجها بأنها قد ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا من نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدي) لما عظم بطن أم ابراهيم خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو زرعة كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لا نظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ما هو من أصبع لبن ومن أصبع عسل ومن أصبع سمن (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حالها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فأخبره انه ابنه وأخبره بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

ثم ان نمرود بن كنعان الى عتقها وهي مشغولة بذكر الله تعالى قال السري فقلت للقيم على الجارية ما شأن هذه الجارية فقال الجارية اختل عقلها لفقد مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ما جنت ولكن
أنا مكرانة وقلي صاحي
قد غلبتم يدي ولم آت ذنبا
غير هتكي في حبه واقتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من براح
فمسلاحي الذي رأيتم فسادي
وفسادي الذي رأيتم صلاحي

قال السري فلما سمعت كلامها أقلقني وأبكاني وهيج لوعتي وأشجاني فلم أر أن دمعي يتحدر على وجهي قالت يا سري ما جهلت منذ عرفت ولا افترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا عجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السري فقلت لها يا جارية أرأيت للمعبة تذكرين وللتوحيد تفهمين فمن تعبدين فقالت لمن تعرف علينا يا كرامة وتحبب الينا ما تعامه وجاد علينا

(الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من الشرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى الشرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يعدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فاتاه أبوه آزر وقال له ابراهيم عليه السلام يا أبت من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل واقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجانى فاخرجاه من الشرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لها بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى مالى اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فرأى الكوكبة قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما علم ابراهيم انى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى ما يضر ولا ينفع فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضربه برؤسها وقال لها اشربى كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة يأيها الفتى فشاع بين الناس ما يفعل ابراهيم واستهزأ به فجاء قومه وأهل قريته فقالوا لهم أتحاجوننى فى الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام باهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين فقالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا الذى خلقك فهو يهدين الى آخر القصة فشاع ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى بلغتنا فدعوا الى عبادته يذكر من قدرته التى تعلمهم بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ وأنا أحيى وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولم تمض تلك الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد ان يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله ويجزها الزاما للحجة عليهم فعمل ينتهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضر هم عيدلهم *(قال السدى)* كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى فى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو مريض فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد ضعفاء الناس وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه *(وقال مجاهد)* وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه لم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى أفشاه عليه فقالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت ثم رمستقبل باب النهر صنم عظيم ثم الذى يليه أصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين يرجع عنا فرجعنا وقد بارك

بعد ذلك فقال فهو قريب الى الفساد ره مغرور للكبر وبما يحل على من عصاه بجهله دعاه قال السرى فقلت من سبب ذلك فى هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم منى وأنشدت تقول

يا من رأى وحشتى فآنسنى
بالقرب ممن وصله فأنعشنى
يا ساكنى لا تخاون من سكنى
دهرى وياعتبى على الزمن
أوحشنى ما فقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربنى
وعاد أيضا على منعما
كذاك فاكنت حسبته عرفنى
حسبى من الكون ان يغيبه
أجمعه موئلا ومصطبة
وكنت فى غفلة فنبهنى
وكنت فقيرا فقد غنانى
قال السرى فقلت لها ما الاسم فقالت عد الاسم يكفيك فاسمعت ينشد فبينما هو كذلك اذ أقبل سيدها فقال للعوكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السرى فكلمها بكلام أسفت اليه فدخل سيفها فرأى

الا كلهة في طعامنا أكلنا قبلنا نار ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاءوا القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذي نطنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدي وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذي عرض لسارة هي أختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين في أمره وعلموا أنهم لا ينطقون فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما انتهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذي أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائي اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالخابرة ذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له من أصناف الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله في النار التي يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهيجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه في النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا مسلوبا ان الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أي ربنا ابراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه ملك الماء فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدي وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لي بكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء وفي الارض ليس في الارض أحد يعبدك غيري وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما أجابه قوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدي) كان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها بأمر الله تعالى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس لولم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار في الارض

الا طفئت فلذت انها تعني قال كعب الاحبار وروى قتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أسوقت النار يومئذ شيأ الا وناق ابراهيم عليه السلام ولم يرق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك القطر في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤانسه فأتاه جبريل عليه السلام ثم نبع من تحريروقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص ثم أشرف غرذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما شملته فدهاك فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه غرذ يا ابراهيم كبيرا لهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أنت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الي ربي ليؤانسني فيها فقال غرذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده اني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا تعني تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لأستطيعن قربك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) ألقي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولد له سارة رضي الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذ بحمن ٧ بيت المقدس على رأس ميلين ولما عملت سارة عما أراد بابنها اسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام ما جال من قومه حين رأوا ما منع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من غرذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناسور بن تارخ فهاران أبو لوط وناسور أبو تنوخ وتنوخ أبو لابان ورفقايا تنوخ أم امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولبا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد لعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) فخرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي بريه الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعث الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل وتبيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبرّ ذكرها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبودون من دون الله

أجبت الدعوات طوعا
ملبيا للذي دعاني
وخفت لما خلفت فيه
ما برقع الحب فالاماني
قال السري فقلت لسفه
أطلقها وعلى دفع ثمنها
فضاع سربها وافتقاره
من اين لك ثمن هذه
الجارية قال السري
فقلت لا تجهل واسكت
في هذا المكان حتى
آتيك بثمنها قال السري
فمضيت الى مسترلي
وعيناي تذرفان بالدموع
وقلبي بسبب حبها
موجوع وصرت أتضرع
الى الله تعالى وأتوجه
اليه وأتوكل في قضاء
حاجتي عليه فبينما
أنا كذلك اذ فارق بقرع
الباب فقلت من بالباب
فقال سبب من الاسباب
فنظرت فاذا هو شاب
من أحسن الناس
وجها ومعه خادم على
رأسه خمس بدر فقلت
من أنت يرحمك الله
فقال أحمد بن المثنى قد
أعطاني الجبار جل
جلاله وما يبخل على
بعطائه وورد صفوه من
الامور الا ما يعجز عن
حمله الربا فبينما أنا نائم
اذ هتف بي هاتف من
قبل الله عز وجل فقال
يا أحمد هل لك في معاد لنا
فقلت وقد زال النوم
عيني ومن أولى بذلك
مني فناداني أن اصعد الى
الشيخ السري خمس بدر

و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شئ و بذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها و جمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ماهذه المرأة معك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فاخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها بيناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده * (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يا بني ماء السماء * وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني أراها امرأة وضيئة لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام * روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاجر ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واستخفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه ترده فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب وتشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فقال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليهم رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال ولم ير بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم سمنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فيما يجمل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا الطعام ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى

أسرها من الرقي يعطى
منها بالعتق فلنا بها عناية
ولطف ورعاية فعملت
ليلك هذا المال وأطاعتك
على الحال قال السري
فسجدت شكرا لله تعالى
وأخذت بيد أحمد
ومضينا الى المارستان
واذا بالموكل عليها يلتفت
يمينا وشمالا فلما رآني
قال مرحبا ادخل عليها
فانها لهفانة ولها عند الله
حرمة ومكانة قال فدخلنا
عليها فسمعناها تقول
شعرا
قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن مني رياض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا منى سؤلي ونجوى
من يرد يعتق رقي
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري
قال فبينما هي تنشد اذ
أقبل مولاها وهو يبكي
ويتحسب قال السري
فقلت له لا بأس عليك
قد أتيتك بالذي وزنته
في الجارية بربح خمسة
آلاف درهم فقال لا والله
فقلت بربح عشرة آلاف
درهم فقال لا والله فقلت
بربح المثل فقال لا والله
فلو أعطيتني الدنيا بما
فيها ما قبلت منها شيئا

على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت ما رأينا أضيافا أكرم منكم نخدمهم بأنفسنا فنكرمتهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم في بيت خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام اسأله بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيد عجوز يابسة فأخذ عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أشد اهتزاز فقال ابراهيم هو لله اذا أذن بيع وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن بشار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتنازعان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فأخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فأجلسته الى جنبك وقد حلفت أن لا اصطحبا ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فلما اتضحن بعض عقمها وتغيرت أخلاقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقالت لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واتقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن ابني بهاجر وابنها مكة فذهب بهم سائقا حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبها أناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعند ذلك بوأ لهما مكان موضع البيت فأنزلهما فيه وأمرهما بالجد وأمر اسمعيل أن تخذ عريشا ثم قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فعل لا يريد علم شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فتقارب أي الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسانا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة فتلوثت منه ثم سعت صوبا نحو المروة فصعدت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم عدت الى المروة سبعة صوبا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ايل تعني بالله قد أسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سر به ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال الى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال اذهبي وكلكما الى كريم كاف ثم جاءهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه فنارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر تفرغه لها وجعلت تستقي فيها تحوفقال لها جبريل عليه السلام انها لروي ويروي بها ولد اسمعيل تحبسها سببا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا لبيتا لله يبني هذا الغلام وأبوه وان الله تعالى لا يضيع أهله وكان البيت يومئذ رابية حمراء تأتيها السيول فتأخذ عن يمينها وشمالها فكانت كذلك حتى جاء سيل فأخذ من يمين البيت وشماله فبنيا البيت على ما عاشروا فاذا هم بالماء فقالوا لها ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

الله تعالى قال السري فقلت له أخبرني ما الذي فقال يا أستاذي أتاني البارحة ستة آلاف في الهوم فو يقتني في المنام وأغلقا على في الكلام وقال تهين وليتا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت على الدنيا وخرجت من جميع ما أملكه لله تعالى وأتاها رب اليه عسى أن يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السري فالتحقت الى أحمد بن المثنى فوجدته يبكي وينتحب ودموعه تجري على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال مارضيني مولاي الى ما نبذني اليه ولا وجدت الى قبولا بين يديه أشهدك اني قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السري فعلمت ما كان أعظم بركات يد اسمعيل الجميع ثم قلت بعد مدة وتركت جميع ما كان عليها ولبست بجبة من صوف وخمار من شعر وخرجت هائما على وجهي فرجعنا معها وهي تنشد تقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحده وهو مولى
لا زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى
ما قد رجوت اليه

(قال الراوي) فلما رأينا

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بجرهم فهم أولاده العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جر وابنها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان يحبها بالصيد نخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو برّ أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشقك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شقه رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاءز وجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس بن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بايديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حدرون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة ابن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسيح الخزاعي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر دورة قلت وما دورة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصنونة قلت وما المصنونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغارماؤها فلما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منها عند مخر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثارنا وأبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال لما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نحاكمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز نفر جوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأيك لرأينا تبع لرأيك فامر نا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت

تتبعها حتى نزحت الى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

يا سبيب القلوب أنت سبيبي
يا سروري والسرور أنت سروري
يا حياة النفوس أنت حياتي
وأنيسي وأنت نور ونوري

قال السري ثم مضت حتى غابت عن أعيننا ثم أتى مولاها وصحبتي وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى أن توفي سيدها وبقيت انا وأحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد ويقول هذه الابيات

قد تهت كيف لي منك بقرب
فترفق بفؤاد
يشتكي شدة بعدك
تعيث بالنفس اذ الا
بضر ربك ذنبك
فاسألي العفو جهارا
والرضا من عند ربك

قال السري فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت وعليك السلام من أنت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله انه

ثم قال عبد المطلب ومالنا لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وايا كم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة لهو ساقي زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما بين الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الاقدم * تسقى الحجيج عافلا لم ينقم

فلما سمع عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها ووثنا ومنحرنا عندهما وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان موضعها الساكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فلم يزيدوا فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فمادى حتى بلغ الى مثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم وجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حلبت به الكعبة وكانت الرياسة التقدمة لعبد المطلب بسبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعادت الحجيج المياه التي كانت بمكة وفرا لجمها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من آبار اسمعيل عليه السلام وافتخر بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا)

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المعربي بمكة حدثنا أبو سعيد الفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من ياقوت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة فهذا الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الملك من تحته حديدة وأنزل عليها الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم الصحاب فقال يا آدم تخطا فتخطى فاذا هو بأرض الهند فكث هناك ما شاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية ومابين ذلك مطاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت له بحق حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع

التشاكر بعد المعرفة
أنت الى الآن محجوب
وقلبك مسلوب ثم قالت
أنا بعد ذا قال السري
فقلت لها ما الذي أفادك
الحق بعد انفرادك من
الناس فقالت شعرا
أفادني كل الذي
ونغص قلبي بالغنى
وقد أزال سيدي
عن باطني ثقل الغنى
ان لم يداركني بما
أرجو والامن أنا
قال فلما فرغت من
كلامها بكيت وانتحبت
وهبت وانصرفت
ثم رفعت رأسها وقالت
يا سيدي وهو لاي
فأزاهل التقي ونجا من اتقى
وخاب من هفله الهوى
والشقا فاسألك يا سيدي
الا ما قربت الوسيلة
والقناوقد نواهيت عليك
فدني البلد الحرام
لي في البقاع بمرحمة
ووفقني الى الاوبة
لذكرك فاذا هي بميتة
رحمة الله عليها فانطلق
اليها أحمد بن المثنى فصلى
وقبلها وواليه ثم هبط
انتحب واهتز واضطرب
وأسبل الزفرات وأظهر
العبرات ثم صرخ وورقه
على الارض فحركه فاذا
هو قد مات قال السري
فتعجبت من حالها وقرب
آجالها وأخذت في
غسلها وتجهيزها
ودفنها رحمة الله تعالى
عليها ونفعنا بها

خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بني من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته أوريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاجتمع ما بين الخافقين فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيأ أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) بأسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسابيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسابيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما تحت حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حنّ به كما رأيت الملائكة تحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمارا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع اللقت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد جمع منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها الخاشي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعلاه وضعت جلالي ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتي من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ديني وخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتلبية ضجيجا ويعجون بالبكاء أجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره بلا رغبة بغيره فقد وفد الي وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى نحبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج

(وتحكى عن السري رضي الله تعالى عنه أنه قال) * حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بامرأة حسناء عذبة جميلة بديعة فقلت لها يا جارية أين تريدين فقالت الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان أوذي ملالة وأما على العشاق فهي قريبة ثم قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقلت ياسري أنا تالك الخادمة لمولاي جئته بضعفي فعلني بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا ثياب الزهو آثروا المحبوب بالنفوس والآثار ووفقوا بين يديه في حال الانكسار هجروا الراحة في الاوطان والاوطار فلله درهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وافشوا وجدهم مع كتمان الاسرار نادا هم بالعناية في الاصطلاب والارحام حوام عليكم ان تنظروا الى غيري حرام ويجمع لهم مجلس مناجاته ويسقاهم كاسات شراب

ولهارأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحفر وأمر ابراهيم
أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير
معه الى أن قدم مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ان على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي
خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل
واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا
واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى اسمه وكان السان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كيت يعني هات
لي حجارة فقال له اسمعيل هاك تحفة فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي
وسميت قواعدها من حراء فال فبقي حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا أبت
من أتاك بهذا الحجر فقال له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن
ليكون علما للناس فاداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك خذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر
الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأعاداه عوارهما فذلك
قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا
مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما
ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما
حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين
الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة ووقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت
الشمس دفع بهما الى المزدلفة فصلى بهما بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة
الغداة فوقفهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما
الذبح وأراهما التحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فطاف بالله تعالى الى نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في
الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فعلا بعير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد
بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الاخرين وفي أصلاب الرجال وارحام
النساء فاجاب كل من آمن بالله من سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله
بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والشرق والغرب والشام فدعا الناس فاجابوا لبيك
اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآية فلم
يزل البيت على بنائه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل
بعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من
اهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فاراد وا رفعها وتسقيفها وكان الحرف ذي بسفينة الى جدة
لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهم ألهم في أنفسهم
بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرفه على جدار الكعبة
كانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار
الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجو ان الله تعالى قد رضي
ما أردنا من عمارة بيته وان عندنا علما لا نرفيقا ونحشيا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس
عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمران بن مخزوم
فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم
الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن
المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم نرد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين

هذا المجلس نديم هل لك
في هذا الغرام غريم هل
للشفي هذا الربع أنيس
هل لك في هذا الروضة
جليس فاذا أردت أيها
العبد رضاه الرب اللطيف
فتقرب اليه بقلب منكسر
وجسم نحيف (قيل)
انه لما نزل البلاء على
أيوب عليه السلام أتاه
طاوس السماء جبريل
عليه السلام بامر الله عز
وجل فقال له يا أيوب
سينزل بك مولاك من
البلاء والاهوال ما يعجز
عن حمله الجبال فقال
أيوب ان ذلك على مواصلة
الحبيب حبيبه حتى
يقال حبيب يحب فنودي
يا أيوب اعتدلا لاك
وأصبر على نزول مكيني
وقضائي وكان السبب في
ابتلائه ان ابليس اللعين
سعى بين يدي رب العزة
باغواء الجاهل والكفر لم
يفد وبايمانه فقال الهي
أيها الحبيب شكر أيوب
الله وطاعته اياك سببه
له في الاموال والاولاد
والارزاق والعافية فلو
سلطتني عليه وسلبته
في ذلك لما أطاعك طرفة
عين فقال الله جل جلاله
اذهب فقد سلطتك عليه
وانه ان يغيره ذلك قال
فاول يوم ابتلاه بانحدار
الاولاد فزادا خصومة
واجتهد تمام الاجتهاد
وفي اليوم الثاني أخذ
الاموال فاصبح فقيرا

فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا انتظروه فان أصيب لم تهدموا منها شيأ وردوناها كما كانت وان لم يصبه شئ فقد رضي الله تعالى عما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتعاقدوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما اختلفوتم فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتواثقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الي ثوبا فاتوا به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه فلما افكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأحذوا يرتجزون ويقولون

حطار مثل الفنيق المزبد * تربى بها عبدان هذا المسجد

ويقال آخرهم

كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة فمر بها به من حجارة المنجنيق وانهدم ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يقذفون سوارها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن يزيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ فيما في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود (وقاله) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحرق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في ثوب في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أبي اسماء بنت أبي بكر حدثتني أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ولا حداثة عهد قومك بالكفر لردت الكعبة على أساس ابراهيم فان يدفي الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فاقر به ابن الزبير فحفر فوجد حجارة عظاما كأسنمة الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا بين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به معه من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

* (الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده) *

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر

سعدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه
من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على ان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن
أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهذيل والزهري والسدي (روى) شعبة عن أبي
اسحق عن ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام
فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن يزيد بن أسلم
عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا الله ابراهيم واسحق
ويعقوب فلم قال والذ ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط الا اختارني عليه وان اسحق بادلي بالذبح فهو بغير ذلك
محمود وان يعقوب كما مازدته بلاء زادني حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال
يوسف عليه السلام للملك مصر أترغب ان تأكل معي وأنا وابن يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن
واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش معلقين
بالكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم
عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال المقدسي اسمعيل وزعمت اليهود
انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي أمر الله
تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا نجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة اسحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر
به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة الذبيح من ابني ابراهيم وبشر بنبوة اسحق
بعد ما من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يا بن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح
اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده والذي أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت
ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا الشيء ما كنت أنظر فيه واني لارا
اذلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود
فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أي ابني ابراهيم الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال
والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان أمر الله
بذبحه ما فيه من الفضل الذي ذكر الله كان منه بسببه على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان
اسحق أبوهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صحيح بالاجماع لم يعزه
عبد الله الى غيره * فأما الرواية التي روت عنه ان الذبيح اسحق فانبأنيها أبو عبد الله بن الحسين بن محمد بن العباس
ابن عبد الطالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أراد ابراهيم أن يذبحها اسحق وعن صلى الله عليه وسلم
انه قال الذي فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن يحيى بن حمدان أخبرنا يوسف بن
عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد
المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يارب سدت بيني
وبين جدتي بنفسي للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ فيقول الله وعزتي لا أدخل النار من لا يشرك بي شيأ
أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزني قراءة عليه سنة ثلاثة وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدي أبو
بكر بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة أنبأنا علي بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن أختبئ شفاعتي فاخترت شفاعتي
وهي نجوت أن يكون ذلك أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتجلت منها دعوتي وذلك ان الله تعالى
لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال اما والذي نفسي بيده لا تجعلها فداء لذنوبة الشيطان
ممن مات لا يشرك بك شيأ فاغفرله وأدخله الجنة * وأما الرواية التي روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح

وأما البيت الذي قهادا آكون
عاصيا لربي وربما
*(وحكي عن الامام
محمد بن ادريس
الشافعي رضي الله تعالى
عنه انه قال) * رأيت
بمكة شيخا تباين عن
بالاسقف وهو يطوف
بالكعبة فقلت له ما الذي
زهدك عن دين آبائك
فقال بداءة سوء رأيته
فقلت كيف كان ذلك
فقال وقع لي سحابة
غيبة ونكتة غريبة
وذلك اني ركبت البحر
في مركب فلما توسطنا
البحر انكسرت بنا المركب
فخرجت على لوح منها فما
زالت الامواج تدافعني
حتى رمتني في جزيرة من
جزائر البحر فرأيت فيها
أشجارا كثيرة ولها ثمار
أحلى من الشهد وألين
من الزبد ورأيت فيها
ماء عذبا فقلت الحمد
لله على ذلك فها أنا آكل
من تلك الثمار وأشرب
من ذلك الماء حتى يأتي
الله بالفرج فلما ذهب
النهار وجاء الليل نمت
على نفسي من الهوام
والهوام فعلوت شجرة
وجلست على غصن من
أغصانها فنمت على
ذلك الغصن فلما كان
وسط الليل اذا دابة على
وجه الماء تسبح الله
تعالى بلسان فصيح
وتقول لا اله الا الله
العزيز الغفار محمد

اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصباحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال علي المنبر سلتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أحد على ما أفاء الله علينا يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان قال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائتين من الابل والثاني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على أنه اسمعيل فما ذكرناه من سياق القرنين وقد صح الخبران قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل * (وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام) * قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك أي رأيت لفظا مستقبلا ومعناه الماضي فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجا ما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فان الموت شديد فاذا أتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت أن ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما أمر الله به نفعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استتبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجز ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبني على وجهي فانك ان نظرت الى وجهي رحمتني وأدركتك على رقة فتحول بيني وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ولوى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبحتك فداء لابنك فاذبحه دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أقرن فذبح الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة فترعى في الجنة أربعين خريفا وروي عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به النحر من منى فذبحه فهو الذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قرناوحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن

الحسن

رسول الله النبي الصادق
أبو بكر صاحبه في الغار
عمر مفتاح الامصار
عثمان المقتول في الدار
علي سيف الله على
الكفار فعلى مبغضهم
لعنة الملك الجبار وماواه
جهنم وبئس القرار
فان قالت تقول هذه
الكلمات الى أن طلع
الفجر فلما همت
بالانصراف قال لا اله
الا الله الملك الحق محمد
رسول الله الهادي
الرشيد أبو بكر الصديق
الصادق الشديد عمر بن
الخطاب سور من حديد
عثمان بن عفان القتيل
الشهيد علي بن أبي
طالب ذو البأس الشديد
فعلى مبغضهم لعنة
الرب المجيد قال فلما
وصلت تلك الدابة الى
البراذا رأسها رأس
تعلمة ووجهها وجه انسان
وقوائمها قوائم بعير وذنبها
ذنب سمكة فخفت على
نفسي منها فالتفتت الي
وقالت قف فوقفت لها
فقالت لي ما دينك فقلت
لها دين النصرانية
فقالت بئس الدين
ويحك يا غادر ارجع الى
دين الحنيفية فقلت قد
حللت بفنائك قوم من
مؤمني الجن ولا يشبو
منهم الاكل مسلم قال فقلت
لها وكيف الاسلام
فقالت تشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول

www.alkottob.com

الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بكبش من الاروى أهبط عليه ثبير وهي رواية أبي صالح عن
ابن عباس قال كان وعلا * وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم في
المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والام أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل له
الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب
فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال انه يزعم ان الله أمره
بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي اسلامه لامر الله تعالى فخرج
الشيطان من عندها راجا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك
قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فافعل
ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ
قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه
ابراهيم فقال له البث عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس اخنس الله بغيظه لم يصب من ابراهيم
ولأهله شيأ مما أرادوقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده * وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب
الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع
حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام
لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولابراهيم المسوق بنذره * احتسابا وما سد الاجلال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال
* أبني اني نذرت لله شيخا فاصبر فذلك المال
واشرد الضد عند جهدي للسكين سجدا لا سير للاذلال
وله مدية تخايل في اللحم غلاما بجيده كالهلال
بينما يخلع السرابيل عنه * فكه ربه بكبش حلال
فدى نفسا فدا لابنسلماني * للذي قد فعلته ما سبقالي
وعما تجزع النفوس من الامر له فرجة لمثل العقال

(الباب السادس في هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى فدمكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون * روت الرواة بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان في الارض النمرود بن كنعان وكان
الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمرود اذا مر به
الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال الرب الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي
وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورد ابراهيم بغير طعام
فرجع ابراهيم الى أهله فر بكثيب أعفر فقال لا تحدثن من هذا فأتى به أهله فتطيب به فلو بهم سنة أن أدخل
عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق
رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أقامت قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال
لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمرود الجبار
ساجه ابراهيم عليه السلام فيربه فقال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء فبنى
صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس وهب
كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة

الله قال فقلتها فقال لك
اسلامك بالترضي عن
أبي بكر وعمر وعثمان
وعلي فقلت ذلك ثم قلت
لها لم أخبركم بذلك
فقالت قوم حضروا عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعوه يقول اذا
كان يوم القيامة نادى
مناد بلسان
طلق اللهم انك قد
وعدتني أن تشد أركاني
فيقول له الجليل جل
جلاله قد شددت أركانك
بأبي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله تعالى
عنهم أجمعين ثم قالت لي
الدابة تريد أن تكون
عندنا أو الرجوع الى
أهلك فاخترت الرجوع
الى أهلي فقالت امكث
مكانك حتى أرسل
مركبا فقالت فمكثت كذا
ونزلت الدابة الى البحر
فغابت عن عيني غير
ساعة واحدة حتى مر
علي مركب عظيم وفيها
ركاب فأشرت اليهم
فأقبلوا نحوي فلما
فاذا في المركب اثنا عشر
رجلا كلهم نصارى
فاخبرتهم بخبري وقصصت
عليهم قصتي فأسلموا
كلهم فعلمت أن هؤلاء
الاقوام سر اعظيما اذ
بركتهم حاصل لنا
الاسلام ولنا أعلى مقام
ولله الحمد على التوفيق
وبلوغ المرام وأنشدت

افراخ من النسور فعلقها باللحم والخبز وربأها حتى ثبتت واستقلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى أبعدت في الهواء فقال النمروذ لغلامه افتح الباب الأعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل فانظر الى الأرض كيف تراها ففتح فقال أرى الأرض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الأعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي الباغي أين تريد فقال عكرمة فامر عند ذلك غلاما فبرى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا باللحم فقال كفيت شغل الله السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه في البحر ففرعليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل رب غيري فاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كذلك ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجابر من أرض كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدا وأشبق ومشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وأهيم ولوطان وتانس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل أكبر ولده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقد لوا لابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم عاهدهم اسماعيل أيسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها

فاه فيدخلها في فيه مرة ثم اذا أدخلها في فيه ومصات في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وجبل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر ساره في مزرعة حبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا مع ضيف ويمشي ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضافته عائشة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى توقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتجعله كل أمة بقضيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يتجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحق في التوحيد وقد عا الخلق الى الحق بلسان الجنان من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو نصور الخشاري حدثنا أبو عباس المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرئ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن فنويه أخبرنا محمد بن خلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من نرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من مولده اختتن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين السارة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمرو بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا مهدت فلا ترالا رض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه قال ذلك قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك بذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك مدرة وسمحى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو

www.alkottob.com

الذى كان اذا سار وتمنى سار واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته فقال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (وروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) ابو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومؤونة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه ولله من كل محذور يتقيه

(مجلس فى ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها وانه لما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قد علمت ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل ومسام ومسمع وذوما ومساو حراه وفيما وبطور وناقس وقيدما ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه أنى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن *وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما أرادت ان تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى فاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيص يا بنى أطعمنى لحم صيد وافترب منى ادع لك بدعاء عادعا لى

بنفسى ونفسى انتابه
فعسى أن يفعلها فقلت
حدثنى يا أبا الوليد فقال
غزونا أرض الروم فى
سنة ثمان وثمانين وكان
معنا رجل يقال له سعيد
ابن الحرث وكان ذا حظ
من العبادة يصوم النهار
ويقوم الليل فان سر نادرس
القرآن وان أفناذا كر
الله تعالى فجاءت ليلة
نحطنا فيها فرجعت أنا
وأياه نتعرس القوم وكنا
محاصرين العدو وعند
حصن من الحصون صعب
علينا أمره فرأيت من
سعيد من العبادة فى تلك
الليلة وصبره على التعب
ما تعجبت منه فلما طلع
الفجر قلت له رحمك الله
ان لنفسك عليك حقا
ولو رحمتها كان خيرا
لك فبكى وقال يا أخى انما
هى أنفاس تعد وعمر
يفنى وأيام تنقضى وأنا
رجل أرتقب الموت فقال
فابكانى ذلك فقلت له
أقسمت عليك بالله ما دخلت
الخيام واستترحت فدخل
ونام قليلا وأنا جالس
ظاهر الخيمة فسمعت
كلاما فى الخيمة ولم يكن فى
الخيمة سواه فتقدمت اليه
فاذا هو يتكلم فى نومه
ويتكلم بكلام فحفظت
من كلامه ان قال لا أحب
ان أرجع ثم مد يده
اليمنى كأنه يلتمس شيأ
ثم ردها ورد رفيقا وهو
يبسم ثم قال والليلة ثم

به أبي وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاتين واشوهما والبس جلدهما ثم قدمهما الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال الناس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له أدن مني فقبله فوجد ريح ثيابه فدعا له أن يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يابني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يابني قد بقيت لك دعوة فلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا علمكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل ويكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان احق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهور وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان لبا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى لبا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط بداءه يعقوب وهو في نادي قومه فقال له غررتني وخدعتني واصطلت علي سبع سنين ودلست علي غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل على في ذلك العار وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين فلما أن بعث موسى وأنزلت التوراة دعي له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له اثني عشر ابنا وبنتا وهم أسباط ربيل وكان اكبرهم روبيل وذا وثمعون ولاوي وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد يا غلامي بنيامين لان أمه راحيل ماتت في نفاسها وهو يامين بالعبرية الشكل وكان لبان دفع الى ابنتيه حين وجهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة وهو طئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروبالون وولدت له بلهة جاد وشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من لبا واثنان من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى لاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة المتفقة الكثيرة الاغصان الاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص لم يرمنه الا خيرا مازال أخاه وتألفه وتلطفه حتى تولت له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها صار ذلك لولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه اسمعيل بن ابراهيم ولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة حبرون والله أعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

هو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان عمه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام ي تعلق به ولصق ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لوطا ذاك ألوط أي ألصق بالقلب كان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب في المبتدأ أنه نهض من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت تاموذ بشخص معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات

وتاب من قومه وهو عائد
فاستقبلته الى صدوى عاليا
وهو يلتف عيناوشماله الا
حتى سكن وعاد اليه
فهمه فعل ما الى وتكبر
فقلت ما الخبر حدثني
فقال نعم فقلت سمعتك
يا أخي تقول لا أحب أن
أرجع وأيتك مددت
يدك ثم رددتها برفق
فقال لا أخبرك فاقسمت
عليه بقال وتكتم ذلك
فقلت نعم يا سيدي فقال
رأيت القيامة قد قامت
وخرج الناس من
قبورهم شاخصين
منتظرين أمر ربهم
فبينما أنا كذلك اذ
أتاني رجلان لم أر
أحسن منهما فسلما
علي فرددت عليهما
السلام فقالا يا سعد
أبشر فقد غفر ذنبك
وشكر سعيك وقبل
عملك واستجيب دعاؤك
وعلمت الك البشرى
فانطلق معنا حتى نريك
ما أعد الله للمسلمين المنعم
فانطلقت معهم حتى
أشرفت من الوقف
واذا أنا بخيل لا قبل لها
خيل كأن بها السرعة
الخاطفة أو هبوب
الريح العاصف فركبنا
وسرنا معها حتى انتهينا الى
قصر شاهق لا يبلغ
الطرف منتهاه كأنه منسج
من فضة وله نور يتلألأ
فلما وصلنا الى الباب فتح
بابه من قبل أن نستفتح
فدخلنا فرأينا شيأ

www.alkottob.com

تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وتخلص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها نمرود ونامن فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم ومايليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة منع من ورود بلدهم واتيانهم المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضاربون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويثوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تمادا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا ماشاة في صورة رجال ردحسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وجادلهم في ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة في هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها القوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة وذكر لنا عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال فذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدي) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنة لوط تستسقي الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له نحل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ينهوا عن العالمين فجاءهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالي) بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومها اذا أتتهم الضيفان يقول

سولها هيؤا الناس لما دعوهم بذلك الى الفاحشة باضيافي لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخهم لما قالوا فلما أخبرت
ر أقلوط قومها باضيافي فجاءوا جاءه قومه يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم
قوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن
عالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم
ل لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا بعث الله نبيا بعده الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال
لى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوط لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق
ط بابه والائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت
لائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير
ردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم
تح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فانتشر
ناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه مجلل مثل المرجان كأنه
ج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه
ن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون
جاء النجاء ان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحروا بأعيننا كما كنت حتى نصبح
وعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له
بريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا
أته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعهما مر أته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من
دنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع
ن في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم
اح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها ساقلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها ساقلها ثم أتبع شارديهم
سافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
بعد أي ممن يفعل كفعلهم أخبرنا الحسين بن محمد بن نحويه أخبرنا خلف بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن
ية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن
بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا سمع العواصف والقواصف من الرعد
شي أنهم الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل الفقيه ان
برنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني
صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلا عالما فسأله كم
ر به اللوطي قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
ل تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه فقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في
يته التي يكون فيها فأتيها الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهبيدة فالتعنت وقالت وا قوماه فأدركها الحجر
لها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم
ية وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل
عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أي خلفت فمسخت حجرا
نث تسمى هلسع وقال غيره اسمها راعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا
سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فذلك
ت المؤتفكات أي المنقلبات وأما القرية التي انذا منها فانها تسمى صغرة ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا
ط وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء فبأي اسم هالي قال

اليوم عندك وأتحول
في غد الى الاخرى ثم
مددت يدي اليها فردتها
ردا رفيقا ثم قالت أما
اليوم فلا فانك راجع
الى الدنيا وستقيم ثلاثا
فقلت لا أحب أن
أرجع فقالت لابد من
ذلك وستفطر عندنا
بعد الثلاثة أيام ان شاء
الله تعالى ثم نهضت من
مجلسها فنهضت أودعها
فاستيقظت يا أخي ولا
صبر لي عنها قال هشام
فبلغني البكاء وقلت
هذا لك يا سعيد جدد
فله شكرا فقد كشف
الله لك عن ثواب عملك
فقال هل رأى أحد
غيري ما رأيت فقلت
لا فقال بالله عليك
يا أخي اكتم ما سمعت
مني ما دمت في الدنيا ثم
قام فتطهر وتطيب
وأخذ سلاحه وتوجه الى
موضع القتال وهو صائم
فقاتل الى الليل ثم
انصرف فحدث الناس
بقتاله وقالوا ما رأينا
مثل ما فعل سعيد اليوم
سمي انه كان يدارع
نفسه تحت سهام العدو
وجاروهم فحكموا بشهوته
عليه قال فقلت في نفسي
لو يعلمون شأنه لتنافسوا
في مثل عمله ثم مكث
قائما يصلي الى آخر الليل
ثم أصبح صائما يقاتل
أبلغ مما فعل بالامس
قال أبو الوليد فانطلقت

وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتما مافتح أبواب الجنان أو النيران ففعلاها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري * أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد المقرئ أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزاز أخبرنا عبد الله بن قطبة أخبرنا ياسر بن نوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا * أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا خلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا له ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله * عن مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط الا كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

* (مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام) *

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة فأحسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن معاني التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجاز اة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني البديعة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

* (الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام) *

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفي بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

بكر بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
اختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا ينصرف وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت
استاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما سئل عن يوسف فقال
يوسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

ل الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية * أخبرنا أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد
ن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم
ل حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء
أيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا قال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر
أخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا محمد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب
خبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن
ب اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثة وجوهه على الجدران كما
ي نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذرية بمنزلة الزرع فاراه
نبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا
داء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك يمشون عن يساره سبعون
ف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه نجوم السعادة تزول معه حيثما زال
تحول معه حيثما مال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبهجته بهجة الكرامة وزفته الدرجة
عالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أتحبه قال آدم قد أحببته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم
م يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى
وسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره
نفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى
ع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى
حب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعط أحدا من الناس ثم أعطاه
علم تأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه
نعذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون بعيد ما بين
شعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين حسن اليدين أفنى الانف صعيد السرة
كان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه سلمة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر
كانت أهداب عينيه تشبه فواحم السور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع
نور يشرق من بين ثنايا ولا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام وبه نقال الله ورب الحسن
ن جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الواسطة بالعبرانية وهو ورث الحسن من أسارة
ن الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها اياهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء
لون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحدا من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حسنها في حلقه
ن صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف
سعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام
ال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل
عض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
دل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر

وصاح المسلمون ضجة
واحدة وحملوا على
المشركين وفتح الله تعالى
ذلك الحصن في ذلك
اليوم ببركته وحمد الله
تعالى عليه ونصره به
في الدارين آمين
*(ويحكى عن أبي يعقوب
البلخي رضي الله تعالى
عنه انه قال) * خرجت
في سفر أريد الشام
فوقعت في التيه أياما
حتى أشرفت على
الهلاك فبينما أنا
كذلك اذ رأيت راهبين
سائرين كأنهما قد
خرجا من مكان واحد
يريدان دربا لهما
بالقرب فلت اليهما
وقلت لهما أين تريدان
فقالا لا ندري فقلت لهما
من أين أقبلتما فقالا
لا ندري الا أننا في ملكه
وبين يديه قال فتعجبت
من ذلك وقلت في نفسي
ان هذين الراهبين
متحققان التوكل دوني
فقلت لهما أنا ذاهب في
الصحبة معكما فقالا ذلك
الملك فسرنا حتى أمسينا
فأما الى صلاة المغرب فجئت
وصلت فلما نظر الي حين
تحيت وصليت تعجب من
ذلك فلما فرغنا من صلاتهما
بعث أحدهما في الارض
فانفجرت عين ماء والى
جانبها طعام موضوع
فزدت تعجبا من ذلك فقال
لي أنت وكل واشرب قال
فاكلت وشربت ثم

www.alkottob.com

ليلة البدر فهو أحسن فى عيني من القمر

* (القول فى القصة) *

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا بني الله انه ليس أحد من اخوتي الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كأن قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى فى السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من اصولها وألقتها فى البحر وثبت غصن يوسف فى الارض فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا فوالله أن تدعى انك ولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان يتوهمه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذى أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتنى فقال يا بنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسمعت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقالت لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واشمأزت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره باسمائها فارسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكنفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شبامشتاو يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويمكروه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب

الصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثانى كما فعل الاول فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما ودا نى هم شديد وأمر عظيم وقلت فى نفسى اللهم انى أعلم ان ذنوبى لم تدع على عندك بها هوانا لكن أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تفضحنى عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جانبها فاكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبنى البكاء فلم أستطع رده فاصابهما مثل ما أصابنى وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لى ما يبكيك فقلت انى رجل مسرف على نفسى وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغنى هذه الكرامة فقالا لى وكيف ظهر لك فقلت اغاثوسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفضحنى معكما فاستجاب لى فقالا قد عرفنا ان دينه الحق وهو عند الله عظيم فامدد يدك فانا نشهد أن لا اله

ي أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين أي شيطانين في ايثاره يوسف واصاحبنا اقتلوا يوسف أو اطرحوه
رضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين فاستعدوا للتوبة فبسبب وقوع الذنب قال
ائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب وهو
بئر غير المعلوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أتجد المؤمن فقال للسائل ما أنت لشابي
يعقوب ولهذا قبل الاب جلاب والاخ سلاب مع ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في ارسال
يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف وما لكم
ما لقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف
عوفاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتباسكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل
اليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف آنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعي الغنم
ن تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انا قالوا الى أبي واسألوه أن
يسلني معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم
ن يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه
ي نزده الملك أرسله معنا غدا نرتع ونلعب في الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب اني ليحزنني أن تذهبوا
وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه
أى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منهم انحنى
نه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا
اف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب * أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا
بد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش أخبرنا خالد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
أنس الفزاري أخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما قدموا
قال اني أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال نحن أكثر منه عصبة أي عشرة رجال انا اذا
خاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كنت يأكله الذئب ونحن نشعر ان اذا غضب لا يمكن غضبه حتى يصيح
واذا صاح لا تسمع حامل الا وضعت ما في بطنها وهو ذا اذا غضب يشق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم
ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدي أبيه ثم قال له يا أبت أرأيتني معهم قال أو تحب ذلك يا بني قال
نعم قال اذا كان غدا أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع
خوته ثم عمد يعقوب الى السلة التي جعل فيها ابراهيم زاد اسحق فجعل فيها زاد يوسف وخرج ليشيعهم فقالوا
ي الله ارجع فقال يعقوب يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحبي يوسف أسألكم بالله ان بلغ أطعموه وان عطش
سقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا
أحدنا بل له الفضل علينا لحبك اياه فقال نعم يا بني أنه خليفتي عليكم مع اني نائف أن أكون فضيعت ثم انه
بل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا
(روى) السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن
شر بن جوبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كلب الاحبار عن سعيد بن أبي عروبة
ن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة
سابرزوا به الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلما
يئس منهم رحمها وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا
شديدا فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى
يوسف ان ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو علم ما تصنع بابنك بنو الاماء فلما

الا الله وأنت يا خير سؤال
الله قال فلما وخرجنا
بجيرها الى مكة شرفها الله
تعالى فاقمنا بها مدة
وخرجنا الى الشام
فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما
الا وهانت على الدنيا
وصغرت في عيني
(وأنشدت شعرا في المعنى)
لما رأيتك ماضيا
في القلب زادي الخاطر
وبقيت قبلك حيرا
والقلب ليس له قرار
فاصبح كوكبي بالرمل
جهرا فساعتها اصطبار
دارت على موسى الكلا
م فلا يحير الطور نار
لما لفت قلما ذاقها الا
حباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
والبيد بحر الهوى
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه حقا بالقلو
ب وعند ما نالوه صاروا
عاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لهم فاستبشروا
هذا زمان لاح لهما
قد زخرم البر من الاحسان
فرأوا الطريق وسلكوا
منهج التصديق وأنت
يا مسكين عمرك قد انقضى
ومضى في العصيان
وزمانك قد ذهب في
الخسران وأنت في بحر
الغفلة تغرق وقد هبت
نسمات القبول والتوفيق
وأنت ساكن تحت

هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا ألیس انكم قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فالطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والمقدس على قارعة الطريق في واد من أودية من أعلى ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهال من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر رسام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق على شفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أستتر به عورتي ويكون لي كفنا بعد مماتي وأطلقوا يدي أطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيها فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ملساء فوقعت عليها ثم جعل يوسف يبكي فنادوه فظن انهم ارسخة لقتلهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فالوا فلما ألقي يوسف في الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فغسل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجل من الجنة فأطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت بي يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فقواه وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لأبي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من أبي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا سامع كل مصنوع ويا باعث كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا محيي الموتى ويا حي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه الله عصمة من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يتغير وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصيرفي أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه أصاخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي نتفاضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه

ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون واما عملوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار
ويتزوروا مكروا فقد قالوا الا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبيح تعمله وتتبلج
في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاء امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى
هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء وعلقه * أم اللحية البيضاء لا تنفس ساعة
فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا وخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي نتناضل ونترامى كما يفعله الذئب الآية الى قوله بدم كذب
لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة أي طري فلما قالوا ذلك ليعقوب
بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونيه فجيء فأرومه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له
جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ
القميص وجعل يشمه تارة بقبله و يضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن
شاذان أخبرنا عبيد الله بن بات أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أسامة عن زكريا بن سماك عن الشعبي
قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه ان أكله الذئب لشق
القميص وجعل يشمه تارة بقبله و يضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن
شاذان أخبرنا عبيد الله بن بات أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أسامة عن زكريا بن سماك عن الشعبي
قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه ان أكله الذئب لشق
القميص وحين جعل يشمه تارة بقبله و يضعه على وجهه وعينيه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم
لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم و يخبر بكم بالملامة فقروا بابنا على
الذئب فتخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه حتى يعلم أبوه ذلك فقال لهم يهوذا اخوهم أن العهد الذي
بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لا أخبرن يعقوب بما كان منكم البتة لا أكون لكم عدوا ما ثبت في قبركوه
بالتراب ثم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب الذي ائتوني به فعمدوا
الى حبلهم وعصيهم فأخذوها وخرجوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم جاؤا به الى يعقوب
وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله ففعلوا فقال له يعقوب أيها الذئب بئس ما فعلت بولدي أقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدي
يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أنت الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أدرتني
فزبانطو بلا وألما عظيما فقال الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت ولدك ان لي ولدا وان لحومكم ودماءكم
محرمة على الانبياء لحرمة على ولدي ولكن ربي بلاني بالذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك
أرض كنعان قال جئت لاجل مرابة لي من الذئاب أزورهم وأسلم عليهم فعند ذلك قال يعقوب لا ولا ده بل سولت
لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس
فيما كان بين يعقوب وبين ولده حين ألقوا يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة
من رفقة تجارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في
قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فلما ذنب حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة
أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا
واردهم فأدلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ذهبي الا وشبه والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه
في أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان
قال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسر وبضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر
أصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعتنا ستبيعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن
يطلبوا منهم فيه الشركة فان علموا قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فلما مذ ذلك اليوم
فلما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ليوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته

الى يعقوب فقال الآن جاءت قافلة
وانه قريب الرحيل
وخفنا من المعرة
فساءت الناس و بكوا
وضجوا فقال الرجل يا قوم
معنا في السفينة رجل
صالح كان من أمره كذا
وكذا فاسألوه ان يدعو
لكم فأتوا اليه وهو نائم في
ناحية المركب فلفوفه
رأسه في الكساء قال
فأيقظناه وقلنا له يا سيدي
ما ترى من حالنا وما نحن
فيه من الشدة والعرق
فرفع رأسه الى السماء
وقال اللهم أريتنا ذلك
وقد رجوناك فأرنا حلك
وعفوك قال فما استتم
كلامه حتى سكن الريح
وهدأ الموج وسار
السفينة قال عبد الرحمن
فلما نزلنا من السفينة
سرنا أياما فهلكت من
الجوع وشكوت اليه
فانصرف وذهب الى
شجرة البلوط فملأ
الخرز ودعا من أورقها
ثم أتاه به الى وقال كل
فاذا هو رطب حسن
ما أكلت الذ منه ولا
أطيب قال وعلمني
دعوة في بعض الساعات
لبلا فة تكون اليه فذلك
فقال لي اشرب فنظرت
الى دلوه تدلى في الهواء
وفيه ما لم أذق أطيب منه
طعاما ولا أحسن منه
ريحا فشربت منه حتى
رويت فمكثت بعد ذلك
أربعة أيام لا

بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه بذلك فقوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أو بعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أو بعون درهما (واختلف) العلماء فى عدد الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيمن الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب فى استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم خمسة امشاة الى أربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تترجل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولدك من أولادك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد رأينا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقته وسار وابه الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه من الناقة الى القبر وهو يقول يا أمى يا حبيبتى حلى عنك عقرة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف وما لقى بعدك من البلايا أما لو رأيت ضعفى وذلى لرحمتينى يا أماه لو رأيتنى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب ألقونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالجفا قد رجمونى ولم يرحمونى وكاتباع العبيد باعونى وكايحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرنا مولاك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم أتمالك أن رمت نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما زلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت أسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى ثمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمر مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر وتوأمها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر وتوأمها الريان بن الوليد بن نزوان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وروى أن هذا الملك مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن تميم بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعالا وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعاييل قاله اسحق بن بشار وأخبرنى ابن فتحويه أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا أبو حامد المسيلى أخبرنا أبو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا تبنيناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسناء تاعمة فى ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى بسر حين أخبرنا على بن الحسين الهلالى أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته أكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر قال

أجبن ولا أعطاش فهذا
كله بيركنه قد در رجال
ماتركوا فى قلوبهم لغير
محبوبهم مجال قد أسبلوا
العبرات على الوجنات
(شعر)
قد در رجال واسبلوا
السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح
والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل
يعرفهم
اذا تفارقهم هم سادة برزا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد
هجرا
يمسى ويصبح فى وجد وفى
قلق
مما جناه من العصيان
منذعرا
يقول يا سيدى قد بت
معترفا
بالذنب فاغفره لى يا خير
من غفرا
سولت ذنبا عظيما لا
أطيق له
ولم أطع سيدى فى كل
ما أمرا
عسيته وهو برنى خير
مكترما
يا طالما قد عفا عنى وقد
سترا
يا طالما كان لى فى كل نائبة
اذا استغثت به فى كربة
نصرا
وانى تائب مما جنيت وقد
وافيت بابك يا مولاى
معتذرا
ليعسل تقبل عذرى ثم

أهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى يعنى زوجك قطفير سيدى انه أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان فعلت هذا خفته فى أهله بعد ما أكرمنى واتمننى فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت واينى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل فى الارض من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره وتنهاه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل بجدة الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها الملا رى من كافها به ولم يخف منها حتى خلوا فى بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن بشار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربى تعالى صورنى فى الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمى بصورة وجهك قال الشيطان يعنيك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا فقم فاطفئها فقال ان أطفأتها اطفأ فيها احترافى قالت يا يوسف البحيرة قد عطشت فقم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها منى قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك فقم فاقعد عليه حتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة قالت يا يوسف ادخل معى تحت الستر فاستر به قال ليس شئ يستر منى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفى بذلك قال سيدى أعوق بذلك منى قالت أما ستبدئ ما سقيه كأساً فسلبته ثوب الذهب فبقيا تربجه ويناسقا عظامه ثم ألقيه فى الاستبرق وألقيه فى القيطون يعنى الخديع لا يعلم به أحد من الناس وأوايل ملكه قليل وكثيره قال فان البراء يوم البراء قالت يا يوسف انى حسنة كثيرة الدر الياقوت والزمرذ فاعمل لذلك كله حتى تنفقه فى مرضاة سيدك الذى فى السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب بأحدى يديه الى جنب يوسف وبالاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعنى تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل عن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فقال يا بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدى) نودى يا يوسف لا توافقها غدا تلك مالم توافقها تصل الطير فى جو السماء لا يلحق ومثلك ان وافقتها تلك اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك مالم توافقها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان وافقتها مثل الثور الذى يدرث فيدخل النمل فى أصل قرنه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد بن ابراهيم بن

يوم الحساب اذا قومت منكسرا
وقد أتيت بذل راجيا كرم
اليك يا سيد السادات مفتقرا
هاذ نشفعت بالهادى النبى ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لو لم يكن فى الارض ما نبتت
زرعا ولا أنزل البارى لها مطرا
متى أسير الى ذاك الجناب متى
أحظى برؤيته أقضى بها وطرا
صلى عليه اله العرش ما ركضت
فوق وما زمزم الحادى له اوسرى

* (وبه) عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى وتفعنا به) * أنه كان يقول فى بعض مناجاته سيدى لئن طالبتنى بذنبى لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتنى بخجلى لاطالبنك بجود ك وكرمك ولئن طالبتنى بأساءتى لاطالبنك بأحسانك ولئن أدخلتنى النار لاخبرن أهلها بحبى لك فنودى يا أبا سليمان لا تدخلك النار ولا تعذبن بها أبدا بل ندخلك الجنة لتخبر أهلها بحبك لنا ولا تخبر أهل النار

خالد بن عمرو بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وفارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه علي بن الحسين في قوله تعالى ولولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فغطته بثوب فقال لها يوسف ما هذا قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحيي انا من خالق الاشياء كلها وعالمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففر اوامن ركوب الفاحشة وأما المرأة فطالبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها ما نعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب بالسين ابن عم راعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعني الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر يحذا الص قبل أن ياخذ ذلك قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فابيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من حاشية الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة صاحب اصطبل العزيز راودت فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطا بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انهن قلن انما دعاها الى حب يوسف لما بانت من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها ذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه

من الغارف والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأن طعاما وقرأ بعضهم متكأ بضم الميم وسكون التاء وهو كل طعام تحز له بالسكين وقال وهب اعتدت لهن أترجا وبطيخا موزا ورمانا وردا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس خبأته لمجالس الذي هن فيه يلوس فلما رأينه أكبرنه وهبلهن أي حرجن من رؤيته وقلن أيهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حر الايدي ألما لما شغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغني ان سبعا من الاربعين امرأة ممن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت امرأة العزيز عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت لتن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حبس عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أميل اليهن أي أصل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انه راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذر فاما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر واما أن تحبسه فحبسته فلما حبسته بعد علم بالبراءة دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك للملك ليس تبلهم ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس فلبث يوسف ثلاث عشرة سنين منها سبع سنين في السجن وحين قال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال للاتي تعلم انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * وذلك ان يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الا أنهما أحدثا ما أخبرته وصاحب طعامه واسمه حجلب والآخر ساقيه وأسمه بوصر فغضب عليهما الملك فسجنهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه واقفه على ذلك وكان الملك يتهمهما جميعا من يوم رأوا الملك بالملك واغتاله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ان سما الطعام للملك والشراب فقربا باباهم الى ذلك ثم ان الساقي تنكل عنه وخاف غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وا أمر صاحب الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرد ذلك الطعام في دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله اني أعبر الاحلام فهل لكم أحد يحتاج لعلم هذا العبد العبراني فتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأيا شيأ وانما كانا تعالما للخبر بما هو قال فقوم يل كانت رؤياهما حقيقة قال الاعمش وقال مجاهد ما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحبان فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فما لي بالنساء حاجة فقال أحدهما اني رأيتني في المنام أعصر خمرا أي عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وكان الطير منه تنشا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم

بخسورة قال ذو النون
فقلت لها يا بارية
بعمى قائمة نسلك أو
وعيسى أسخطها عنك
فقالت يا ذا النون علمك
بالسكون حتى تموت
اتلك مهوتة وارتض من
الله باليسير من القوت
يبني لك بيت في الجنة
من الياقوت فأوحى
الله تعالى الى نبيه داود
عليه السلام يا داود
أحبني وأحبب من
يحبني وحببني الى عبادي
فقال داود يا رب كيف
أحببك وأحبب من يحبك
وأحببك الى عبادك فقال
تذكرني لهم وتذكرهم
آلائي ونعمائي فانهم لم
يعرفوا مني الا الجميل
ولا يذكرون مني قبل أوحى
الله تعالى الى نبيها الى
عليه السلام يا ابراهيم
اتخذتك خليلا وأنا الله
خليلا فاعلم أن أحدا
على قلبك فاجعله شغولا
بغيري فستعلم عند ذلك
من فانا أنا أختار
لحبي ولو أوقدت النار
لم يلتهب قلبه مني ولم
يشتغل بغيري فاذا كان
كذلك أسكنته حيث
في قلبه فتوارت عليه
الملائكة فقربته مني
ووهبته لحبي فاي نعيم
يعدل ذلك عندي وأي
شرف أشرف منه لدي
فوعزتي لاشفين صدره
بالنظر الي وذلك اني
يحب لسن أحبني

عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليهم وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي صريضهم ويعزي حزينهم ويحتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وتوجروا ان في هذا الآخر ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك الا انا نحب أن نكون في غير هذا المكان منذ أيناك لما نخبر به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن ايثارك فكن في أي بيت شئت قال فكره يوسف أن يخبرهما ما سألا عما لم يعلم في ذلك من المكروه على أحدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما يعلمان على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن محمد بن محمد بن الوزان أخبرنا أحمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي روزبن العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والصحيح ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب يوسف بالسجن سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دون وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أنا المنذرين مالي أراك بين الخطيئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتي لا لبثتك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وأنيسك وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى لنبيه محمد حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك لبث في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته وافر حمه وارتفع رأسه

(الثواني) اذا كانت محبتي سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة كما قيل ان الله تعالى يقول يا جبريل اني فلانا وأريد فلانا فالحب بين يدي محبوبه قائم وخدمته ملازم وفي حبه هائم فما عليه من العاذل واللائم (شعر)

يا عاذل القلب في صبابته ... ولائم الصب في تصابيه
لو لم تلمني وخل عن عذلي ... فالحب معنى ولست تدريه
وفي ضميري من لا أبوح به ... وفي فؤادي من لا أسميه
قد أدهش الطرف في محاسنه ... وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده ... مغيب والغرام يبديه
وجهه حيث كنت واجهني ... لا شئ يخفيه أو يواريه
ان جئته ضارعا يأملي ... يقول ليبك في تعاليه
ها أنا دان ومنك مقترب ... فقد من الوصل ورد صافيه
وعن ذي النون المصري رحمه الله تعالى) انه قال رأيت فتى ظاهره مجنون وباطنه الفنون فعلمت انه محب مولاه مفتون فسمعته يبكي ويقول في مناجاته مولاي قربت المحبين وطردتني فما ذنبي وخصصتهم بالوصل وحرمتني فواكرب وواغربتي فواشوقي لقياهم واحنيني

ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤ يا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم يرمنها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ افتوني في رؤ يا ي ان كنتم للرؤ يا تعبرون اى تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما سما أى من الفتيين وهو الساقي واذكر بعد أمة أى وتذكر حاجتي يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون أى الى السجن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فاتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤ يا والصديق هو الكثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أى فتعلمك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤ ياه كأنها نهار وعرف الملك ان الذى قال كان فقال الملك ائتوني بالذى عبر رؤ يا ي هذه فلما جاءه الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف حجته أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منقصة يقول هو هذا الذى راودنا مرأتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك فجمع الملك عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين همت به يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف عرف أمانته وكفايته وديانته وعلم ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لاهل السجن بما يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا بيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا وقد كان الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية فاتاه فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فاعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال ان عند ان هذا علم تأويل رؤ يا ي ولم تعلما الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له اني أحب أن أسمع رؤ يا ي سنن شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من مدره وحمله سبع بقرات عجاف شعث غبر ما صدقت البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاشتملن السمان واخترسهن اخترا سهن وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد ما أكلهن اذا سبع

بد والنواة التي فوالذي
والذي هم في السحر
بمنا باتك وما الذي تبي
فوا أسفي ثم أندفق البكاء
والنحيب قال ذو النون
فرك مني ما كان ساكنا
وهيج من شوقي ما كان
كامنا فقلت له ما فقي ما هذا
البكاء فقال يا ذا النون
اخبرني سواد الثوب
يزول بالماء والصابون
وسواد القلب يزول بماذا
قال ذو النون فقلت أنا
والله في طلب ما أنت في
طلبه وما رفعت منه الا في
الحيرة والنحو أنشد
يقول شعرا
رأى سوادي فقلت ويل
أشد منه سواد قلبي
طلبت منه المحال فقال لي ليس ذا بمحب
كذلك قلبي به سواد
فازددت كربا على كربي
(الحواني) مكث ذا النون
المصري في القلوب فاستنار
بانوار المعرفة حتى قال
بعض من سمعه أشياء لا تتم
معرفة الرب الا بها
اشياء من استغنى عن
الدنيا ومن عف في العزلة
عن الناس والصدق في الله
والشوق الى الله ومن حسن
الظن بالله والوفاء من
الله فهذه السبعة لا تتم
معرفة الله الا بها كما ان
المصباح لا يوقد الا
بسبعة أشياء لا بد منها
الزناد والفتيل والخرق والدهن
والكبريت والمسرجة
والزيت والفتيلة فهذه

سنبلات خضر وسبع أخر سودا يابسات فى منبت واحد مع قربهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا مستغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيم الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وحشيه علفا للدواب وتأمر الناس ان يرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحى فيمتارون منك فتحكم فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه وبيعه ويكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أى كاتب حاسب وقيل حفيظا لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة بليغ من يأتينى فقال له الملك ومن أصف به منك ولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرنى) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن خلد بن على به أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن على به أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخرجه ذلك سبع سنين فأقام عند الملك فى بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال الملك ليوسف انى أريد أن تخالطنى فى كل شئ غير أنى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى أنا ابن يعقوب بن اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعا الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بحلاه وأمره بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا بتاجه كالشمس ووجهه كالقمر يرى فيه سبعون بياضا ووجهه الباطر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه ووجل يوسف مكانه ثم مات قطفير من قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها ألیس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيم الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جبلك الله فى صورتك وهيئتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف ووجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف الملك بمصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين والخبر فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

ورب مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفسوح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد انخلاص من السجن

قال فلما طعم أن يوسف فى ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت الجدبة جامت بها ولم تعهد الناس مثله فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فيينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود ومن الذهب والفضة حتى لم يبق فى

لا سبيل الى ايقاد المصباح فاذا أردت ياهذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وسراج الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح فى سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نوره فى قلبك * (وحكى عن محمد بن أحمد المقيد رحمه الله تعالى) * انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطى رضى الله تعالى عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله تعالى فقال ياسرى خلقت الخلق فادى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا أردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فالذى تريدون وبما الذى تطلبون فقالوا أنت.

مصر درهم ولا دينار الا فيضوا باعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى استوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى استوى عليها أجمع ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الصغار أو الشعير من سنة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا صار للملك وباعهم في السنة السابعة بأرقابهم وأرضاعهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا ما رأينا ملكا أجل من هذا فأين أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما تري في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وانا نحن لك تبع فقال يوسف فاني أشهد الله وأشهدك اني قد أعتقت أهل مصر جميعا وردت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (ويروى) ان يوسف أمر طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار وعشاءه في اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويعود على الصالحين ففعل الطباخ ذلك ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه فقالوا أيها الصديق أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وامسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فلما بلغ بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ورعاة فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لما أراد الله تعالى أن يريه ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان فارقوه في الجب بين ان دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان مر ببازي فرعون مصر فكانت على مثال البازي جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبين سرير فلذلك أنكروه وقال بعض أهل الحكمة لو ورد ذلك لانكروه قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فما انظر اليهم يوسف وكلمهم بالعبرانية قال لهم اخبروني أنتم وما أمركم فانكم أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق اسمه يعقوب نبي الله تعالى فقال له يعقوب فكم أنتم قالوا نحن كنا اثني عشر رجلا أصغرنا ابن لابينا وهو الى جانب ابينا وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمنا فأبونا تسلا به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أنم الملك انا بلاد لا تعرف فيها قال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرى بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه ويشتد وجده عليه قال فدعوا بعضكم عندي رهنا حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أربعهم بيوسف فلما رجعوا عنه ذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا للمنزلون فقال عند ذلك يوسف لاخوته أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت دراهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا فلما رجعوا الى رحالهم نظروا فاذا بضاعتهم في رحالهم فعرفوها وقالوا يا أبانا ما هذا كنا نعطي الثمن فقال يعقوب هذا من صنع يوسف فلما رجعوا الى أبيهم وأخبروه بما جرى لهم قال يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما

الزاد دولي فطمتنا بالبلاء
لم نحل من الهم بنو الوداد
فقلت لهم اني سقما
عليكم من البلاء
والاهوال ما لا تقسموم
بحملها الجبال أتصبرون
على البلاء قالوا بلى اذا
كنتم أنتم المبتلى لنا
فاعمل ما شئت بنا فهؤلاء
عبادي حقا وأسباطي
صدقا (النحوائف) البلاء
وكل بالصين قد أضنى
منهم الاجساد وتكاد
من الكروب فلا يزالون
كذلك حتى يصلوا الى
المحبوب وأشد هذه
العارفين بقولهم شعرا
بين الله للاحباب سبلا
عماؤه
هو وهو أخوان وحيد الأب
الضر
وسماؤه كريم وهو
وسقمه
سقام والآلام (تشقى) ا
الصدد
وأدناهم يعقوب أعلوى بالله
وقال ابنهم صلى
عليهم الصلوات
ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام وقيل انه
انما قال كان صديقا لان
من الذنوب ولم يكن
بالاخلاص وكان يدعو
في يعس الايام والليالي
وكان صائم الدهر قائم
الليل فبات عندي ليلة
فقدمت اليه العشاء
لينظر عليه فلم يفعل
عندي الا بعد صلاة
صلى العشاء الاخيرة
أجزم وقام يصلي الى

أوليقتلنا ثم انه قال لهم أين سمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لما أتيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فارسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعد ما تو كانت على قالوا ولما فتحوا امتعتهم الذي جاؤوا من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا وغير أهلنا ونمتار طعاما ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بعهد من الله وميثاقه لتأتنني به الا أن تموتوا جميعا أو تغلبوا فحلفوا له فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات عتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لهم أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا الخوننا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وجعل يبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أشوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه وينعم به حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه وذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له ما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتقت اسماءهم من اسم أخي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد امتطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعاو أخبر وأشكل واحيا وشبير ونعمان ودرود ورأسي وسيم وعيتم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أتى بتلعته الارض وأما الخبر فانه كان بكر أصحاب أبي وأما اشكل فانه كان أخا لابي وأمي ومني وأما احيا فلكونه كان حيا وأما شبير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما رودفانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما سيم فاعلمني أبي انه حين وأما عيتم فلو رأيت غربته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون أخا لك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا أفارقك قال يوسف اني قد عملت باغتمام الوالد فان حبستك زاد همه ولا يمكني حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني ادس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة لتبقيا لي ولا يرد بعد شر يعمل قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاس من ذهب مكللا من صعابا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها

السحر فسمعته يقول في مناجاته سيدي ان تعذبني فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عبيسة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال ياسيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلي قلبه بالهجران فسمعها تقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا

في وصف حبك ما يغني عن العذل
وفي حديثك ما يأتي عن العذل
ملكت كلي فكلي منك مشتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبل
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمضمحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل
(أو من أبي بكر بن عبد الله رضي الله تعالى

ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما اقترب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونفعل لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا او افسدنا شيئا وانا قد رددنا الدراهم التي وجدناها في رحالنا ولو كنا سارقين ما رددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كعموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيئا فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يشرب فيه وانه ائتمنني عليه فان لم أجده خفت ان تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيئا فقالت اخوته والله ما نترككم حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا نزال نلقى منكم البلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم البلاء ذهبتم بأخي الى البرية فأهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده أبي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنما لخاله من ذهب فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فأعطاها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته ابنة اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا اختاه سلمي الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب بالتسليم قالت دعه عندي أياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لي أصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فأتاها يعقوب وأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو سلم لك لا أستطيع غير ذلك فامسكته فما قدر عليه يعقوب بأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصاع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعي هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صاعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال هو حي وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك اني أريد ان تضرب صاعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي فنقره ثم انه قال ان صاعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن

بادية العراق وأنا [illegible] أحمد [illegible] فبينما أنا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت على السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام فقالت أرى سمات [illegible] الطالبين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيئا من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ علي آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت علي آية فاقشعر جسدي لقراءتها ثم قالت اقرأ علي ثانيا ما قرأته قال فقرأتها فشهقت مثل ما شهقت في المرة الاولى ثم [illegible] [illegible] فقلت في نفسي [illegible] ذاهبا وتركتها [illegible] [illegible] [illegible] غلامان ومعهما ابل [illegible] فقال لي أحدهما [illegible] على الخيمة الشعر التي في الفلاة قلت نعم قال أمرتها شيء قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى انتهينا الى الخيمة ودخلنا على العجوز فكشفنا

www.alkottob.com

سجية لا يبقى في صدر امرأة حامل الا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فهربت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس احدهم الارض ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه وقبل ومسه فقام الغلام الى جنبه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت لشأنا ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال يا ابن الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا فما أراد يوسف أن يحابس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه وراء ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخلي عليهم ويعلونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز انه أبا شيخا كبيرا كما تعجبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في هذا الغلام لترد نه ومن قبل ما فرطتم في يوسف أي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فان أبرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي أبي فارجع الى الملك فاعتذر القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته وما كنا للغيب حافظين حين سألنا ان نرسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعني واسئل أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا لصادقون في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وثكل قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غفلتهم وجفوتهم انما أشكو بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض بنيه انك قد أضر بك الدهر وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يا رب بخطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله (أخبرني) الحسين بن محمد بن حمد أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا عبد الله بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن سالم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب بما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لاخرجتهما الي حتى تنظر اليهما واغا وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الي من خلقي الاضياف ثم المساكين فاصنع طعاما واوع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك ذبحت شاة فقام بابك مسكين يستطعم فلم تطعمه منها وأنا كنت ولي تعلمه (ويقال) ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فاحب الله يذلك ابتلاءه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من

من وجه الجور فاذا هي
مية فتعجبت من ذلك
ثم قلت للجارية من
هذان الغلامان فقالت
هما شريفان جعفريان
وهذه أختهما ولهما منذ
ثلاثين سنة لم تستأنس
بكلام أحد من الناس
واذا نزلوا واد اعتزلت
عنهم بعيدا وضربت
خيمتها في الفلاة فكانت
تأكل في كل ثلاثة أيام
مرة واحدة رضي الله
عنها (الحواني) الى متى
تشتغلون بالاسنات
الفانيات عن الباقيات
الصالحات بادروا الى
الاوقات واستدركوا
الهفوات وكفوا عن
الشهوات أما أيقظكم
منادي الشتات أما هزكم
حديث الصالحين
والصالحات اذا ما النهار
قطعوه بقاطعة الاذات
واذا أقبل الليل ضجوا
بحنين الاصوات ليس
لهم الى غير حبوبهم
التفات (شعر)
سباتنا باطل نمر ور
وعمرنا ذاهب قصير
والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضي وليس يدري
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكري الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير
(وعن السري السقطي
رضي الله تعالى عنه)

يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدي لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت في المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حي يرزق وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكاظم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخل هذا البيت وقد أغلقت على نفسي باب كيلا يدخل علي أحد وأشكو بثي وحزني إلى الله فقال له يا نبي الله أنا الذي أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فأنت إذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتني هل تقبض روح من تاكله السباع قال نعم قال فأخبرني عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فبقي يرتاد أمره داعيا فقال يا نبي الله ما بعثك الا مساءا فان الله تعالى لا يمتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي على قرار الارضين وما أذن الله لي في زيارتك الا لبشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكر الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد ولدك وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جدية فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا فرحم العابد الصالح بكاؤها وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم فتارا الشوى فلم تطعمه شيأ بعد ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر ان يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمها على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكر عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا برضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال وقتادة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلي فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين فقد كانت الصدقة حلالا لنا فحرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف حينما رأى ما بهم من سوء الحال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان سببا في فرح يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبت نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حتى لاخوته ان مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قومه بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعناه هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهب ابراهيم ليقتلهم فولى منهم فولى وذا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن انفرد واحدا منا حتى كف بصره فكيف اذا أنا أخبرته قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بقميصك الينا فانه يكون كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وتبسم وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر الطاهر العدل الوفي الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فابتلي بالنمرود فشد وثاقه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشد يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما انا فكان

أنه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والظهر يطلع من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصري الى السماء وقلت الهي لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت فمه وانصرفت فلما أفاق أخبره جماعة من الناس ان السري السقطي فعل معه كذا وكذا فغسل الرجل واستحى ولام نفسه وبخها وقال ويحك يا نفسي اذا لم تستحي من الله ومن أولياء الله فمن تستحين ثم تاب وناب عما كان فيه وأقسم على نفسه أن لا يعود قال السري فبت تلك الليلة متفكرا في أمر ذلك الرجل فرأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا سري أنت طهرت نفسه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك قال السري فلما أصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم علي وقال جزاك الله عني خيرا قال السري فقلت يا سيدي وكيف تسأل عن حالي وقد أخبرك به المولى الكريم حين قال وقد طهرنا قلبه من أجلك قال السري فحينئذ

لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنت حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليه لتسعة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فاسمى بهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لذكر ذلك يوسف قال فاسميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكر ذلك به قال فاسميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكر ذلك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوها بثنايا يوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم آثروا بالفضل يوسف عليهم وحزنهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدى وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا وائتونى باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أى تسفهون (وروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمانى ليال (وقال مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدى العير وقال السدى قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف أكله الذئب فاعطنى اليوم قميصك لاشبره انك حى ففرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حافيا راجلا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما ألقاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن يأتى يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذى سلطك على قبض نفس يوسف فهل قبضت نفس يوسف من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى

من ذلك وقلت من أخبرك بذلك فقال الذى طهر قلبى من سواه وجاد على بعفوه ورضاه (وعن السرى أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال دخلت الجبانة فرأيت بهلولا المجنون على قبر متمرغا على التراب فقلت له ما يجلسك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذونى وان غبت عنهم لا يغتابونى فقلت له ياهذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما أبالى ولو صارت كل حبة بدينار علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضى الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له ياهذا الى متى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك جليسك بالجبار ثم الدار فقال لها الذهبى يا مجنونة فقالت لست بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه وجليسه ألا ترى الى آدم عليه السلام لما كان فى الجنة برتع فلما تعرض له ابليس للاكل من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما سلم سرمولاه قربه واجتباه ولما طرح فى النار صارت عليه بردا

الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه وانغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن تويان البصري أخبرنا اسحق ابن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن ربا بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي *(وروى)* ان يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه باهله ووالده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كان يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما سلما خروا على يوسف آذري اليه أبويه ورفعهما على العرش وأباهما يعقوب وساق الحديث فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا لرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى وعدتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون وجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وملكه فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدي الى كل هذه القراطيس وما حملت بما فيها تكتب الي كتابا فقال ليوسف هذه القراطيس كلها الملك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة فأكتب اليك يا أبت فيأتيني جبريل ان اكتب اليك فاترك ذلك في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال اصنع ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري *(وروى)* صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أبانا ابنك عسى أم سلم ثالث ثلثه قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال مالكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فاستغفر لنا عفوتم عنا قالا بلى قالوا فان عفو كلا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله سله هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جميعا فرت أعيننا وطابت قلوبنا والا فلا فرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ يستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد استحقت موالاتهم بعدك على

وسلاما وأنشدني قول شعرا

فسر وحي وريحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم أنافس في هوالك ولم أغر
عليك ففي من ليت شعري أنافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار وبيت طاهريا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركنت الى في ميدان سيوتي وعثرت في أذيال زلتي في برية شهواتي ومالي غيرك أعتمد عليه ولا أعرف بابا غيره بابك الكريم أدعوها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك وأنت بجنابك فان لم تغفر لي فواذلي وحسرتي وان لم تعف عني فواطول عبرتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من أول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما بلغ كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى اني اذا لفي ضلال

النبوة فقالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة باشبع حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج معه يوسف فى عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا فى يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا فى بطن واحد وقبرا فى قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه فى ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فاراد نعيم الجنة اذ هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبى قبله ولا بعده الموت فقال ربى قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية * (وروى) * ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بنى اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبى الله نشهد أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعدك وبمن نستظهر وبمن بين أظهرنا والى ما يؤول اليه أمرنا ودينا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربويبة فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيى نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بنى اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على يده قال فجعل كل من بنى اسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولا يتمتى اذا انقضت مدته ولا يته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبى فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجوله واكتأبوا وأيقنوا بهوى أركان دينهم وانطلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا ذلك واجمعين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدفوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن فى محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن فى النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره فى النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر بنى اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبى موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة ترحلها وعنز تحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم أعجزهذا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بنى اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت له وتعطينى سكمى قال وما حكمك قالت ان أكون معك فى الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (وروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت بقيت عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد الى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان أعطها ما سألت فانك انما تعطى على فعل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال) أهل التاريخ عاش يوسف بعد موت

يعقوب

بين الحمار فى بلى فحسره
سخر اليه الملك فقال
له مارأت وماد ينك فقال
انى آمنت بربكم فاسمعون
قيل ادخل الجنة قال
يا ليت قومى يعلمون بما
غفر لى ربى وجعلنى من
المكرمين * فتلدرهم من
أفواهم قاموا يناجون
الحبيب والناس فى
غفلاتهم نائمون ويتعاملون
أثقال الوجد والغرام
ويفرحون بالليل اذا
جن الظلام فهم فى
جنات الخلد يتنعمون
والى وجه الحبيب
ينظرون الا ان أولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون شعر
لله قوم بذكرهما شتغلوا
وفى حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرحا
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب
هام ولم
يكنه منزل ولا ملل
بروحهم فى وصاله سمحوا
وحققوا ربهم وما جهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
أنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب فى
هواه وقد
لذلهم فى رضاه ما حملوا
(قيل) كان أبو يزيد
البسطامى رحمه الله تعالى
يقول فى مناجاته الهى
استحيت من حيائك
وأنا عبد حقير وانما
أتحبب من حبيبك الى

يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(مجلس في قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام)

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى ابن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا وغلوا وظهر فيهم ملوك غير واسبرتهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك اني بريء من سحر أو سحرله أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بي صادقا وتوكل علي فاني كفيته كائنا ما كان فيما بينه وبين دنياه وكنت له خير معين وذهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت منه أشد تباعدا ومن تقرب الي كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادي لا تغفلوا عن ذكري وليكثر ذكرهم الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له فدخلت أبي شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا فلما دخلا لانها رجافنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا شيء بهما من أطيب عود وعليهما نجوم من يواقيت أحمر وياقوت أصفر وياقوت أخضر مصنوعة اقد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور ومعلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور ومصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه الياقوت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وينادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أعجبه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت ونبعت أنهارا تجري في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وينادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وينادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه بأن خاصه فأخلص حتى قدم على معاوية فقابله ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها فقال له وما هو فقال اللؤلؤ وينادق المسك والزعفران فقال له أرني اياه فعرض عليه ما حمله من تلك المدينة

(وكان) يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته الهي ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليل بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليل (قال) بعض العارفين رضي الله تعالى عنا اطلب محبة من يزرع في أرض القلوب ويسقي بماء العقول فهو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا (ومن) أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه كما يكره أحدكم أن يقذف في النار (ومن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون في جلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي (وقيل) كان لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية وكانت من أولياء الله تعالى قال فرأيتها في بعض الليالي وقد قامت من منامها فاحسنت الوضوء

من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجدلها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي أحد مثل ما أعطي سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة في زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخولها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها ما يعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق اني دعوتك لامر وجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرني يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الازقة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت اني سأسأل قبل ان يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أتبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها من جملة الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي أحدهما شديدا والآخر شداد فهلك عاد وبقي ولداه بعده فلما كبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما الا دخل في طاعتهما لا في شرق الارض ولا في غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما ملكا شديدين عاد وبقي شداد ذلك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة في الارض وأوسعها واعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف وانهار سواقي تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فاني أرى في الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها في الدنيا وأتجمل بسكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فتبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم وجالا تخرج لكم ما في كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها أكثر من ذلك وما فيها مما لا تعاونون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا يأخذ ما يوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك القهارمة والقهارمة متفرجون في الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عفيفة نقية من التلال والجبال واذا هي بحبوحة مطردة فلما رأوا هذه صفة الارض التي أمرتهم بها فاختطوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وجعلوا تلين ذلك الاساس من دهن البان والعنبر فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك

اليهم الجواهر والذهب والفضة فنهم من بعث بالعمد ضربه ومنهم من بعث بالذهب والفضة مسنوعة مفروغا
منها فدفعوا كل ذلك الى أوائل القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له
معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد فى التوراة انهم
أقاموا فى بنائم ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية
يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل
العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت ولبس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال الذى لم
يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوا وأخبروه بخبرها فهم منها قال انطلقوا فاجعلوا اعلاها حصنا واجعلوا
حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل
علم منها على ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم به
قال فامر ألف وزير من خاصته أن يهيؤا أسبابهم ويعملوا على العقاله الى ارم ذات العماد وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه ان
يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه
أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها بلغ منها ومنعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث
الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من
كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهى مدينة مقام ذات العماد وانه
سيدخلها رجل من المسلمين فى زماننا هذا ويرى ما فيها فحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل
نصفه لنا فقال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه مثال يخرج فى طلب ابل له فى تلك العمارى
فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل ما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل
فقال هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى
ولم يفارقنى قال قد دخلها والاسوف يدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق
قد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحدا فقال يا أمير
المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيئا الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام
فسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل
من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت يسأل على البحر قال
كنت أسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس ينسبون تلك الجبال لها لم أحفل بما كنت
أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشد واحد بيت تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها وصفوا موضعها فقلت
قومى انى غبرت منذ عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصحبك
فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الباس وقوة القلب فهيأنا شعة وسمنا
دوات عظيمة مملوءة طعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان
شرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة خرجنا علينا ثلاثة
أشبال الشمسة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها
شرون ذراعا وطولها على نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية
عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هم الى يدك
لكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على
تكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى أرض عظيم حضورها
الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد
مسنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أشفى طول ذلك الارزج وعرضه وهو مضطجع على ظهره

وذا نخوليس له آخر وقريبا
منى قاربا من تقربه
منى شبرا تقربت منه
ذراعا فركبت موافقته
واتباعه فاجابت الروح
من دعاها بسم الله
مجراها ومرساها
فلما وصلت اللجة
توعرت سبيل الجنة
زلت حتى جمعنى فى تجمع
بحر يحبهم ويحبونه فاتا
بين البقاء والفناء حتى
وصلت الى ذلك الفناء
والهناء (شعر)
حروف المحبة معروفة
تبشرنا بابلوغ المنا
فهم الممات وماء الحياة
وباء البلاء وهاء الهوى
فلا تلتمس بلبيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
حيانا الوصال بعد النصال
فان نلق سهم القنا تلقنا
فلا تجزعن من نار النكال
وحر الوبال فطعم الهنا
ومن مثل ما ناله أهل
الهوى
فقالوا الى ان قالوا الذى
وما ضرهم حين نادتهم
على طور سيناء انى أنا
(وتحكى عن أبى يزيد
البسطامى رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما فى
سماعى متاذذا تحلونى
وراحتى مستغرقا فى
فكرى مستأنسا بذكرى
اذ نوديت فى سرى يا أبا
يزيد امض الى دير مكان
واحضر مع الرهبان فى
يوم عيدهم القربان
فلما فى ذلك نبأونى قال

كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه مسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم ير مثله واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مثل الهامل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطالعناه ودونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فمعناها فكانت مقدار مائة رطل فحملناها في أزرنا وأردنا ننادر فلم نر شيئا من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها ولو فتشنا عنها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا الليلة في ذلك الازج وطفئت الشمعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قال لصاحبي ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا هو الرأي فنهضنا عامدين من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد سخف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام نليلها ونهارها نتقوت ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع ننظر الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شافا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من الجزيرة قتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقصعلى ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب فعدنا الى الثقب فركبنا قاربا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح ممكث عندي مولا أجد أحدا يقرؤه لي حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حمير كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبروا أيها الغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأنو القوة والبأ ... ساء والملك الحشيد ... دان أهل الارض طرا ... لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر ... ب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعد ... ة فيه والعديد
جاءنا هود وحكنا ... في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلنا ... كان بالامر الرشيد
فعصيناه وناديـ ... ـنا الا هل من مجيد ... فاتتنا صيحة تهـ ... ـوي من الافق البعيد
فتوافينا كزرع ... وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دفن مع عاد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة هلك من بعده منزيد ابن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل أبيه الى حضرموت فعمل معاليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد ابن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة ابن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعدا في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فلبثت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فذهبت بها الى جبلين لها صغيرين سوى الجبلين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم

فقال

فقال الملك شدوها واقطعوها فلما وضعوا عليها آلة تذهبهم فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك
فضربتهم العرب بعد ذلك في أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس هم أوائلهم فأهلكهم الله تعالى (وقال
بعض العلماء) يعني انه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواشي فبعث الله اليهم
نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا
في البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيسجدون عنده ويتخذونه عيدا
فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج الهكم الذي تدعونه وتعبدونه الي وأطاعني أتجيبوني الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى
فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله
عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولي اليه وقال له ائتني طوعا أو كرها باسم
الله الكريم فنزل عند ذلك من على أحواته فقال له الولي ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم في أمرهم على شك فأتى
الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البر يجرونه ويجرهم فكذبوه بعد ما رأوا ذلك ونقضوا العهود
فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولي الصالح
الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل
(وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه
وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا قطعه مدبرا دخل في حد أرمينية واذا قطعه مقبلا
دخل في حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها
وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب
في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد
فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده فبعث الله
ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الأرض وكانوا اذ ذاك أحوج ما يكونون الى الماء ففجر
نهرهم في البحر وانبث ما في أسفله وأتى الى عيونهم من فوقها فسدها وبعث الله الف ألف من الملائكة أعوانا
له ففرقوا ما بقي في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى
وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشي فأماتها ربضة واحدة وأمر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور
والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم السبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع
ونفثته في رؤوس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من حلي وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته
فأصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل
منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين
وكان عدة الباقين من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف فماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم
الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع وماشية
ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم وأخلاصهم وعلموا أنه لا يبعث الله
رسولا الا من يليهم ويقاربهم الأخلاق وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على
ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم
أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكثرت معاصيهم أكثر من طاعتهم
وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من قاربهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم
الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما حولها مائتي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها
وكانوا صالحين فأقاموا فيها سنين ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيعيرها جاره
وأخاه وصديقه ليلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن

على خمسة الا نظر اليه
فقام اليه يهودي ولسانه
لا يفتر من التسبيح
والتقديس والتمجيد
فقال يا أمير المؤمنين اني
أريد ان أسألك عن
مسائل فان أجبت عنها
اتبعناك وان لم تجبني عنها
دلك الله الى الرسل عن اثري
من المعقول والمنقول والله
شاهد على ما نقول قال
فأخبرني عن واحد
لا ثاني له وعن اثنين
لا ثالث لهما وعن ثلاثة
لا رابع لهم وعن
أربعة لا خامس لهم
وعن خمسة لا سادس لهم
وعن ستة لا سابع لهم
وعن سبعة لا ثامن لهم
وعن ثمانية لا تاسع لهم
وعن تسعة لا عاشر لهم
وعن عشرة كاملة وعن
احد عشر وعن اثني
عشر وعن ثلاثة عشر
وعن أربعة عشر ...
... الجن والانس
... وأخبرنا
... أنذروا
...
... وعن الذاريات
ذروا وعن الحاملات
وقرا وعن الجاريات
يسرا وعن المقسمات
أمرا وأخبرني عن شيء
تنفس بغير روح وعن
قبر مشى بصاحبه وعن
ماء لا نزل من السماء ولا
نبع من الارض وعن
أربعة لا من الجن ولا

واستغنى الرجال بالرجال فاتخذت النساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي أخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فنشبت النساء تركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في أول ليلهم وخسف بها في آخره وسحق الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسن منازلهم اليوم مسكونة (وروى) علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمر اتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت انبعث نوح عليه السلام بعد الطوفان واغاسموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يوجد في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديادوهي التي كانت تنزلها ملكهم وكان يسمى ترکون بن عابور بن يوش بن سارب بن النمرود بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وصيرت شجرة عظيمة ثم حموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لاهم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مغنية من الحور فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه ويقربونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سمع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين الغمام للسماء خروا سجودا للشجرة يكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور وله اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيعبدون الصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فبينما ابليس عند ذلك فجر لها الصنوبرة تفجيرا كأشد ما يكون دبا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يسمعهم ويفهمهم بأكثر مما يسمعهم الشيطان بجميع فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ومالا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كلهم فلما رأوه اصفر واصفار وافرقتين فرقة قالوا انما سحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحبست حسنها وبهاءها وجمالها التي تغضبوا لها فانتصروا منه فاجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا منازل بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل الرابع ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا ضيقة العين عميقة قدر قامة

www.alkottob.com

فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجو أن نرضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وأنادوا بناء تحت كبيرها يشتي فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم وهو يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيقي وكاني وشدة كربي وارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انار عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وانى حلفت بعزتي لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحير وا فيها وذعروا منها فانضم بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كجمر كبريت متوقد فاظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فاذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ونسأله نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب بن ازاغ عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب جلدا من الروم وكان موحدا ولا يعلم الرأس بعد الشعر حسن الجبين واضح قصير العنق عليه السابغين والساعدين وكان ملكا وباعلى جبهته الايمن الصابر هو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثلثان من أرض الشأم كلها سهلها وجبلها وما كان بها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في الدنيا الكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وجعل آلة كل فدان اثنان لكل اثنان ولد من الاثنين الى فوق الخمس وكان الله أعطاه أهلا وولدا ومالا وناسا وكان امرأ تضيافا عما لما كين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا للانعام الله تعالى موحدا ملقد متنعا من عدو الله ابليس أن يسبب به ما أصاب من أهل الغنى من الفرقة الغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر أمنوا به وصدقوه فاما أحدهم فرجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما بالدد والآخر ذلاخ وكانوا كهولا (قال وهب) ان جبريل عليه السلام بين يدي الله تعالى ليس لاحد من الملائكة منزلة في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يأتي الانبياء عليهم السلام فاذا أراد الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم يكاتيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة تلقاه الذين يلونهم حتى يبلغ ذلك السبع من أهل السموات فاذا استعلنه الملائكة سموات هبط عليه ملك الموت في ملائكة الارض وكانوا بالنسبة لا يحصيهم الا من شاء من أهل السموات وكان يتفجر من حيثما أرادوه من هناك وصل الى آدم حين أخرج من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى يحيى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الاثنة باقية فهو وجنوده محجوب من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ليس تحارب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فاذن له النبي والصديقون وصدقوا به حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي تفاوت في أمر عبدك أيوب فوعزتك انه عبد أنعمت عليه شكر لك وعافيته فصبر لك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وانا لا نزعم انك ضربته بلاء الا كفر بك ولسبك فقال الله تعالى انا نطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعفاريهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت هتوات اعصارا من نار فاحرقت

من قوم أو على الله
اللهم لا من الجن ولا من
الانس ولا من الملائكة
وأخبرنا أين يكون
الليل اذا جاء النهار
وأين يكون النهار اذا
جاء الليل فقال أبو يزيد
هل بقي مسائل غير
هذه المسائل فقال لا
فقال ان قد رضيتكم
وأجبتموها تؤمنوا
بالله ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم فقالوا نعم
فقال اللهم أنت الشاهد
على ما يقولون (أما)
سؤالكم عن واحد
لا ثاني له فهو الله
عز وجل (وأما)
سؤالكم عن اثنين
لا ثالث لهما فهما الليل
والنهار لقوله تعالى
وجعلنا الليل والنهار
آيتين (وأما) سؤالكم
عن ثلاثة لا رابع لها
فهي العرش والكرسي
والقلم (وأما) سؤالكم
عن أربعة لا خامس لها
فهي الكتب المنزلة
وهي التوراة والانجيل
والزبور والفرقان
(وأما) سؤالكم عن
خمسة لا سادس لها
فهي الصلوات الخمس
المفروضات على كل مسلم
ومسلمة (وأما) سؤالكم
عن ستة لا سابع لها
فهي الستة أيام التي
ذكرها الله في كتابه
العزيز بقوله ولقد
خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة أيام ||

كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت
فى مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تلتهب فيها رياح السموم لا يدنو منها أحد الا
احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى مستنقع مائها
انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته
وعبدته بالك ورعاتها فقال أيوب انهم اله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت
وطيبت النفس انى وماله للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها
ولم يبق الناس مهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور
ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع ولييه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى
فعل ما فعل فشمت به عدوه وطمع فيه صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحين شاء نزع منى عريانا خرجت
من بطن أمى وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين
قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل رحلك مع تلك الارواح وصيرك
شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص
ثم رجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم
عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت منه نفسه فقال له ابليس فأت الغنم
ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا فماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس
خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى
النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من
عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا فانتشف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له
ابليس فأت القرادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الصعيدين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم
يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنتشف كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان
الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فعمل ابليس بصاحب
ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك ماله من ماله حمد الله وأحسن الثناء
عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه
شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وصعد مسرعا بعد وقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب
يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت مسلطى عليه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانه الفتنة العظيمة والمصيبة
التى لا تقوم لها القلوب الرجال ولا يقوى عليها سيدهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانتفض عدو
الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره
بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان
ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من
دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على
رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطون من قتلت أمعاؤهم لتقطع
قلبك فلم يزل يقول هذا وما يرد حتى رق أيوب عليه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس
الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن ابصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا
فقال يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعدله المال والولد
فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده ليسبنك ولتكفرن بك ولتجحدن نعمتك
فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان

(وأما) سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهى السموات السبع لقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى عشر ركوض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن اثنى عشر فهى عدة الشهور (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤيا يوسف عليه السلام لقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا وادخلوا النار فهم

www.alkottob.com

واللّٰه أعلم به انه لم يسأله عليه الرحمة عظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل
بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانشق عدو اللّٰه من سروره فوثب على جسده فقبل أن يرفع رأسه أتاه
من قبل الارض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فلما شعل وخرج بهن من فرقه الى قدمه
ما ترك منه الا مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها فجعل يأخذ الفخار حتى سقطت كلها ثم
حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن
حتى جعله أهل القرية فيما رموا على كناسة وجعلوا له عريشا فمنعه منخلق اللّٰه كلهم غير امرأته رحمة بنت افرايم
بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتذكره فلما رأى أصحابه الثلاثة ما بلاه اللّٰه
وما هو فيه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليهود فى بلاده فبكته وعذلوه وقالوا له تب
الى اللّٰه من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حاضرهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم
كلمتم أيها الكهول وكنتم أسق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم
من الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والتمام أفضل
من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم وانتهرتم
لم تعلموا أن أيوب نبى اللّٰه وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم اللّٰه
تعالى على اللّٰه سخط شأن من أمره منذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا علم انه نزع منه شأن من الكرامة التى
أكرمه اللّٰه بها ولا ان أيوب غير ائق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم
وضعف أنفسكم فقد علمتم ان اللّٰه تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم لم يكن بلاؤهم ليس دليلا
على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخير لهم ولو كان أيوب ليس هو من الذى هو من اللّٰه لم تزل الا انتم
تحتبون على وجه الحق لكان لا يحمل بالكم أن ينزل أحاه عند البلاء ولا يعيره بالمعصية ولا يعيب بما لا يعلم
هو منكر وبه حزين ولكنه يرحم ويبكى معه ويستغفر اللّٰه ويحزن لحزنه ويبكى لبكائه ولم يزل يرشد أمره وليس بحكيم ولا
رشيد من جهل هذا فانه اللّٰه أيها الكهول فقد كان لكم فى علم اللّٰه وجلاله وذكر الموت يا معلم أنكم أنتم
بكيتم وقلوبكم ألم تعلموا ان اللّٰه عباد أسخطتهم خطيئة من غير علم لا يكم وانهم لهم الضحاء الا بلاء
بلغاء الالباء العالمون باللّٰه وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة اللّٰه تقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما للّٰه تعالى وتصاغرا لجلاله لا ابادا استغفروا اللّٰه
تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يحسبون أنفسهم مع الصالحين الفاضلين وانهم لا يعدون أنفسهم
فوق المقصرين وانهم لا كما أقروا به ولكنهم لا يستكينون له ولا يخضعون له بالقليل ولا يذلون
بالاعمال فهم مرعوبون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان اللّٰه تعالى يزع الحكمة
فى قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبت فى الشاب أنلهمها اللّٰه تعالى على اللسان وليس يكون الحكمة
من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا يجعل اللّٰه العبد مكينا فى الدين فقد تعجل الحكماء
هم يرون من اللّٰه تعالى له علو الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى خائبا وجئتم قبل أن
تستريحوا وبكيتم قبل أن تتربوا كيف بكم لو قد لقيتم ربكم وقد سألنى بأموالكم لما قد سألكم فهيهات بواحسرتا
يا ناعى اللّٰه يقبل الهادية منى وانكم قد أبيتم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهيهات لكم
ليتم وتعززتم ولو انصفتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم من يستره اللّٰه عليكم بالعافية الى
يومكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توفرنى وأنا مسموع كلامى معروف وجهى منتظر من خصمى فأصبحت اليوم
ليس لى رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه سبحانه
ضارعا اليه فقال يا رب لاى شئ خلقتنى لينى اذ كرهتنى ولماذا ابتليتنى بالبلاء الذى كنت منه فى الغنى أنى أولى بى قد
عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى وأنت خلقتنى يا بقاء
لموت كان أجمل لى يا الهى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللأرملة قيما الهى أنا عبدك

اليهود والنصارى لقولها
تعالى وقالت اليهود
ليست النصارى على شئ
وقالت النصارى ليست
اليهود على شئ فهم
صدقوا واحدثوا النار
(وأما) سؤالكم عن
مستقر الروح فى الجسد
فانه تكون بين أذنى
الصور وقالوجه (وأما)
سؤالكم عن النار التى
أخبر انها فى الجو الرابع
(وأما) الملائكة وقرا
فهى الصعب (وأما)
سؤالكم عن الجبال كيف
صارت فهى السلاسل
الجبلية فى البحار
(وأما) سؤالكم عن
المتسلطات أمرا فهم
الملائكة الذين يشهدون
على الناس أعمالهم فى
ليلة النصف من شعبان
(وأما) سؤالكم عن أربعة
عشر كلموا ربهم
العالمين فهى السموات
السبع والارضون
السبع لقوله تعالى فقال
لها وللارض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتينا
طائعين (وأما) سؤالكم
عن موسى ما سأله
فهو رجوعه لونس عليه
السلام (وأما) سؤالكم
عن شئ تنفس فيه ربح
فهو الصبح (وأما) سؤالكم
عن ماء لا تراه من السماء
ولا تبرح من الارض فهو
الذى بعثه بلقيس الى
سليمان عليه السلام
فغار وهو كالمن ورقه

www.alkottob.com

ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا قد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف بحملة ضعفي الهي تقطعت أمعائي فما أرفع الا كلة من الطعام الا بيدي جبهة انيا يبلغان في الاعلى الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل احداهما نزي من الاخرى وان دماغي ليسيل من في الهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدة اي صندليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ في فما أدخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطتا العليا أنفي والسفلى ذقني وتقلصت امعائي في بطني واني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أجده ولا ينفعني وذهبت قوتي فكأنها ما قد بيستا ولا أطيق حملها وما وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فمن بها على أولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد مانع أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وبعدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخ لي واعتذر فلا يعذرني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وان تضاءلت هو الذي أذلني وأدناني وأهانني وأقامني وان سلطانك هو الذي أعنتني وأنعل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق لساني لأتكلم بعمل عفي ولو كان ينبغي للعبد أن يعاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك عمالي ولكنه ألقاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا تقر الي فترحمني ولا تدنو مني فأتكلم ببراءتي وأخاصمه عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلتهم غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فادن بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد علينا ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني الا من يحمل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللعم في فم التنين ويكيل مكاتلا من النور ويزن مثاقيلا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس اقدمتك نفسك أمر اما يبلغ غسل قوتك ولو كنت ادمتك نفسك ذلك ودمتك اليه تذكرت أي مرام رمت بك أردت أن تكاثرني بضعفك أم أردت أن تخاصمني بغيك أم أردت أن تحاجني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي عرباطرافها أم تعلم ما بعدوارياها أم على أي شيء وضعت أكنافها بل ما عندك هل حمل الماء الارض أم حكمتك كانت الارض على الماء علمك أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معالق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها أين كنت مني يوم حيرت البحار وأنبعت الانهار أقدرتك سبيت أمواج البحار على سدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بانت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونسبت شوامخ الجبال هل لك أن تطبق حملها أم كنت تدري كم مثقالا فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنزل الماء هل تدري ما أصوات الرعد أم من أي شيء لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدري من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة الكروبيون فهم الجبارون بحبرونه وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرفه مكانها وعطفها على أفراشها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أبحكمتك علمت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم بحكمتك يصير العقاب الصيد البعيد واخافي أما كن الفلا أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع التراب واللوتيا حملان الجبال والقرى والعصران أثباجهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروقا أفخاذهما كأنهم بعد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي غلبتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتهما أين أنت

www.alkottob.com

يم خلقت التنين ورزقه في البحر وسكنتي السماء وبيناه توقدان نارا ومخراميثوران دخانا أذناه مثل
وس السحاب يثور منهما اللهب كأنه اعصار العجاج جوفه بحر وظهره سبيل يسوخ به بحر كأن مثال الحور
كأن تحت ريش أجنحته أمواج الصواعق وكأن نظر عينيه مطالع البدر تحرك به ابليس وهو مستكن لا يفزعه حتى البحر
به مفاصل زبرجد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع الحديد
لى بحسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيقال له كل شيء عرفته به هل أنت آخذه بالحبل وتجعل في منخره
ل تحصي عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ما الذي يخرب من الارض وما الذي يقرب فيما بقي من
مره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيما يملك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام
معرت عن هذا الامر الذي وردعلي ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشيء أبدا وربي لا أدع على
بلاءا لهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك
ند بيرحكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعزب شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغلب عنك ثائبة من هذا
زي بقلبي أن يسرعنك سرا وأنت تعلم ما يضمر على القلوب وقد علمت من في بلائي هذا مالم أكن أعلم وخفضت أن
كون أمر أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انك كلمتني حين تكلمت
مني وسكت حين سكت لم تسخني كلمة تزلت من لساني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي ووضعت على
ماني والصقت بالتراب خدي وبسطت فيه جبهتي لصغاري وسكت حين أسكتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت
ن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى يا أيوب نفسك فلم تكلمني وسيقت بي حتى ينتهي إذا خطأ فقد
نرت الشماتة وحتك وردد عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون بصبرك لامري
لاه وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقربي من أصحابك قربانا واستغفر
سهم فانهم قد عصوني فيك فتركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من
لاءهم انه خرج ويطس فأقبلت امرأته فقالت تلمس في مضجعه فلم تجده فقامت عند رأسه وكان الهة فرقت
النساء عند الله هل للنعلم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته فقالت ليس
عرفه فتبسم وقال لها أنا هو فعرفت لما تحمل فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه
ى ستجع حتى نال ما كان أوفر من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر الآية
ختلف العلماء في وقت ذلك الموضع بلائه والسبب الذي نال لاجله ما ذكر من الضر (حدثنا) الامام أبو الحسن
بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين
سلمي ان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل
ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله أيوب لبث في بلائه ثمان عشرة
ة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه لقد
ذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له وما ذاك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف
ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبرا حتى ذكرا ذلك له فقال أيوب ما أدري ما تقولان غير ان الله
ي يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي وأكفر عنهما كراهة أن
كر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان
يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك الآية فانبجست له فشرب
لرما شاء أن شرب فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل
ت نبي الله المبتلى فقال اني أنا هو وكان له أندران اندر للقمح واندر للشعير بعث الله تعالى سحابتين فلما كانت
اهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض
ردى) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فنادا ما أيوب ألم أغنك عما ترى قال
أيوب ولكن لا غنى لي عن فضلك ورزقك وحتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه

من البالغة فهي يوم
القيامة (وأما) سؤالكم
عن شجر له اثنا عشر
غة غلف كل غلف من ثلاثين
ورقة في كل ورقة نحو
زهر اثنان في الشهر
وثلاثة في الفلل فهي
السنة والاغصان هي
الشهور والاوراق هي
الايام والخمس زهرات
هي الخمس صلوات في اليوم
والليلة (وأما) سؤالكم
عن شيخ مع الى البيت
الحرام وطاف وليس له
ريح ولا وجب عليه
فريضة فهو سفينة
نوح عليه السلام
(وأما) سؤالكم عن
أربع خلقن معها
ولونها والاصل واحد
فهي العينان والاذنان
والانف والفم فاما
العينان فالماء الذي
في رأسه الانف فالماء الذي
في رأسه الفم حلو (وأما)
سؤالكم عن الخير
والفتيل والقطمير والنقير
النقير الذي في ظهر النواة
والفتيل هو الذي في
باطنها والقطمير هو
القشر الذي فوقها
(وأما) سؤالكم عن
البعد والابد فهو نعيم
الدنيا والعز (وأما)
سؤالكم عن الطهو والرم
فهي الامم الماضية قبل
آدم عليه السلام (وأما)
سؤالكم عما يقول الجاهل
في نفسه فانه يرى
الشيطان ويقول لعين

السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا فتخلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكرم قوما كان يخرج منه مثل ندى السماء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يمر به غير رجلين أو ثلاثة كانوا يختلفون إليه يطعمهم ويتعهد الله معه اذا جده وأيوب على مابه لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض بشرا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلبني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قريحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له ابن مكرك ابن علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجت من الجنة من أتيته قال من قبل امرأته قالوا فأت أنت أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكر لها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها اذبح أيوب هذه لي وسبر أقال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلي وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واستبرح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته بويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا فأتاك الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فنحن كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت بل الأصح في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام لا أذوق مما تأتيني به شيئا بعد أن قلت هذا فاعتزلني عني لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق تؤنسه ساجدا وقال ربي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآن فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من داء في ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله عنه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا كما كان فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد متعه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من أكلها أدعه حتى يموت جوعا وعطشا او يضيع فتأكله السباع فوالله لا رجعن اليه فربما نعش الكناسة ولا المال الذي كانت تعهده اوقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظر اليها قال وهاب صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان فردعلي ما تريين (وقال كعب) كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئتي آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما

الشار (وأما) سؤالكم عما يقول الكلب في نبحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان ما فطسني اذا التقت الابطال واشتعلت الرجال بالرجال (وأما) سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (وأما) سؤالكم عما يقول البليل في تغريده فانه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وأما) سؤالكم عما يقول الضفدع في نبيحه فانه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الناقوس في تغريده فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم في هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى (وأما) سؤالكم عن قوم أوحى الله اليهم لا مس الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل أين يكون اذا جاء النهار وعن النهار أين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال أبو

ما كان لكما من مال وولد فانهم عندي ثم أراها إياهم في بطن الوادي الذي انتهيا إليه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لزوجته ويحك إن شئت اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الأولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم إن أيوب أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في سجود زوجتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر فقالوا ثم إن الله تعالى رحم ضعف امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا فالتقاها فضربهم ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتسعى للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الأيام ما تطعمه فلم تجد شيئا فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أنى لك هذا فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل إنما قال ذلك حين حلقت الذوائب وأسلمته نفسي أن يبيا عن الذكر والفكر وقيل إنما قال ذلك حين وهبت الذوائب من نفسه فأخذها ورده إلى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعاما لكل فعضته عضة زاد الله على جميع ما فاتني من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فسامع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان بائسا فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم إن كنت تعلم أني لم أتخلف عن جنازة قط وأنا أعلم بمكان عريانا فصدقني فصدقه وهما يسمعان فغفر له ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الأعداء يدل عليه ما روي أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك فقال شماتة الأعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الأعداء إحدى الرصاد

(وقال المجيد) في هذه الآية عرفه عافاة السؤال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما سأل الله أيوب في الدنيا سأل له أهلا فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيهم إياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى إليه بأعيانهم وأحيا أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وحسبك بهؤلاء أسباهم الله تعالى وآباءهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأن الله أوحى عند موته إلى ابنه يهوذا إن الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وعمره اذا ذاك ثلاث وتسعين سنة وأمره بالدعاء إلى توحيده وأنه كان سيبقى بالشام أول عمره حتى مات وكان عمر أيوب خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى إلى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس باقي بعد في آخر الكتاب بعد فصة اليسع وما كتبه ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ان نبيا من الأنبياء قال من يكفل لي أن يصوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله الأول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثالثة فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فسمي ذلك النبي فلبس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاء الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلا وذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه

سائل غير ذلك فقالوا لا فقال أخبروني عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال أبو يزيد سألوني عن مسائل كثيرة فأجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها أعجزتم عنها فقالوا نعم ثم لم تفتوا الى كبيرهم وقالوا أوعزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا أوافق قولي فقولوا بل نوافق فقال كبيرنا ومهما قلت لنا سمعنا وأطعنا فقال علي فقال مفتاح الجنة لا اله الا الله والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوها وأسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وتزهدوا من الدنيا وآخروا وبنوا مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودي أبو يزيد شددت من أجلنا زنارا نورنا من أجلك خمسمائة زنار (الخواص) انظروا الى هؤلاء كلهم فكانوا كفارا في ثلاث ساعات فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الوحدي فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع مرجوعكم بها فطوبى لمستكثر بها التالي بركة أصنامها وظفر را

واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشرانا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله فلو سأل الله أن يطيل أعمارنا ولا يمتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكافتموني شغلا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم اني لا أملك الا نفسي وان قوي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحى الله تعالى اليه يا بشر اني سمعت مقالة قومك واني قد أعطيتهم ما سألوني طوّلت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك إبلاغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم تواثبوا وكثروا وغواحتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها الروم وسموا رومالانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن مابث بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يثرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش اغتر اجانبهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا بأنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدي) وأبو روق كانوا عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان عما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للهيثي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءهم فاهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وباتت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا وربجت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في القلي فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة قال فيها العذاب

فشمر جاده وقال ياقوم ان شعيبا ما رسل فذروا * عنكم شعيبا وعمران بن شداد
انى أرى غيم ياقوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها غداة غد * الا الرقيم عشى ياسين انعاد

يشعير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلى أبو جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الغالة فى زمن شعيب كاهن يقال أخت كاهن تبكيت حين هلك

كاهن أهدى كنى * هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه الـ ـحتف بارا وسط محله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة *(يجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)*

(الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد لعقوب لاوى وقد مضى من عمره سبع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له قرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره مائتان وأربعون سنة نكح فاهى بنت مبين بن نتويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت بنادم بن بركان بن دعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره مائتان وستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت نمويل بن بركيا بن شعمان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف فى اسم اسهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناشية وقيل يخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره مائتان وسبعون سنة والله أعلم *(الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام)*

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أشوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن ارا شتم بن ثروان بن عمرو بن فارات بن ملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وأجبر واشتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد تفشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دين يوسف ويعتقدون ما صح عندهم وابراهيم شرعوا به من الاسلام فيسكنون بمصر حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليهم وقد ذكرنا اسمه وانسابه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا فى ملكه ولا أسوأ ملكا على اسرائيل منه وكان يذبحهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا ويستخدمهم فى أعماله فصنفهم يبنون ويستخرجون ويحرثون ويحصدون ويعملون العمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وكان استكبر فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر ثلاثة آسية وخزقيل ومريم بنت ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا قد مر فرعون فيهم فحث بيده مرارا وقال انه أمر بعمائتى سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدى عن رجاله أن فرعون رأى فى منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا له فى بنى اسرائيل غلام يسلبك ملكك ويغلبك على أرضك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أطل زمانه الذى يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام

يا آدم هو نبى من ذريتك أبهمنا آخر الزمان بالآيات والبرهان فهو محمد الامين يا موسى أنت خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيها الشهوة فقال آدم يا رب زوجنى بها فقال الله تعالى هان مهرها قال يا رب وما مهرها فقال تصلى على صاحب هذا الاسم مائة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يا رب ان فعلت ذلك تزوجتها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها *(وقال بعض العلماء رضى الله تعالى عنهم)* كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال سمعت جماعة الذاكرين يذكرون الحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من صلى على صلاة فرح عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة ثم رفع الحديث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا جميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته بعذاب فحزنت على ذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك فى النور والراحة قال فسألته عن

www.alkottob.com

ولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها وكل حبل يفعلن ذلك قال مجاهد انتهى بلغنى انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فيجرح أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتناول تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما باغ من بهدهارکان يقتل الغلمان الذين فى وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضمن ما فى بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته وكان أحب الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فألقى الله تعالى عليها محبته منه فرحته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبى فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد فى بنى اسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد أن يذبحه وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أخذت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط موا الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا خلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلها فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بى ما نزل فليتنفعنى حبك اياى فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها النور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى فى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت للذى دعوتينى الا فيما أرى قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاستحفظنى بابنك فانى أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به فحوفا على موسى تلفت موسى فى خرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير

لها

لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل على أهل هذه القبة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فرجعوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته (قال اسحق) بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابني وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هموا بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما عياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع في وادي موى فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم انه منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فرزقه ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته في البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون بوابة بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى لها الا من قبل البحر حتى يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويطلى به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا من اشراق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن ويتضحكن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت فضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدر وه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم ير مثله غير الامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهداياتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهام يمينه منها البنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه وعطف عليه وأثبات بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت بدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلعقت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت القوا من قوم فرعون أم الملك انا نلتمس ان المولود الذي نحذر منه من بني اسرائيل هو هذا الرضيع في البحر أو افتظنون بنت فرعون بقربه فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميته فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أي ابتغي أثره واطلبيه فجعلت تبصر به عن جنب وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بم الى لتختار له ظئرا تربيه موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق ليجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبل ثديها فوضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظؤر وهل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها ما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما أعنيهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظؤرة الملك وبره ومنفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجد الا بتغاء ظئرا فأرسلت اليها فأتاها بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم

(وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا طائف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا هذا الذي تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقل عندك في هذا شيء فقال من أنت يا فتى فقال الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف أهل زمانك لما أطلعت على حالي وأخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي أنا ووالدي ماشيين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذ مرض والدي مرضا شديدا فشكت لا بالقفيذ أنا عندي أمه اذهو وقد علاه ما سود وجهه قال فذلك ازدراي وغيابته وجهه وحصل عندي غم عظيم وعمل يوم خطب جسيم بحيث بات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا مكنني انفكاك ذلك الحال عن الناس وصرت متحيرا في أمري لا أدري ما أصنع فبينما أنا كذلك اذ غلبني النوم فنمت فاذا أنا

أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع ان أدع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا أولي له الا خيرا فعلت والا فاني غير تارکة بيتي وولدي وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل وذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن تربي ابني فوعدتها وما تربيها اياه فيه فقالت آسية خواصها وقهارمتها الا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها اكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها وانتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه اعلم وجهه (وفي بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتغير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى قوله انه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك ان أحببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تتؤده وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال أزد شنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من القلم والسخرة التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الامن قبل الرضاعة فالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه القيل بارض يقال لها منف قد خلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حليا لله عليه فصنع السامري لعجله فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسى

انما

www.alkottob.com

انما آخذه في عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت اقترفت لى طرفة عين أنى الله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب واذ اعفوت عنك لانه لم يكن تقرر لى ساعة واحدة أنى الله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قال له أصبحت فى المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فذلنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاحد بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذى رآه فغضب موسى فدبه وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال للاسرائيلى انك لغوى مبين فغر الاسرائيلى من موسى وظن انه يبطش به من أجل انه أغلظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى وذكر ان موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد فى معناه

ان الاديب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فلما عرف حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا يقال له ثنية الذباحين سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى ولم ير أحد يذهب فى طلبه فسار على فرس بسطام يقال له انبعى فاربعه فهو أول فرس ركب فى البحر (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال وبقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فلما وصل اليها الا وقد وقع خف قدميه وانحضرة البقل لترى من بطنه

(الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين فى ثمان ليال نزل فى أصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا استقوا ما شيهم سقينا أغنامنا من فضول ما جتهم وما يبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى امرأة موسى الذى استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبى عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال صفورا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها (وحكى الاستاذ) أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ أن ذلك البئر غير البئر التى تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما

بقد صلاة العصر كلام
لا يفهمه أحد فخرجت
فى بعض الليلين صاحبا
الى بيت الله الحرام
وكانت سنة شديدة
الحر فكنت أسير
الركب وأنام حتى يلحقنى
رفاقى فنمت ليلة من
الليالى على عادتى وكنت
عادلا عن الطريق فسار
الركب ولم يشعر بى
رفاقى فصرت نائما حتى
طلعت الشمس والتهبت
وأنا لا أدرى كيف
الطريق فرفعت طرفى
الى السماء وقلت الهى
وسيدى الى هنا
جلتنى وعن بيتك
فاجتنى فبينا أنا بالفكر اذ
وطئنى ثم سرا بحية
عيناها من المسك وهى
على حر الهجير قايست
من الحياة وانطرحت
على الكثيب من رمل
انتظار الموت فبينما أنا
كذلك اذا شخص
ينادينى يا عبد
وتقارب فاذا هو الشيخ
أبو سعيد قال فسلمت
على وقرد على السلام
ثم ناولنى رغيفا منها
فأكلته فاستقوى
ثم ناولنى ركوة فيها ماء
أحلى من الشهد وأبرد
من الثلج وأبيض من
اللبن فشربت منها
وغسلت وجهى فعادت
روحى ثم قال اتبعنى
يا عبد الرحمن فخرجت
بذلك فقال البث ههنا
فالركب يأتيك بعد

وقال لهما اقتصا غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة برد فها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أتبعها ثم سعا فاتيا أبا يعقوب لا ينظر الى أبجاز النساء فنعت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فأما بنت احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبلك انك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن العشرة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا يعطيها موسى يستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها لانها كانت كلما وردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن ترضيا بحكم أول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك على شكل فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بامر العصا وأمر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فالقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرارا فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته وبنى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين وافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقمه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص فلث ساعة عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم ساعة عن شيء من الجنة ومنعه الله الناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست

في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيخ الذي رضعه الله للناس في الارض فبقر بروت باليمن بردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يذكروا في رسم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علي بم اهمها فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في اياب أما الاربعة التي لم يذكروا في رسم فآدم وحواء والكبش الذي فدي به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها صارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان وكعب في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة لا ماء فيها يكن قرنتين شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أهوى بالعصا دلاها في البئر فتمد على قدر عمق البئر وبصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايا كل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي استوى موسى فاكهتها واثمرت له من ساعته وقال كانت عصا موسى من الآس وكان اذا جاع وكز بها الارض فأورقت وأغرت وأطعمت وكان يأكل منها الورق وكان اذا قاتل بها عدوه يقاتله وعلى شعبتها نار تقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبورهم من الانهار بلا سفن يضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق تفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريق وكها فحملته الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تعريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب به عليه وثيابه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس بأنهم تركه العصا فتقول له لا تخف بأس كذا وكذا ولا تأخذ حيث اذا ذا وكان يحمل شيخ على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والهوام واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جوزه وسقاءه ومقلاته ومكتله وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين رد عليه ابنته وسلم الماشية ذهب بها الا الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر وان هناك تنالها عندي الا أخبرني على أي شيء تعطيني الاغنام فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذ ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على مارادته ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء نحو العصا فسار بها فقتلته وأخذها فانقلبت الى جانبه يمنى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى انه في تلك الليلة قد نزع عرق ان لها ناقا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت تضطرب كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تنساب على أربع فوائم فتصير شعبتاها فاغرا فيهما اثنا عشر نابا وتسرع اليها سرعة يفزع من منظرها الهب النار ويسير فتبتلعها فتراها كأنها تلتهب نارا تلتهب وعيناها تلمعان كأيام البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئا الا أحرقته مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها التقمتها بانيابها وتحطمها بأنيابها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتمرم كأنها تطلب شيئا آخر كما كانت تكون في عظم الثعبان وفي شدقه اللحيان وبين اللحيين ذلك وهو الذي لم نص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

كنت أتجر من بغداد الى بلاد اليمن وأبيع في كل سنة فبينما أنا في بعض اليمن في الطريق بين مسني وعرفات اذا برأيت شابا حسن الشباب نوراني الاثواب كأن على وجهه شمسا يلا من نور وهو راكب على الرمل وتحت رأسه بحر وهو يعالج سكرات الموت قال فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له ألك حاجة أيها الشاب فقال نعم تقيم عندي ساعة حتى أقضي أمري وأفارق ربي فقلت ما الذي تريد قال اذا أنا مت فوار في التراب وخذ هذا المنديل وامض به الى صنعاء اليمن واسأل عن الدرب الفلاني وسل لاهلي عني سلاما يقرأ عليكن السلام ثم تلا بعض الكلام ساعة طويلة حتى سمعت شهيقه انقطع ثم أفاق بعد ذلك وهو يقرأ هذه الآية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شهق شهقة فاذا هو ميت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم قلت في نفسي ما أقول لهذا الميت اذا غسلته وكفنته ودفنته بغير صلاة عليه وبغير حنوط ولا كفن ولا غسل ولا صلاة عليه في جماعة ثم دفنته وأخذت المنديل معي فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب الفلاني فارشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنات قد فعلن

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قال العالم بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم ورده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبان من نتاج أغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مهر ابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأ أن واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها له وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهر هالاندرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب أغنيه هرون وأخراجهم من مصران استطاع اليهم سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فاجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نارا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أظهر أى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تأجج وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا نضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كيت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حوالة وأرسل الله اليه ما كان شد ظهره ويقوى قلبه فلما ناب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن عبدة قال حدثنا الجمانى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك لكى تمس راحلة قدميه الارض المقدسة فتناله بركتها لانهما قد ستا مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة المتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تكميلا لقلبه وازدادها بالهيبة وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فما هو محجنها عرفها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يسل الى فرعون لتسكن الهيبة منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى للملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فالف كمها على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فسر كه عن يده ثم أدخل يده تحت لحيه فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان

من ربك الى فرعون ومملكته الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعدك لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى ان يعدل أن يسمع كلامى وأنت فى أدب الا ما كان منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بالخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له يا موسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق منهم من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم انه لا يعرفنى وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته والارض لابتلعته وللجبال لدككته وللجحار لغرقته ولكن سقما من عيشى وهوانا على وصغرا عندى ووسعنى حلمى وأنا غنى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لا غنى الامن أغنيته ولا فقير الامن أفقرته فانطلق برسالتى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه انه لا يقوم لغضبى شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وبجلنى فى خطابك اياه ولا يرعملك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمى وأخبره باتى من العفو والمغفرة أسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كل ذلك تعاند الرب بيده وتصد عن عبادته وفى كل ذلك عمار بعليك السماء وبيت لك الارض وبلباس العافية تحيى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أسبل الكلام عن موسى شيئا فشيئا ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى يسيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤالك يا موسى فاهبط بنفسك وأهلك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له اشدد جنانك بثلاثة من جندى أنا معكما أسمع وأرى وأبصر كما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن آتيه جنودا لا قبل لهم بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أبهجته نفسه وجنوده ان الغلبة والقلة ولا قابلها وهى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يجبنكما زينة ولا يعظمنكما عدته فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا بها حتما ما يبهت فرعون وملأ ما انظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما أتيتكما فعلت فلأنا أصغر وأهون عندكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك هو أبهى فى أولياى وأصفيائى أكذوهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الوبيئة فلستكن تستكملان نصيبكما من كرامتى فى الآجل واعلم انه لا يتزين أحد من عبادى بزينة تنبغى أبلغ من الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار وبتقالى ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائتى ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام لم سرحت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام الخالق لما يسمع من جهة واحدة يسمعه موسى السمع الذى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع أبعاضه بجوارحى كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صاروا الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بربه وأراد أن يختنه فامر الله تعالى ملكا فدبه ولم تزل قدمه عن موضعها حتى بلغه الملك ما شوفانى ترقوة وناوله الى موسى فاخذ بحجر من قلل أسنانها بالآخر حتى حسده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم ورده الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوز بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى فقالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف

وهو فقال فى نفسى اخلاسى لربى فقلت له فهل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحدا يشغلنى عن ذكر الله تعالى فارفقه حين فقلت من أين تاكل فقال الذى غذانى فى بطن الامشاه صغيرا يتكفل برزقى كبيرا فتى احتجت الى طعام حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا أردت شيئا بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسالك يا سيدى ان تدعو لى فقال جل الله عن كل معصية وشفاك مما يقربك اليه فقلت يا سيدى فاين القاه بعد ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء بعد هذا اليوم فان كنت من أهل القرب فالمنزل غدا فى منازل القرب ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين * (وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه) * انه قال كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف توبة من أسوء فاجتمعت الجيران الى يشكونه فاحضرته وقلت له ما هذا الذى كثر عصيانك فاما أن تتوب واما أن تخرج من هذا المحل فقال أنا فى ملكى

وقلنسوة صوف ونعلين وكان يمالي صائما ويبيت قائما ويستعين بالسيد ويقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تحزن ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيره ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلقى موسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس وانشق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حوالها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة منف على يسار مصر وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة في زيض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت ونوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى أبواب المدينة معاونة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها ووقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم وروده فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبهما الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست في الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها ورادة يقودونها أي يعرضونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها من الفزع ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذي هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان ان هذا الباب لفرعون ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح به له فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم وأشنع وأفظع مما أصابا في الاسد وبها كانا يقدران أن يقدما على ما قد ما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة لم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدي باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أما وهي لا تعرفه فأتاها في ليلة كانوا يا كلون فيها الطفيشل فنزل في بابه الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما تعارفا وتحدثا بأنه هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلني اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وصحت وقالت أشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فتقتلكما فانيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب فقرع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة اشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى اني أنا رسول رب العالمين فذهب البواب وأتى فرعون فأخبره بما سمع وقال له ان هما انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق حرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما يلغنا سنتين يغدوان الى بابه و يروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه يضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك لرجلين يقولان قولا يعجبني ان لهما الهة غيرك فقال فرعون أدخلوهما فلما دخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

(الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيد كما وهو عندي لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا لا يقول أها سكتنا قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا

عند دعاء موسى بدعاء هو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع
والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم إني
أدرأ بك في نحوره وأعوذ بك منه ومن ذريته فأكفنيهم بما شئت قال فجعل ما في قلبه موسى من الخوف
أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو مستيقن أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم إن
فرعون قال لموسى من أنت وقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه وقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين متعلل دينا هذا الذي هو الآن به فقال
موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم أقبل موسى يذكر عليه ما ذكره من يده وعصاه وقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت
بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تتبع أبناءهم فتذبحهم وتستحيي نساءهم وتقتل من شئت وتترك من شئت أي فما أغناه عن ذلك
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله
من ملئه ألا تستمعون أي كلاما قال موسى قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون يعني ما هذا الكلام رجل صحيح العقل إذ زعم أن لكم إلها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب
وما بينهما إن كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك
بشيء مبين تعرفني به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه
فإذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور
القصر حتى رأى بعض من كان بحضرة فرعون من مدينة مصر رأسها ثم توجه نحو فرعون فأخذ فرعون أن يثب منها فضج منها الناس
وذعر منها فرعون وفر وشد عن سرير أحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين قيدا وكان قبل ذلك لا يحدث ولا يبول
ليعمل ولا يحتلم ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة فيما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة
واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لا يكون له ثفل فيحتاج إلى القيام وكان يعد هذه الأشياء من آلهته فلما قال
ما قال لا يبصر له من الناس شيء (قالوا) فلما شد فرعون هذه الشدة إلى موسى أشد ذلك بالله وعرفه الرضاع
لما أخذهم وأمسكهم إياه وأنا أومن بالذي أرسل به موسى إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم
وضع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه لك آية فيما ادعيت فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور
ساطع في السماء مثل عين الإبل فرتد أفنانا حتى دخل فرجها البيوت وخرق من الكوى حتى نور بها الحجر
ولم يبق علم فرعون النار إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لون الأول فقالوا له فرعون
تصدقه فعلام اليد هذا ورموس بين يديه ثم إنه قال للملإ من حوله أنا لله تعبدون أنا بالله تعبدون أنا بالله تعبدون فقال فرعون لموسى
مهلني اليوم وغدا وأوحى الله إلى موسى أن قل لفرعون إنك إن آمنت بالله وحده وعرفت أني أنا الملك الذي ورد لك هذا
الرضا فاستنظر فرعون لما كان من العدد الذي أعلمه الله ما هو فيه من عاجل أمره وآجله فقال موسى ما شاء ربك
لك يا فرعون والله ما بعد هذا منك إلا الهلاك يوما أو غدا ثم قال له موسى إن أنا أردت بك يا فرعون بالقوم
أفتبعثه فهو أول من خضب بالدماء ذكر هشام بن محمد عن أبيه عن جده أن موسى لما سأل ربه ما سأل وأراه الله
تلك الآية التي أراه الله تعالى إياها ولم يكن ما رأى منها فإنه لما رأى الأفاعي تعود الحية الأولى
(وفي بعض الروايات) أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما الحر في الطريق وأثقلهما العجوز
فأقرأهما السلام وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليها الليل فأتاها وهما نائمان على الباب
العجوز منتبهة فلما أحست بهم قامت على رجليها فخرجت الحراس من جانب الباب والعجوز تنظر إليهما فناظرتهم
فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهم العجوز بقتله الطلب
لكفاية الحراس فيهم ثم إن العجوز آمنت بهما وصدقتهما

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون وآخر وجههم يوم الزينة إلى الفتية المغالبة)

قال العلماء بأخبار الأنبياء إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله

قال ما لك فما بلغت عذر أبي
أبي فتح عينيه فرآني
ثم قال ما لك أترى مولاي
يعطوني من تلك الذنوب
والسيئات ورحم هذه
العبرات دقة فارحم
أهلي وربي وخرجت
من ذلك البيت كأن حياء
مني وأنت مطلع
فكيف أذنب غافلين
بدي الخالق بل ولا
نفسي وشهق شهقة
فمات رحمه الله تعالى عليه
آمين *(ومن الجزء
رضي الله تعالى عنه)*
أنه قال عزمت على الحج
إلى بيت الله الحرام في
بعض الأعوام فرأيت
ناقتي ووجهها نحو
الكعبة شرفها الله تعالى
وعظمها وكرمها فوقفت عندها
وردتها نحو المسطبة
فرددتها مرارا وهي
تعود فقلت في نفسي لله
في ذلك سر خفي فإذا أنا بامرأة
وقالت لي يا
ولاي يا ولي
أن تدعني
عن بيتك فالأمر الذي
أنا فيه أعظم
فيرا فدعني
الق
فلما
دخلت البادية رأيت
الناس قد خرجوا فسألت عن الخبر فقال
بعض الناس إن بادية
الشام قد نهب جميعها
وهم يقصدون أهلها
ليسبوهم فاشتد عند ذلك
نفسي وحزنت فيا لهفا

تعالى على السحر فقال الملأ حوله ان هذان لساحران علیمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامراذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى قال لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فابعث غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرما يعلونهم السحر كما يعلون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبير الا يطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يترك في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر وثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روي أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال علماؤهم كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاء هما رسول فرعون قالا لا نهما دلينا على قبر أبينا فذهبا إليه فلما علمه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شئ حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظراهما اذا هما نائما فاذا قد رقا أن تبلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان غفلت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكم به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم سماها لهما في خطيهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا فالتقمتهما وافق ذلك يوم عيدهم يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيدهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حشر لهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية البحيرة من وراء البحر ثم قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتى المجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لئن تبين اليوم بسحرهم ترمثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصا والحبال يحملها ستون بعيرا فلما رأوا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي ركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى الى قوله تعالى خذ ما تلقف موسى وألقى ما في يده فابتلعت الحبال والعصي فلم ير شئ فعظم عند ذلك موسى وقال لقد ذهبت حيلتي وحيلة أصحابي ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فنظر موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مد لهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من حجفى عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه عنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شئ الا حطمه وقصمه بكسر بقوائمها الصخور والصم الصلاب ويطعن كل شئ ويصرم الحيطان والبيوت نفسه

نار وله عينان يلتهبان نارا وفخرام ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له كأسنته
اثنا عشر ذراعا وفيما أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصرير فلما نظر فرعون وجنوده الى السحرة من مجالهم
وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون أنها تسعى فعلت تلك الحبال والعصا واحدا واحدا حتى لم يبق
لوادي الا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فترامحوا وتضاغطوا وداس بعضهم بعضا
حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم من وقاص موبانا ذهبا بنله
قد استطاق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحمل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى
ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفي علينا أمره ولو كان
بحسر افين حبالنا وعصينا فما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكانت ذهبا ثمانين
سبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة ثمانية عشر ألفا وقيل
يحفظ وخلط ومصفاوهم الذين آمنوا حين رأوا مارأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال
لهم مجلدا أمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا ان
نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من
عمل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة وقد جمع فرعون معه بالمهرة وما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على
الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد ليجمع
بني قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون
اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا عيونهم فلم تزل العصا على هيئتها حتى حدثوا وينظرون اليها ويتضاعفون
ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فاخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة
فشكت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينة مصر وما فيها وعسكره وكانوا ستمائة
ألف ان صاروا ظافرين

*(الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون واسمه أنه ومقتله
وأولاده رضي الله عنهم أجمعين)*

قالت الرواة كان حزقيل من أقارب فرعون فدخل على فرعون فوجد أباه وهو الذي سمع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته في البحر
فقيل انه كان نائما فرعون قد حزن له ما ثمانين سنة وكان مؤمنا فلما رأى فرعون قد أبى أن يؤمن ظهر موسى على السحرة
ظهر حزقيل أمره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة فلما وهو الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين
حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما
ماشطة ابنة فرعون فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من أبناء الله الصالحات الآتي ما كانت مع بنات
فرعون وأولادها حكايات تشيب لها ذات يوم بنات فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت
فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك وربه أبيك فقالت أولا أخبر بذلك أبي فلما أخبر فدعا بها وبولدها وقال لها من
لك غيري قالت ربي وربك الله فامر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بهم وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له انك لها لبلة
حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال وذلك لك فعلت عليها من الحق ثم أمر بأولادها
فقذفوا واحدا واحدا في التنور وحتى اذا كان آخر أولادها ولدا صغيرا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق
فلقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد
يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

كان في البلد معهم فقال
الجنيد فعزمت على
الذهاب فقالت الجارية
لا تفعل يا سيدي بالخروج
فاني سألت الله أن يتوفاني
وأنت حاضر حتى تغسلني
على غسلي وتصلي علي ثم
تشهدت وخرت ميتة
فغسلناها ودفناها رحمة
الله تعالى عليها (وعن
أبي بكر بن الفضيل
رضي الله تعالى عنه)
انه قال سألت بعض
أصدقائي وكان أصدق
وديانا من سبيا السلامة
فامتنع أن يحدثني فما
زلت أقسم عليه حتى
حدثني فقال نزل بنا
عسكر المسلمين
هذا ونحن من السنين
فخرجنا اليهم وقاتلناهم
فهزمناهم وقتلنا
منهم جماعة وأسرنا
جماعة أسرنا فيهم جماعة
فاخبرني عادة الله تعالى في
القتلى فاخبرت أنا وجدت
من المسلمين عشرة بالقتلى
وكانت قتلى الروم البقية
فسألت العشرة الى
قتلاهم فتفقدوهم وجدوهم
على البغال حتى تركوهم
عندي في السجن فبينما
أنا ذات يوم من الايام بالس
بقصري اذ جاءني رسول
فقال لي يقول لك سيدي ان
أحد الموكلين قد أخذ من
أحد الأسورين ما لا وتركه
يصلي قال فلما سمعت
ذلك أحضرت الموكل بهم
وقلت له أخبرني ما الذي

www.alkottob.com

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة خالصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتمادى في قضاء حاجتها وتصلي [illegible] خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية تطالعه من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما رأتها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له اسلامها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أسبل لفرعون في كل باب من أبواب الملك والسلطان والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والاتباع والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربع البشر أربعمائة [illegible] لا يخرج منه شيء الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنخم ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يعرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا [illegible] بلغ من املاء الله تعالى أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان في تلك المدة أدركه جوع يوم أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسسه سوء ومكروه ولا ألقاه الا الخير بسرور وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه [illegible] فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف [illegible] عليهم أن يؤمنوا بموسى ويتبعوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا فأمر هامان ببنائه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح [illegible] الله تعالى له أمره استدراجا له منه ورأى الامر على ما يريد الى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن دعه [illegible] فاني مستدرجه وآخذه بغتة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف

أخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلي فقال نعم يا سيدي انه في كل وقت صلاة يدفع الي دينارا ذهبا فقلت هل معه شيء من ذلك فقال لا يا سيدي ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك وأحببت أن أعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه وكانت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الي بانه يريد الصلاة ويدفع الي الدينار على عادته فأشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فأطلقته يصلي فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الي الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الي كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الي الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر أشار الي كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الي العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب أشار الي فأشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الي ذلك فلما جاء وقت العشاء

www.alkottob.com

ألف رجل فالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فمن نجار أو حداد أو بناء الا بيسير بيده
وأما الذين كانوا يلحنون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدبير
٧ فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله
تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ هرم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنهبوا الحرب ثم ان عسكر فرعون
قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وغررت بيته وسفهت أحلامه البلاء منته
عليك حيث أنقذك من اليم فجابك وبغضا لك ما علمنا ما أتيت سائر اليوم من سوء الحال فاستغاث فرعون
من الغرق واستدرك كل من الموت فآمن وأقلع وتاب والله واتخذ ذلك ولداً ثم فر ربه منه آبقا كافر أو جنسه عدوا
شاردا ظالما متمنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد
علم أنه لا يعني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله
بالعذاب وبالآيات *(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا
هلاكهم اظهارا للقدرته والزاما لحجته)*

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
(قال قتادة) أما السنون فكانت ببادیتهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى
فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ما هو (قال) ابن عباس كان أول الآيات
الطوفان هو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكهم وقال الضحاك هو
الغرق وقال مجاهد وسلمة هو الموت الذريع المتفرق وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب
هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أكثر آل فرعون فمات منهم في ليلة ألفا ألف ولم يبق منهن مائة نيف
أو قلابة الطوفان الجدري فهم أول من عذب به فبقي في الأرض ما أراد الله (واختلفوا) في القمل ما هو
فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الدبا
وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الصغار التي لا أجنحة لها وهو القمل الصغار التي لا أبيض لها
وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء والقمل دليله
قراءة الحسن أو القمل بضم القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ربو بين القردان قال أبو العالية
أرسل الله الحمنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدر واحد على المبر قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

أرسل الدبا والجراد عليهم * وعدابا فاهلكهم دبورا

(باب في صفة تأويل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الأخبار دخل حديث بعضهم في بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون وجمع عدو الله ما استطاع وأراد أن يرفع موسى وهرون في عسكر بني اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلموا بني اسرائيل ما لا يملكون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس بيتي واعلف دوابي واستق لي ونحو ذلك من الخدمة التي كانت تكفيها الاتطيق ولا يملكون أنفسهم في كل ذلك خبزا فاذا أمسى النهار يعرفون لهم اذهبوا فاكتسبوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله فيورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نطعم اذا اشتهينا ونأكل
من قبل أن نأتيها فلما جئتنا استعملتنا وألزمتنا ما لا نطيق وما نفقه فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون
والقبط ويستخلفكم في الأرض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على
الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الأرض وبغى وعتا وان
قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة وان بعدهم من الامم

الأخيرة أوما الى فقالت له الآخذ الاعشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشر عشر دينارا وقال لها طلبتك حاجتك فان سيدي شيخ كريم لا يحمل على بما سألته قال فبقيت تلك الليلة متفكرا في أمره متعجبا مما رأيته منه وغدا على هيئة وأمر عظيم وصلات الله من أولياء الله تعالى فلما أصبحت دعوته للغداء وعندي ثم أكرمته وفكهت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعممته وجعلت ثم طيلسانا بيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وأنت في أعز مكان وأكرم محل وذكرت له غاية الاكرام والرجوع الى بلاده فاشتار الرجوع الى بلاده فأمرت له بما يليق به من الزاد والنفقة ومعه من أصحابي رجالا الى عشر رجال وأوصيتهم بايصاله الى بلاده سالما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد وجمعت لهم جميع ما يأمرهم به ويصلحهم وجمع ما يختاره ثم أحضر بغلا وقرطاسا ودواة وقلما وكتبت له كتابا يتضمن ما ذكرته له وبينته وقلت له اذا وصلت الى بلاده سالما فاكتب لي كتاب السلامة في القرطاس الذي وقفتك عليه في الطريق ثم دعوته وحملته بقضي فقال له

اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط منثبكة متخللة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركدفلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشرما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما بسرنا أنا لم نمطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والشباب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فجاعوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد) أخبرنا الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابره اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بملء كوة فقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يعتبر عنه بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاها في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابعه بغير شباع فقلت يا أبا المضي مما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببير وشرجل صالح يذكر انه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل باطل ما فيها وما يقول بيده هكذا فيث ما أشار استقى الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بتربة من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ونحوه ثم يلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكل وجد جسده ملئ قملا فاصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار

ولم يستطيعوا الهجرة وقال سعيد بن جبير الفسل السوس الذي يخرج من الجوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم الفسل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كاط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيعمل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأصاه أعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابعت له الضفادع بالتدفق من كل ناحية حتى أعلم بعضها بعضا وسمع أدناها أصاها ثم اجتمعت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أوانيهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا انا ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه ويسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذرا عا بعضها فوق بعض وقد سريرا عليه وكانا حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لاكلة فتسبق الضفدعة لقمته فيها وكانوا لا يجدون شيأ من الجب الا امتلأ ضفادع فيه ولا يجدون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في برامهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأنهم الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كلموا ليكون وساروا المدينة وطرقها حتى جيفا من كثرتها يأتي الرجل باقدامهم وأرجحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب ولا نعود فأخذ على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روي ان موسى أمر أن يخطب بعصاه ويعلمها فجعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فطفى بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فاحتملتها من بينهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسى أن يتوجه الى شاطئ البحر فيشير بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصار ماء آبارهم وعيونهم وحياضهم كلها دما وما استقوا من الانهار والآبار الا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه سحر لكم فدعا موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج من ماء القبطي دما وما الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها الماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تلتقي هي والمرأة من بني اسرائيل حين يعجنها العجين فتقول لها اجعليه في فيك ثم عجينه في فتأخذ في فم امائه فاذا اجتمعا ساوى دما قالوا انيل على ذلك لا نأكل حتى انهم تقول لها اجعليه في فيك ثم عجينه في فتأخذ في فم امائه فاذا اجتمعا ساوى دما قالوا انيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا يستقون من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في ذلك الايام حتى انه اضطر الى مص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فلما أيسوا وراعا فاقاموا في ذلك سبعة أيام (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة

منها الى الدباغ ثم مضت والدتي الى بيت القاضي فلما وصلت استأذنت في الدخول فدخلت وسلمت على القاضي فرد عليها السلام ثم قال ما طلبتك لنباشر بنته فقالت له يا سيدي ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وجئت اليك لعلك ان تتصدق علينا بشئ من بيت مال المسلمين قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها عد الى أصحابك شيأ قال فخرجت من عنده وجاءت الى البناء وهم يبكون من شدة الجوع فقالت لهن يا بنات طيبن قلوبكن فقد أوعدنا القاضي بالله في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا أرجع اليه كما قال وآتيكم بشئ من عنده قال فباتوا تلك الليلة مستبشرين فلما أصبح الصباح ذهبت والدتهن الى بيت القاضي فوجدته بالساعلي باب داره فسلمت عليه فرد عليها السلام ثم قال لها يا سيدتي كنت أوعدتني بالامس بشئ وقد جئتك طائعة في طلبه فلما سمع كلامها استهان بها ولم يرها وقال اذهبي عني مع حيشة المرأة فخرجت منها كاسفة وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت فيها وبكت بكاء شديدا وقالت اللهم يا ذي وجهه أرجع الى بناتي وباي

كعب الاحبار فمكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة بهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون على دعائهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياقوت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لله ذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعبدونى فيه لما أريكم من التغلب ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمتنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فامر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يبنى معلى موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال، ولا ايجاف خيل ولا ركاب فاطلعه منهم وافضا الاعليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المغزل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال بحر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فاخرج منها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشققة نصفين وانها لحجر والجوز متشققة فوقها نصف حجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ فى ارقائهم دون أحرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بايدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا ولما ان الدنانير والدراهم صارت حجارة مقوشة كهيئتها عصاها وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وعبورهم فلق البحر لهم)

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسألون أنتم ربكم لتكون هم ثم اخبز وا طيرانا فانه أسرع لكم ثم أمر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك أمرى فامر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقال القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم قالوا ان الله تعالى لما رسل العذاب عليكم فسلم منها يكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم بكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما لهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه تالوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم ان فرعون تبعهم فى قومه وعلى

مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة حربية وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائتا ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا وقد غشينا فرعون وجنوده خلفنا فان أدركنا فيما لا طاقة لنا به كما قال الله تعالى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ علينا العهود أن لا نخرج بوا من مصر حتى يخرج معهم فيحملوه في الارض المقدسة فذلك الذي بنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذنا من قولي فكان عرابين رجلين ينادي ولا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيت ان دللتك عليه أتعطيني ما سألت قال نعم وقال حتى أستأذن ربي فأمر به أن يعطيها ما فاعطاها ذلك فقال لها اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قال ثم ان فان بحوز كبير فلا أستطيع أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن ينحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فانحسر عنه فقالت له احفر هنا فحفر هنالك فاستخرج عظامه وفي صندوق من مرمر فحملها معه مودعة في الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وجد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل اذا طلع القمر ليدعو بما دعا به أن يوفقه لما وفق يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة ومن فعل منهم ذلك أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بامرأبي فاكر مه فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتانا الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك فقال له الاعرابي ناقتي يا رسول الله سرحها وأصلح لها أهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غير هاذ فقال عليه السلام ان عجوز بني اسرائيل كانت أحسن منك مسألة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوشع قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت تموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا فاضرب بوشع ابن نون الماء فانه لم يرد ولم يصدر الا بأمر فعند ذلك قال الذي يكتم ايمانه وهو يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فعند ذلك قال موسى لا بد من ليث يسخر فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطمه فاوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتحرك سرجه ولا لبده وما وقف البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذي انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال لمن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر بني اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال

الشمس وما بقي من القمر فلما رأوه صاحوا فيه وقالوا يا فرعون كنا وكان لك هذا القصر وهذه المائة ألف من النعم المقيم والآن صرنا لسيدك النصراني ثم طردوا القاضي وأخرجوه من الباب وأرده مقامه في النار فال فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول يا ويلتاه على ما فرطت في ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدك النصراني وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبره ولا ان القاضي بالباب فاذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدك قام له وعظمه وأجلسه وقال ما حاجتك فقال القاضي هل عندك من خبر في هذه الليلة فقال سيدك اني بت في هذه الليلة بمائة الف دينار فقال القاضي عجبا لك على هذه القضية ان سيدي سجن أبي بعلة فقال فانصرف القاضي عما رآه في منامه وما وقع من القاضي فلما سمع سيدك النصراني هذه الرؤيا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس

قولوا اللهم لك الحمد ولك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال عبد الله فما زلت كتمت منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فقالوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا وميزنا لكم الماء عينا وشمالا فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاوحى موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أي ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر أوسطهم فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا مني فاقتلهم فاقتحموا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فلان أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثره حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم ويقول لهم الحقوا صاحبكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد أثبت لي هذا الموضع مرارا وما لي عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكي وهلاك أصحابي فلم يطعه فرعون وذهب مبادرا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم الحصان فرعون فاقتحم بها الحصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ينبغي الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه فتيا وتوفيه الذي فيه وقال له اغمز هذا فتال الذي أفنيت به ثم جعل يدس في فيه من حمأة البحر مخافة أن يسبق ذلك الشهادة وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فابن آدم وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت أتم ترأه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال بلغ يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما سرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى فكان صبر وشكر ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأة البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ ثمانية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا

ثيابا جددا وجلس بين يدي القاضي وقال أمدد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضي من عنده باكيا حزينا فانظر يا أخي الى العقل كيف جعل القاضي من أهل النار لجهله وجعل البحراني من أهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما أعجب هذا وما أحسنه (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا تمشي فاخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مني مسرعا حتى وقع في البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثبت العقرب على ظهرها ثم عامت به حتى ظلمت الى الجانب الآخر وأنا أنظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب من ظهرها سار حتى أتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد أتى اليه تنين عظيم يريد أن يلدغه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمد الله سبحانه وتعالى ومشيت الى ذلك الرجل وأيقظته فقام من نومه فزعا هاربا

www.alkottob.com

من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلفه على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بن معمر من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل ليقات ربه وسؤاله ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بتفسير النبيين وسير الماضين ان موسى كلم عدو الله وعدو بني اسرائيل وهو بمصر اذا تجوأمنها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه وامنت بنو اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا لموسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويسمعه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك (بعود خروب) (وقال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فذا العقدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ليقترب به فأتى طور سيناء كما سبق به وعدنا جاء وعد به وأدنا نجيا قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرني أنظر اليك (قال السدي) لما قام الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج بين قدمي موسى فوسوس في صلبه وقال ان ربك كما ملك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى ان تراني وليس يطيق البشر النظر الي في الدنيا فمن نظر الي مات فقال الهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال اطلعت أن الله تعالى يريد أن يتجلى للجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها ويجعل زبير بن ينها فلما رأى الله تواضعه من بين الجبال وشمخ بأنفه وخضع بالتجلي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (وانشق الجبل) فصار فرقا متجليا (قال ابن عباس) ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا كذا قال السدي ما تجلى للاقدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الارض وهو يذهب نزولا اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حدثني عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر ثقب الابرة فجعل الجبل دكا كما قال أبو بكر فعند ذلك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار وانخفضت الارض وارتفعت وخفت فارات الوحوش وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدي ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة صار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع في البحر فال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أي مكسرا جبلا صغارا *وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعضه سهلة أجبل فوقعت ثلاثة في المدينة أحد ورضوى وورقان وقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا قال الكلبي حر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت

هارباخيلك لاتشقق
كفيت شره ثم قبضت
عليه القصة فاطرق
رأسه ساعة ثم رفعها وقال
يارب هكذا تفعل بمن
عصاك فكيف بمن أطاعك
ثم قال وعزتك وجلالك
لئن عصيتك بعد هذا اليوم
أبدا ثم ولى تائبا الى الله
تعالى وعصمه الله تعالى
عليه *(وذكر عن ذي
النون المصري أيضا
رضي الله تعالى عنه)*
انه قال بينما أنا طائف
بالبيت الحرام سنة من
السنين اذ نظرت الى
شاب في الطواف من
أحسن الناس وجها
وأصفاه وأشدهم
اجتهادا في العبادة من
الصوفية وهو يقول في
طوافه وهو يقول يا مولاي
هذه حقيرة من حقيرة
بعزتك ولا تأيس سؤالي
قال ذو النون فدنوت
منه وسلمت عليه وقلت
حبيبي ومن الذي تعني
بهذا الكلام والله
يستحق المعاصي انظر
الي ياسيدي بعين الاعتبار
والقبول قال فنظرت
فاذا بشاب جميل وهو
يبكي وما يختار في شيء
وأثوابه تنور على الارض
فقلت له ياحبيبي ومن
يكون هذا الشاب
فقال ياعم هذا عبد
لأمير مكة يختار يكونه
عبدا لامير مكة فكيف
لا أفتخر وأنا عبد الملك
المتعال الذي أمير مكة
وعبده والسلاطين وأهل

الملائكة لابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أنواه وبى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فعرفت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثير امثل البقر تتبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل يخبرنى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كامثال النسور رؤسهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تتبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مر بنا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقادر بهم شئ من أصوات الذين مر بنا ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن ينتبههم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ خوفه موسى ففزع واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا فى يد كل ملك منهم حربة طويلة تالهبت نارا وأشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سجدوا قدسوا جادوا بهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبد الابدين وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وهو يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنسى عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران ان تشتد خوفك ويخلع قلبك فاصبر لما سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الابدين بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الخبر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يعترف موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربى وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك اختلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدل شئ ولا يقوم له شئ تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدى) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن وديم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكاوتفارت الجبال وصار فيها كهوف وشقوق قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرد خضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول ما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها الثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يا رب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل تعاقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق

حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت شيأ يطيق حملها فامده الله بقوة لا تكيفه لو لم يمده كل حرف من التوراة فحملها وهتى بها موسى وعمد الى الالواح على الجبل فاصدع له الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند رملة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فذلك قوله يا موسى اني اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية

﴿(فصل في تسعة عشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى بن عمران في الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)﴾

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن يحيى وقدسني لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيأ واشكرني ولوالديك الي المصير أسبغ عليك ظاهرة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمي كاذبا فاني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يحل سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فاني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فان الحاسد ناعتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاعجب عند ذلك مني وأغلق دون هواك أبواب الشهوات ولا تقدم لغيري فانه لا يصعد الي من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمي ولا تغير بما لك فانه أكبر مقتاتي ولا تدع أبويك للناس ما تحب أن تفعل وأكرمهما يمد عمرك لتكون فيهذه العشر الكلمات وقد أعطاها الله بجملتها لموسى على الله عليه وسلم في ثماني عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله تعالى هلم أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو الحسن عبد الرحمن بن أبي الحسن الطرابلسي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمني بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين وقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فما آتيتك فكن من الشاكرين أي بقوة وجدوا فيها مكتوبا على جبهته عليه السلام قال يا موسى يارب من هذا قال أحمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل أن أخلق السموات والارض بألفي عام وانه نبي من ذريته من خلقي وهو أسبب الى من جميع خلقي وجميع ملائكتي فقال موسى يارب ان كان أحمد أسبب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلي على جميع الخلق قال يارب ليتني أراه وأراهم قال يا موسى انك لن تراهم ولو أردت ان تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب اني اريد ان أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فاجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا البيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي وقد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني فمن جاء منكم يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن العامري من أبيان كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله ان أخبرتك بما أبكاك لتصدقني قال نعم قال انشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

فسألت عنه فقال لي رجل امض معي الى بيتنا فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فاشتد علي أمره شديدا وسألته عنه فقال لي انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبقي على نفسه يقول انها هذه واصبح كما ترى قال ذو النون وعظنا فاصلحنا أمره ولم يبق أحد بمكة حتى حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان يتبرعون لهم وخرجوا يشيعون جنازته فما ادفناه وانصرفنا عنه أحزنني البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته في المنام وهو في أحسن صوره وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآني قام الي واعتنقني وقال ياسيدي أما تعرفني قلت بلى ما هذا الاقبال قال ظفرت لحبي وتجاوز عني وقال يا عبد هذه مرتبتي وقد أبقيت الآن لي ما شئت فما اليوم في مقدور فيعتذر عنه فلما مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين

(وعن عبد الله بن موسى رضي الله تعالى عنه) أنه قال ركبت في مركب سبعة من السنين الى بيت الله الحرام وكانت معي زوجتي وكانت عاملة فيما نحن سائرون اذ كسرت بنا

www.alkottob.com

و يؤمنون بالكتاب الاول والآخر و يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم الحامدون وعاة الشمس هم المحمدون اذا أرادوا أمرا قالوا ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا عملوا كاملا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفره حفرة عميقة الغور وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسجون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء نحر اشجعين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى فقال الخبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمتا مصاصا صفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الطير من وراء الشعير فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد فأرسى الله تعالى اليه ثلاث آيات رضيه بهن فقال تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت لتبغي الهدى قال وجدته يا موسى قال موسى يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر والديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب أي الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فأي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيء يجيء بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل

وجوههم وأتاهم البحر لما من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم قوة واسمعوا فان قبلتموه ورفعتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم فما زال الجبل فالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعنا (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما غشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه رفع لا يبدي وجهه لا حد مخافة أن يموت (وأخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الاسفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المخرمي قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الاسفي قال حدثنا عبد الله بن شبة قال حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا الصحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت فلسوته نارا لشدته * (باب في ذكر مهلك بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل) *

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقاتي ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون وأمره بالاصلاح على سنة الاسلام على فرس يقال له فارس اسمه ذوهبي يلقاه أني لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل الجمل حين عبروا البحر وهو ان الله تعالى بعث جبريل على فرس يلقاء شطون تهامة البصر عليها تركب الانبياء كلهم وساس البحر وشمت نعول قوم فرعون وبعها فاضت في أنوفها فالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى الجبل الصغير أو واد أو غار فيأتيه جبريل فلقنه ويقول الله لسانك من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يفطم بالتمر وكان السبب في السامري جبريل عليه السلام (قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل سمعت أبي يقول اختلفوا في اسم السامري فقال بعضهم اسمه موسى وقال بعضهم اسمه هرون ثم عرفوه من ذلك الوقت اذا جاء في الحديث عن ابن عباس لا يروى من أهل الكتاب لا يعمل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا وتابعه على ذلك بالعداوة والعشي حتى كبر واختلطا بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان أبو عمرو الكندي يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أزاهل بم شت وفرعون أزاهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أزاهل بم شت والسامري أزاهل دوزخ يريد قال قتادة والسدي كان رجلا من علماء بني اسرائيل ومن يقل له يقال له السامري ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا من السامرة من أهل باجرمي واسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى فلقبر وكان رجلا منافقا من أهل الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى ليقاتل به وكان قد وعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعدوا بني اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم اقتسموا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل ولم يعدوا النهار وما كان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا وأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فهيا بنا لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فهيا بنا لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامري لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العماليق وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فافتتنهما السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى وهي من خرج جمعة عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه

(١) قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة فارسنامه هذا بقوم موسى وجبريل من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل دوزخ اه من هامش الاصل

أكثر اعمالا ولم نجد على فرعون من أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخي انه كان لي ... حديث عجيب وأمر ... مطرب غريب وذلك انه كان لي بمدينة جبلة وكنت بها مولعا فراودتني نفسي ... أن أقصد عليها الاعتصام بالورع فأصابت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتي واذا بقارع يقرع الباب فرجعت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت يا أخي أصابني جوع شديد حمل لك أن تطعمني لله فقلت لها أما تعلمين ما أنا فيه من ... وما أقاسيه من ... فما أطعمك الا ان مكنتني من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى وعصيانه فتركتها ولم أطعمها شيأ فلما كان بعد يومين أتتني وقالت لي كالمرة الاولى فأبيت عليها فمضت وقعدت في البيت وقد أشرفت على الهلاك فلما علمت الطعام بين يدي اذ رفعت يدها بالدعوة ثم قالت هذا لله فقلت لا الا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقسم ظهرها فقالت يا أخي أعنتني الجليل ولم أقدر على

www.alkottob.com

و بقى ذلك الحلى بايدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبى الله هل اقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به ما يريد بأصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقول ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجاء خوار ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كحسن ما يكون وقال هذا الهكم والله موسى فنسى أى اخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل ويعسوبا وخار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم والله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهلهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فانا كربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث فوسى بحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه ميوت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستة آلاف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله واجبوه بما ما أجبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له مرسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد ذكر لنا ان الذين افترقت قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين ليلة قال الله تعالى لموسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب ومن نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزلت فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يسمعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا عشرها ثم أعيدت له فى لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قرية من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى وعصا من عصابة شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركتها اولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعنى أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن

ولم يكن عندى طعام
فقمت وأضرمت النار
وصنعت لها طعاما فلما
تجهز الطعام ووضعته بين
يديها تذكرت الله
تعالى وقلت فى نفسى
ويحك ما هذا ان هذه
امرأة ناقصة عقل ودين
تمتنع من طعام لا قدرة
لها عليه وهى تتردد المرة
بعد المرة من ألم الجوع
وأنت لا تنتهى عن
معصية الله تعالى ثم قلت
اللهم انى تائب اليك
مما كان منى انى لا
أقربها فى معصية
أبدا فدخلت اليها وهى
تأكل فقلت لها كلى
ولا روع عليك فانه لله
سبحانه وتعالى فلما
سمعت ذلك رفعت رأسها
الى السماء وقالت اللهم
ان كان صادقا فحرم عليه
النار فى الدنيا والآخرة
قال فتركتها تأكل
وقمت لازيل النار وكان
ذلك فى زمن الشتاء
فوقعت جمرة على قدمى
فلم أشعر فى فدخلت اليها
وأنا فرح مسرور
وقلت أبشرى فان الله
تعالى أجاب دعاءك
فرمت اللقمة من يدها
وسجدت شكرا لله
تعالى وقالت اللهم
أريتنى مرادى فيه
فاقبض روحى هذه
الساعة فقبض الله
روحها فى سجدتها رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا يجدنى يا أخى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (وحكى عن بعضهم

www.alkottob.com

أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي إني خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها أي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم قد اخطأوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا فأي شيء نصنع وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أي ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا للامر وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا في الافنية محتبين وأصلتت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم ان يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك ان أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى ان يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فشرب ماءه من عبد العجل فاصفرت ألوانهم ووجوههم واسودت شفاههم وقيل ثبت على شاربه الذهب وكان عليه أثره فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه استخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فافتضحوا وانتصب العجل رجاء انه وقالوا يا موسى انا قد ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرتنا ان نقتل أنفسنا لفعلنا ثم ان موسى هم بقتل السامري فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخي فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أي بعذابك في القيامة ثم أمر موسى بني اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه وصار السامري وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤالف ولا يدنو من الناس ولا يدنو أحد منهم منه فعرض ذلك الموضع بالقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أي لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو مسه أحد منهم حم كلاهما في الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بني اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا (وروي) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا

عفا الله تعالى عنه) أنه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف الجبل لا يراه أحد من الناس ولا يرى أحدا ويشرب من ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويقتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر عن العبادة وعليه أنوار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له يا هذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يا نبي الله أخاف أن أوخذ على غفلة فتقوى نفسي فأكون مقصرا عند مقري فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك يا هذا فقال نعم سله ان يعطيني رضاه ولا يشغلني بأحد سواه حتى يقضي [illegible] ألقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام مالكه نسي كلام العابد فقال له الله عز وجل يا موسى ما قال لك عبدي العابد فقال موسى يا رب أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له يتعبد ما شاء في الليل والنهار فانه من أهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فأتاه موسى عليه السلام فأخبره بما قاله مولاه وما سبق من ذنوبه ونعتا بأمره في العابد من حجابة قضائه وحكمته وكل شيء بعين قدرته ثم بكى وقال يا موسى وعزته وجلاله

وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا فوبكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا وبلا ليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يا رب كيف أرجع الى بنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرنى) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجنة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

(باب فى قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الخلق ان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماريب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يوخبد بنت شميويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابنى عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عم لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنى) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراسانى وشهر بن حوشب زاد عليهم فى الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأبراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أى لتثقل وقيل بهم اذا حملوها لتثقلها واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن شيبة قال وجدت فى الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غير الحمولة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز وقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب ابن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل فى سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفى باسناده عن ابن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل فى العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وتجعل بتعبد مع قارون وجعل ابليس يشهره بالعبادة ويفوقه فتضع له قارون وقال له

ومابه ملل ولا سقم * أكثر من سجعاولاه اذا شاء في الظلام مبتهلا * أجابه الله ثم لباه قال ولم يزل يكرر ذلك حتى طلع الفجر

ابليس يافارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لانشهد لبني اسرائيل جماعة ولانعودلهم مريضا ولانشهد جنازة قال فأصدره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يافارون قد رضينا أن نكون هكذا كان على بني اسرائيل فقال له فارون فاي رأي عندك قال نكتسب يوما في الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكتسب في يوم الجمعة وتتعبد باقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال فارون فأي الرأي عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فان تصدق ونعطي قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جاس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ مالا ما أخبرنا به ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد الرزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا * أطمعتني في كنز فارون
جئت من الليل بشمالة * تغسل ماقالت يمين

فبغى قارون وطغى وتجبر وتكبر واستغنى وأثرى حتى هان فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر وتعالى على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الارض * فيما كان أبي يذكر لي عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والاطواق الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعلموا أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يطهروا ثيابهم ويتوبوا ويقدموا أربعة في كل طرف خيطا أخضر ليه كون السماء فقال موسى يارب لم أميت بني اسرائيل بتعليق هذا الخيوط الخضر في أرديتهم فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم لكي يذكروني به اذا نظروا اليه يذكرون الله تعالى ويعلمون أني منزل منها كلاما فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذا الخيوط قال له يا موسى ان الصغير من أمري ليس بصغير وان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير قال فقال موسى يا بني اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تجعلوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء اذا كر وار بكم اذا رأيتموها فتذكروا بها أمر الله اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذا الا الارباب بين قومهم لكي يتميزوا من غيرهم فكان ابى هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة الدين بيت الغربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتونهم بدينهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا في هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا صيتكم فمن أصبح عصاه مخضرة فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكان كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت وأهاورق وأخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا بشيء مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا وبخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر

معتدي
وهو يبكي وأنا أبكي شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب لبيك عبدي فانت في كنفي * وكل ما قلت قد سمعناه صوتك فشتاقة ملائكتي * وذنبك الآن قد غفرناه قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين في مثل هذا اليوم أوفى ليلة فيه فان عليه فرد علي السلام فقلت له بارك الله لك في البيت وبارك فيك من أنت رحمك الله فقال راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع من أمره وشجره وكنت أتهيب لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسر الله تعالى لي فقلت لاهل الدار ان صبيني فلانا عندهم فهل لي اليه سبيل فقالوا نعم وهل يأنس بالخلوقين من يتلذذ بمناجاة رب العالمين لما والله لو خير لي على عصرنا هذا أحد من أصحاب النبي ﷺ لقلت هؤلاء أصحاب النبي ﷺ هؤلاء أشراف لا يؤمنون بيسوعا فسألت عن بصري فلم أره فاستقنعت الى مرافقته ثم سألت الله تعالى أن يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة فاذا بنفسي

وضرب على جدرانهم صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا ولم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم انه موسى قد أمركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاستحيا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمولك وأخطاك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في رواح من الارض فقام فيهم خطيبا وعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تذكرها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذف نفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقطا في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدو لك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعه فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى حقويهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أشداقهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم قارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى وينا شدونه فاوحى الله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم فاوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يتجلجل بهم فيها الا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه اني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وقالوا كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

ثم قال أن يجمع بيننا قبل الموت (قلت) نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قال له يرحمك الله اخبرني عما رأيت تلك الليلة ورحمت شهوة فظننت انه قد انفتق حجاب قلبه وخرمغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن علي القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا نصب ولا نصب ولا تعب ثم غاب عن بصري فلم أر رضي الله تعالى عنه * (وحكى عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) * أنه قال حججت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادي رضي الله تعالى عنه فرأيت عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل أدلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغتنمت بقية عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما فكلماني فلم يكلماني فقلت أقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ رأسه فقال يا ابن الاحنف ما أقل

www.alkottob.com

الجوع والعطش والتعب فقالت الشاب علمني شيئا يا سيدي أنتفع به فقال نعم أهل الصائب ليس انا الساعات الثلاثة فأنت

فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات (باب في قصة موسى مع الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ) قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء في السبب الذي قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يا رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يا رب أي عبادك أحب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يا رب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض أحد أعلم مني قال نعم قال يا رب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علامة له وقال اذا نسيت هذا الحوت فإن صاحبك هنالك وكان قد تزودا سمكا مالحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال الله يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه ان يريه اياه فأوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى وإذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه أي لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قاله قتادة وقال أبي بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا فخرجا ومعهما الحوت والسمك المالح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال مقاتل بن زياد وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا حيي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه بدليل عليه قوله تعالى اني نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفيته فروى أبي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظا

عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم آكل ولم أشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لابد من سؤالهما في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويهابك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فوقفت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبركاتهما آمين * (وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) * أنه قال وصف لي رجل من السادة باليمن من الخائفين سما على المجتهدين وهو يصلح الناس معروفا بالعلم والحكمة والخشوع موصوفا فقال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي قصدت زيارته لأسمع كلامه وأنتفع بمواعظه وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ونظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب

موسى عليه السلام نبي صاحبه أن يخبره بالحوت فاتا فقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال فتاده قد دالله الى الحوت ووجه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ودب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر المرور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قوم اذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيت ان أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جري الحوت أخدود شبه لهم من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذي جاءا منه قصصا أي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

(فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد ابن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد ابن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفربابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

(فصل في بدو أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل عن يمينه اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبو ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فأتاه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره ترث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فرفعت اليه فلما بقيت عنده قال لها الى مخبرك بامر ان أنت كتمته صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك الملك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا ولد له وولد فسأله أبوه فقال ما ذاك بيدي وانما ذاك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فاردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فشكت أويزمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأن وجدت امرأة تغيرها ولود اربما ترزق منها

حبكم قد سري لوسط فؤادي
من قديم الزمان مذ كنت طفلا
قال ولم يزل الشاب في جلتنا حتى انتهينا الى العين فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب ففرج الينا كأنه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدى له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب يا سيدي ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بي جرحا أغفل وداءه فكن وأفضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وأنشد يقول شعرا
ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لي بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لي فاني
أعجز الخلق والاطباء طبي
آه واحباتي ويا طول حزني
من وقوفي اذا وصلت لربي
وانقطاع الجواب مني ولم لا
وبلاقي قد جل عن كل خطب
فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب يا سيدي ما علامة الخوف من الله تعالى فقال ان تأمن الله سبحانه خوفه من كل خوف قال فخر الفتى

ولذا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة ثيبا ولودا أيضا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس بولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فأدركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني أقول لكم شيئا فان كتمتموه علي صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سري عذبكم الله في الدنيا وفي الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمري ولا تخبروا أبي أنكم رأيتموني وقولوا مثل قول نفر أنكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بي أو ذهبتم بي اليه قتلني وصرتم أنتم مؤاخذين بدمي قال ففعلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال انا كتمته وكتمت فلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم وما لنا به خبر والتسعة قالوا انا قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وان الخضر خاف أن يظفروا به فتحول من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقال لهم أبوه وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بابني حتى هرب فقتلها وبعثت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر رؤية الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه وولد لهما ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخركم فأوصي أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجيء بالمرأة اليه فحضرته فأمرها أن ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في هذا القدر فأبت عليه فأمر بولدها الاكبر فألقي فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فأرادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الجنة فلما أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنونا جميعا في مكاننا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه قبورهم ويروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارة لهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا ومشيا في الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما رددتكما الى منازلكما فقالا بل ردنا الى منازلنا فقال لهما عاهداني ان تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء من أمري بأنه فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحابة تمر فدعاها وسألها فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لها احملي هذين حتى تضعيهما على سطح منزلهما فاحتملتهما السحابة وانطلقت بهما ثم رفعتهما ووضعتهما حتى وضعتهما على سطح منزلهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه

يتم من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الضنى قال فصاح الشاب صيحة وغشي عليه فلما أفاق قال له يا سيدي بما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحب رفيعة فقال الشاب أحب يا سيدي أن تصفها لي فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى كشف لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد تلك الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال هكذا مصرع الخائفين رضي الله تعالى عنهم أجمعين (وحكي عن أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت في مسجدي واذا برجل قد دخل علي وصلى ركعتين ثم امتد في ناحية من المسجد وأشار الي فلما جئته قال لي يا أبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلني وكفني وصل علي وادفني فاذا فرغت من أمري فسيدخل عليك شاب مصري مغن فاذا حضر الساعة فادفع له مرقعتي وعصاي وركوتي هذه قال الجنيد كيف

وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابلك في موضع كذا وكذا وضيع لي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك فقال فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبناه جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغداة ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس ونوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فدخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يأتي على واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم ينلت غيري وغيرك فبأي شيء نجونا فاخبريني وأنا أخبرك بما عهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة واما نجاتهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين علي حتى يقضي الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا ولدت لهما أولادا وتناسخت المرأة آل فرعون وصاروا ماشطة لهم فخلت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله فنزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت لي ربي فقالت لها وان لك ربا غير أبي فقالت نعم هو ربي وربك وأبيك ورب كل شيء فهمت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ماهذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نتركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أنعلى تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بامية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا أن يكفروا فاخذهم واحدا واحدا فالقاهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فربيننا أن تحفر فيه حفيرة ثم تأمر بالقدر فتفصل بها فتواري ثم ائتون بها منزلنا فيكتب ما في القدر في الحفيرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة التي تشم من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباعلى قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي بئر كان احفرها ابراهيم عليه السلام لما شيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في حملته فلذ وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل

(وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان في عصر كرفنيت ابن كراراشت في أيام مختصر وبن افريدون وكرفشت

www.alkottob.com

من الدهور والازمان مالا يجهل ذو علم بايام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بالهبوط بالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران الثاني في عصر متوشلخ الثالث كان متوشلخ الثالث بعد ملك جده افريدون دل هذا على ذلك فان قال ان أرميا بن حلقيا لان أرميا كان في أيام بختنصر وبين موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فلم يمت في أيام ابراهيم ومن بعده الى ايام ناشئة بن أموص فبعث عند ذلك نبيا والله أعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار

(وروى) محمد بن المتوكل عن عمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن يعقوب قال أخبرنا زيد بن سمعان بن مروان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد علي الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الاحمالي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم عن أنس بن مالك قال بينما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوف يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فانظر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورسول الله من أنت فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له اخو لك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمة المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

(ورجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان في بني اسرائيل ما شغل قال وحي ان ربي أرسلني اليك لاتبعك وأتعلم من علمك ثم جاسا يتحدثان. فاءت سمكة حتى جلست بعقار من الماء فقال الخضر لموسى هل تدري ما تقول هذه السمكة قال لا قال فانها تقول ان الخضر في هذا الموضع فعند ذلك قال موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا اني أعلم علما علمنيه الله تعالى لا تعلمه أنت وأنت علم علمنيه الله تعالى لا أعلمه أنا فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة نفض موسى ناحية ثوبه وقال يا رب أغرقة التعرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فرقت سفينتهم ماهذا الذي صنعت بنا وبهم لقد جئت شيئا إمرا أي عجبا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة نفض موسى ناحية ثوبه وقال في نفسه ما كنت أسمع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتاولهم كتاب الله غدوة وعشية وأعلمهم عمله وقال له الخضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال فلعلك كذا وكذا قال صدقت

عز وجل وعزتي وجلالي ان كان مسدد طرد الجنيد فقد قبلته فانا أفعل ذلك فانا أفعل المادون وأعفو عن المذنبين امضوا بعبدي الى الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكي عن أبي العباس الخضر عليه السلام) أنه قال كنت بصنعاء اليمن في مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان من أكابر العلماء والاولياء أسمع منه ما يقول سقط الى شاب مصروع بنا حية من المسجد فتقل بنفسه واضطرب رأسه بين ركبتي فجاءت الحية ووكزته وقتلته هذا لم لا تخرج يا ابليس فجلس عبد الرزاق يسمع ما يقول فقال قد سمعت من الله عز وجل وأدهشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فين أنا فقال ان جئت الفرات فقلت يا خضر عليك السلام ثم غاب عن بصري فلم أره فقمنا الله تعالى به آمين

(وحكي عن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه) أنه قال غزا والدي سبعة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذي

بإذن الله تعالى فغزا والدي عليه فلما رجع قال يا والدي بعد السريح عن المهر فقلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا والدي انه عارية فلما أخبرت السريح عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كرامات رضي الله تعالى عنه * (وحكى عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) * أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فكانت امرأته من المتعبدات تصلي عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فلقنها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة معفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي وانى صلى على قال فصرخ النباش من عنده ها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته وبركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين أجمعين * (وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجلسنا اذ قد تهيأنا للخروج للغزو في سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤا

فانطلقا عشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوئهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فنادى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح جاء الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بان عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما رآه قال موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس ظاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر اما ترى موسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة والبها ينسب النصارى قالوا فوافيا ها قبيل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى مائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن بربه أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وقيل في بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا ولغة على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسره فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها وتوفي أبوهم وترك لهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أصم والرابع أكمه والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه سميا بين فارس والروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على تلة الا ما وقى الله تعالى فاردت أن أعيبها فطمع الطامعين فيها وقد تعالى شرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي امامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم يرزخ الى يوم يبعثون أي امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرأ ها ابن عباس ففرقتها وعيبتها كي لا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك

اشهد أني بعته نفسي ومالي بأن لي الجنة فقالت له يا غلام ان عبدا لسيده أشد من ذلك وأنت صغير السن يخاف عليك ان لا تصبر

الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه مرثد بن جلندى الازدى وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان اهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا فى كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمى بها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أى فعلمنا أن يرهقهما بعد ان هما طغيانا وكفرا فيحملهما على ان يتبعاه فى الكفر فيحبهما ويدخلا معه فى دينه ومحبتهما له وفيل خشى على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتعادل ابواه فيدخلان النار فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعنى واصلا للرحم وبرا بوالديه فابدلهما الله بجارية وهى أدركت يونس بن متى وتزوجها بعد نبيها فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله ابن حامد قال أخبرنا حامد بن محمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن المبرك أخبرنا عبد الوهاب بن فليح اخبرنا يونس بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه فى هذه الآية قال أبدلهما بجارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به أبوا صبى ولد وحزنا عليه صبى قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحب وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنزا لهما وانما قالوا فى ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز لا بل علما أخبرنا أبو بكر الخشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا سفوان ابن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان سابعا سبعة آباء تقيا أمينا فحفظ الصلاح أبيهما ولم يذكرهما بصلاح وكان بينهما وبين الاب الذى حفظ لابيه سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبعشيرته التى هو فيها والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يا بنى لازيدن فى صلاتى من أجلك لعلى أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت حسن موقعها من قلبى فماتت وذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أعلى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت تسمع ذكرى فكانت تتعرض على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بفنائى يدق دقا عنيفا فقلت من هذا فقالت أختك فلانة فقلت ليلة ليلة فقمت ففتحت الباب ودخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى بت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يا أمة الله فقلت وعليك السلام فقال لى ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلفه جدك رحفظ لك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد نشفعا لك الى الله تعالى يوم القيامة فاخترت أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل فالقلا يتعاظمه شئ فى حكمه لو شاء لجمعهما لى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك يعنى أبا بكر وعمر فانزلى فان الله اذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وتلطف له ثم قال له يا عم دعوت حتى نجاك الله قال مات بى من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما فحفظنى منه لصلاح آبائى فأراد بذلك أن يلقى أشدهما ويستخرج كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعله عن أمرى وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال ان العالم موسى على الخضر خرق السفينة وقتل الغلام واقامته الجدار تحسبا جميعا قال له يا موسى أتلومنى على خرق السفينة خافة

أن قدر أن أضعه فلما رأيتنى اسمه تشمر بى وظن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقالت ان يكن خدمها

وأنت صغير عن ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أنا مع الله تعالى بالجنة ثم أعز أشهدك انى بعته نفسه ومالى فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا هذا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وقد جمع ماله فى سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم أشار الى كان أذل من طلع علينا هو فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام يا حبيبى ويح البيع ثم صرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينما نحن جلوس اذا به قد أقبل وهو يسادى واشوقاه الى العيناء المرضية فقال أيها الغلام ما هذا فقال وسوسة وانتقاما عقل قال عبد الواحد فقلت له يا حبيبى وما هذه العيناء المرضية فقال السلام يا سيدى ان خفوت فلا فرأيته فى منامى كأنه قد أقبل الى وقال أنا أبو آت فقال الى أذهب الى العيناء المرضية ثم أشد بيدى وهجم بى على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطئ ذلك النهر جوار عاربات من الحلى والحلل مالا

www.alkottob.com

غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فغفر الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا الاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كان وافى البحر فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (ويروى) عن علي ابن أبي طالب وغيره ان موسى لما أراد ان يرى الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى ارضني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة وبالا والجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) ابو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي من شئ أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شئ أعطيكه فقال له السائل اسألك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شئ أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بمائتي درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شئ فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الجارة من ههنا الى ههنا وكانت الجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم مرض الرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا فما فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شئ قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لبنا بيده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذي أرقني في العبودية أما انا فسأخبرك أنا الخضر سألني سائل بوجه ربي ان أعطيه ولم يكن معي شئ أعطيه فلم تكنه من نفسي حتى باعني وباعني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بابي أنت وأمي شققت علي لم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وان أحببت أن أخلي سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلي سبيلي أعبد ربي وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا تعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال علماء السير كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وتباهوا أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن

يدعو الله لبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أجئتنا لتسألنا عن القتيل فنأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في التناسب ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى فلزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا في بني اسرائيل كان بارا بأبيه بلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل ربح فغالى البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فلم يوقظه حتى ينتبه وأعطاه الثمن فقال أيقظ أبالك وأعطي المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وانتظرني حتى ينتبه أبي ففعل الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أبالك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال فبات قائما ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت بابني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لابر الوالد (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وثبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل هو وأهله ثلثه وربما بات طاويا ان أبالك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها بالله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من بين قرنيها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفائها ولونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق و بعقوب أن تردي علي ما أقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فمسح على عنقها وقال ها ذا كانت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة والله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فالمنلوا أشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله و يتعلق انعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى فأتاه فقال له عدو الله ابليس في سورة قرع فقال له أيها الفتى انك قرعت البقرات تبتغي الأجر لي فأنعذف أو رامن غيرانى وصلت عليها زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر هذه البلاد ذهبت لاقضي حاجتي فغدا وسنا الليل وما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتجيزني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب متوكل على الله فلما سمع اللعين ابليس بلاغ الفتى قال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أمي لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال بسم الله الله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم ترالى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسني أما انه لو ركبني لما قدرت على أبدا فلما دعوت بالله ابراهيم جاءني ملك الترعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فدعا بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك و يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير لا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليريه خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشرط عليك رضا والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى

 غير مغتر وواسني فطلت من مناي كافي الله قد نشطت من عقال وما كتبت بعد ذلك الوهم في هذه العلة أبدا ولا ذهب

يأمن لعائق دنيا لا بقاء لها * يمسي ويصبح مغرورا وغرارا هلا تركت الذي الدنيا معالقة * شتى تعالق في الفردوس أبكارا

ان كانت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تأمن النارا * (وعن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه) * انه قال أصابني علة في ساقي ستة من السنين فكنت اتحامل عليها الصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدني وبجى منها فلست ثم لفقت ازاري في شراب ووضعت رأسي عليه وثم فبينما أنا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تعطر بين جواري من بنات حور وقفت عند رأسي والجواري من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي واحتملني وأنا أنظر اليهن في منامي ثم قالت لابي وارى اللاتي معها اقرئه لي وعهدنه وسدنه قال عبد الواحد فقرئت تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا وروحن تحتي مرافق خضر احسانا ثم قالت الاتي حملنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلنه على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما أمر به من شأني ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك

لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أبي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق وأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا تفعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أملك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتري بها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وفدى الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سنها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بل عمسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلوائها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها لاجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنها فعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته وريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة بني اسرائيل لينفاروا الى كل قتيل يوجد بين قريتين أوحلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا اختير اثنا عشر رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية فيذبحوها ويضربوا بيعضها وادي سيدهم ثم تضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل اما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد ابن محمد بن يه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة

والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الليسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمدها من أصواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثني عشر قسما سرجا فإذا انقضى وصار اثني عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة سوت من ثياب حلاها الباطن الأول سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التي تمد بها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع في أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها إلا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا بشبكة على شبكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التي تمدها من أصواف القربان وأن يجعل مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يلبسه سبعة من الجلال حلاه الباطن الأول منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث من الديباج الأصفر والرابع من الحرير الأصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غشاء من جلود القربان وقاية من الأذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش القباب بالقز الأحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصعا بألوان الجواهر واليواقيت الأحمر والأشهب والزبرجد الأخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع في أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج إليه من آلة الى رأس المال التي ورثها الله بني اسرائيل من موسى وأخيه من فرعون وقومه حينئذ في أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعة آلاف فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله إليه أني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ أبدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلي وأنواع الجواهر وأمره أن يتخذ في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام ويجعل في وسطها قرنة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له إن الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها وإني قد اصطفيتك لها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما إن الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وإنه قد اصطفاني له وأوصاني به وإني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدانة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من غير تلك النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى وهرون ينظران فدعوا عند ذلك النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر القصة والله أعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات تختلف عبارات المفسرين في الأرض المقدسة ما هي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال مقاتل هي إيليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم مقداره من السموات والأرض والبيت المقدس مقدس مقداره

أو كنت أم لمت قبل هذا بعيبك أو نيته من قريب تنهى عن البغي والأذى * وأنت (١٢٩) في البغي كارب قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها يا أم ... أرى هذه الأغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت إليك عني يا بطال فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح ما بين الذئاب وغنمي قال فخرجت من عندها وقلت من أطاع الله أطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم وأسرارهم ومددهم آمين * (وحكي عن أبينا رضي الله تعالى عنه) * أنه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم أجده ورأيت الأبواب مغلقة على حالها فلما أصبحت أتاني فدفع لي درهما مكتوبا عليه سورة الإخلاص بالقدرة الربانية فقلت له يا غلام من أين لك هذا فقال يا سيدي لك عندي في كل يوم مثل هذا بشرط أنك لا تطلبني في الليل فقلت له نعم فكان يغيب كل ليلة ويأتي بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فسكت على ذلك مدة من الزمان فبينما أنا جالس يوما إذ أتاني بعض أصحابي وقال يا ابن زيد أما علمت أن غلامك هذا فإنه نباش قبور ... فقلت لهم أمسكوا فإذا ... فلما صلينا العشاء قام الغلام نحو الأبواب مغلقة فأشار بيده فانفتح

من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هي أريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام وأهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذاك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم من عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا زال هذا الامر فيكم حتى يفتح لكم الله أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان أدركني ذلك فقال أختار لك الشام فانه صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدا في العراق وقسم الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيدين مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافور وكانت قصة بلعام على ماذكر ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قوم ملوك وبنو ملوك وجبار انك ولبس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فنام فلم ير شيئا في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ربي ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها وقال ان بلعام ابن باعور اعلم أبى أن يدعو على موسى وقومه اجمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها قصيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة درقا فاهدوها اليها فاقبلت على صاحبها وأكلت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم يزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشيء فقالت له انه قد حيل في الدعاء عليهم ولو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلع على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان وكانت مراكب العباد الاوثان الاتن فسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا مضرعا حتى غابت

عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما رجعت عنك الملائكة ولما تخلوا سبيلك فركب أثانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرفه الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه آندري ما تصنع يا بلعام اغا تدعو لهم وتدعو علينا قال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمركم وأحتال فعلموا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كشا بنت صور برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سالوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حتى أعجبتها وجاءها وقف على موسى وقال اني سأطلب أن تقول هذه حرام علي فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لأطيعنك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فحاص ابن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري ابن سالوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما مضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء وأربة قد أخذها بذراعه وعضد بها خاصرته وأسند الحربة على بطنه وكان بكر العيزار وبعمل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتل فحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هناك يصلي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة يذبحونها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها بذراعه واسناده اياها الى عضده والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلناك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فبنى له بخشب فصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له يدعو عليهم فلما عاين عسكرهم قام على الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني ويحك أما ترى ما أمامك قد منعتني أن أمضي فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه وتركه عند المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت فتعلل وتركهم على ما هم عليه (وقاله) عبد الله بن عمرو زيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت عنده انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان تصديق بعض أقواله فاه لو جميع ما يقتضي بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكا قال لا قال فساءلته عن ذلك فقال شر أربي ثم مارت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر امره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في فلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير ويا ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدي شعرا غيره فانشدته

ماهو يا له يعبد فقال الرجل وما تعبدون أنتم قلنا نعبد الهافي السماء عرشه في الارض يملكه في الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقديسه

الله تعالى واذا بالجر صار ذهبا فذهب ثم مر ذلك وأمر عنه و أصحابي لا قضي لهم ما رأيت فطرى الغلام الباب فخرجت اليه ابنتي الصغيرة وقالت ياسيد السوء أين والدي أنت قتلته من أجل نبذك القبور ثم لطمته على وجهه لطمة فطلعت فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتي الصغيرة فطلعت يدها ثم أخذت في الاعتذار اليه فأخذ الغلام يدنيه بيده ووضعها كانت اول مقدم الى السماء فاذا هي أحسن ما كانت ثم أخذ يدها الثانية وقبل عليها فاذا هي كما كانت فلما رأيت ذلك منه علمت ان هذا البلاء نزل لانباش القبور ثم ذهبت الغلام عن بقي فرزقت علي فراقه ولم أدر أين ذهب رضي الله تعالى عنه

(وعن عمر رضي الله تعالى عنه) أنه قال ركب في مراكب سفن المشركين وهي جماعة من التجار فأخذوا سلبنا رغم شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ماذا تعبد فاومأ الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا لمصنوع

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم تأتيه مثل ما قال فردا * ليس فيه لمبتغيه التواء
أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
ربان تعف فالعفو ما قد علمتني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف أبقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أماتك الله الكاذب منافي مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآتي بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظارا لمجيئه فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البرسوس وكان رجلا قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة منها ولد فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال لك منها دعوة فماتريدين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة بباحة فذهبت فيها دعوتان فجاءوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة بباحة وان الناس يعيرونا بها فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم اياهم الى أرض كنعان يجوسوا سبيل له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان بها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بني اسرائيل الدار بعصر أمرهم الله بالسير الى ارجاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمرهم عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط جوذا كالب ابن يوفنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط بالون حدي بن سوري ومن سبط أشير شاون بن ملكيل ومن سبط يقالي حجي بن وقسي ومن سبط دان حلي بن وكيل بن نحل ومن سبط لاوي نحولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط بنيامين ناطم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى الهاهؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر رجل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج

قال فأتيت اليه وقلت له هل من غداء فقال ثم قضيت حوائجي فقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت في رؤيتي حضراء وفيها قبة عظيمة وفي القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله الا ما عانيتم به فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت من منامي فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته فلما انتبهت رأيته في المنام في تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

* (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما أنا أسير في نواحي الشام اذ وقعت على رؤوسنا صخرة تناثر شظاياها وفيها ماء يصلى تحت شجرة تناثر فتقدمت من الموسات عليه فلم يردها السلام فسألت عنه ثلاثا وأربعين في صلاته ولم يلتفت بأحد منهم في الارض هذا الشهر منع اللسان عن الكلام لانه كهف البلاء وسبب الآفات فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كنت أصوم في الارض وما من كانت الا سمعني وسوسة الهوى ما كتبت بداء فلا تكتب بخطأ فغير ذلك في القيامة ان تراه

www.alkottob.com

يحتجز الصاحب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ويرفعه الهيثم بأكله (ويروى) انه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج وانظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطير فجعلت تنقر عناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فأصاب منه الاكعب وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم انطاخر فهدوا حتى خروا رأسه فما قتل وقع على نيل مصر فسد مسنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بنى على وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعه طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل أصبع فاطمأن حتى صار مثل المخلين وكان موضع ركبته مقدار خربة من الارض وما بقيت بعد الله اليها سودا كالفيلة وذئابا وثورا كالابل ونسورا كالحمر وما دنهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فما لقيهم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب فأخذ الاثني عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وملوحهم بين يديها وقال لاطحنهم برجلي فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الاخمسة نفر بينهم في خشبة ويدخل في شهرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم ان كان أخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم فشلوا ولا تدوا من نبي الله ولكن اكتموا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وباؤا بخيبة من عندهم وقشور من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا وانهم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من طولهم الا رجلين منهم وفيا بما فالا وهما يوشع بن نون بن افراثيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من اخبار اليأس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا أموالنا غنيمة لهم ويجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا ونصرف الى مصر فذلك قوله تعالى انهم اذا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لا ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي يباعدكم و ينظركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخر يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فلما رأيا منهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فراود بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صدعن البيت اني ذاهب بالهدي فناحروه عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندي انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحر الخضناه ولو تسنمت جبلا لكنا معك ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعني مدينة بالحبشة لذهبنا معك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فأشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الي من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم

نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكتهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبور كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا تؤبقهم فقال الله تعالى لموسى اني قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما وليأتينهم حتفهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذاهم أمسوا فاذاهم بالموضع الذي منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا وباتت أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أربعيناء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت الناشئة من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين رفع الله لهم

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا سار واوتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضئ عليهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور فقد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شئ أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن ما عن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمانى وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فاصطاد به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تطرهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا تدفع ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهد الانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد

ما يكلفه لبومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤوا فسد وفسدما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا ولكن أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستعجالهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا بلا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب ابن محمد قال أخبرنا تميم بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون عن عبد الله بن جلاس بن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها وفيها أنهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يضرع لهم أقرب حجر في أرض الجارة فيفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي سقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تضرب عن الجارة بالعصا ولكن كلها تطعمك اطعمهم يتسببون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا ذهبنا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا طوريا مثل رأس الرجل أمر ان يحمله فحمله فكان ينبع في ثلاثة أحجار الى الماء أخر جه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا شقها هم قال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنا عشر عينا أي حفرة تنبع من كل حفرة ثلثمائة عذب فيأخذونه فاذا ارتحلوا أراده موسى حمله وضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه لما اغتسل فمر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر رأى ملك جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرناه الحسن بن أحمد الخالدي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس قال فقام الحجر بعد ما نظروا اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان بالحجر لستة أو سبعة ندبا بالعصا قال عبد العزيز الدراوردي كان موسى يضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان بالحجر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ثم ينفجر بالانهار المطردة بذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فاذا رثت ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الايام وصرورة الاعوام الا بعد ذلك ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كأنه وفكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فضل ارتحاله ونزول بني اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم ما فتح أريحا موسى وانما فتحها يوشع وكان يوشع على مقدمته فسار وحي اليهم بمن بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى بني اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقوم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء بالسير والاخبار ان عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوفه هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق

والعنبر والنور ولو نبع بريتها أبيح لباب ولو دعي بكلامها سمعت لاعجاب ولو بدا مسمعها الشمس لاظلمت وكيف ولو بدا سبيبها في الظلمة لانارت وأشرقت ولو واجهت الآفاق بعلمها وحملها التعطرت وتزخرفت نشأت بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في شمام النعيم وغذيت بماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فلما حيث اذ حق برفع الثمن من بار تلك هذه فقال الملك ما أجد فيما وصفت فالوجود الثمن القرينة الخطاب في كل زمن فقال ما فيها يرحمك الله قلت البسير المبذول لنيل الامل المأمول وهو ان تتضرع الى ذي الملك فتصلي ركعتين فتناجيه بما ريك وان تدع ما علمك فتؤثر ما علمك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تسلم أيامك بقلة الباقية وان ترفعه عملك عن دار الغرور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتأتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم فيجزل المولى الكريم تخلدا فقال الملك يا جارية

موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم يرمثلها ولا بيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال له موسى انك أحلف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علينا قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه ما لقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد فانصرف وانا والله أعلم

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كره الله أن يحب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتدئني به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غضبة فلما تهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما واريت يدك من شعرة فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يا رب فأدنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يرد هذا الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبض نفسه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خطبة (قال السدي) في غير ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أبصر ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة وانى ملقوم موسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاءه يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكن انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فبرهط من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم

الانطاكي هذا المال فاصرفه لمستحقه واضمن لي على الله تعالى قصرا تشيد الله لي قصرك ... داره وأولاده وخدمه كالا

على ربنا فقال موسى ان هذا العبد ان الله عزوجل عظيم ما رأيت كاليوم أحسن منه عندها فقالت الملائكة يا صفي الله أتعجب أن يكون لك مثل ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تنفسته فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (وروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة (وروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسى بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رحمه الله ... حرب ارمينيا ...) قال العلماء فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم أنه نبي الله وان الله قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وضجوا ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبابرة فهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضي الله عنه فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يديها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو كادت أن تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال أصليت يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد على علي الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمهم يوشع وأتبع الملوك حتى أهبطوهم الى ... حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فأخرجوا وصلبهم ثم أنزلهم وطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنائم فجاءت النار لم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لأحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فطيبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين ساجدين منحنين خافضين رؤوسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لها سبعة أبواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا باب بالهم وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن

بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يد ولا بناه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب يا سيدي أمهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فأكثر من دعائه فلما أصبحنا غدونا فاذا بالشاب بالباب فقال يا مالك بن دينار قال ما تقول بالأمس فقال تفعل قال نعم فأحضر المال وأحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحمل المال من عنده فما أمسى مالك حتى لم يبق معه منه قوت يوم واحد وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك

كلما مضى عام في ... انه عنده ماله غير صلاة العشاء فأخذ هذا المال فاذا في ظهره مكتوب بالامس ادهشه ... الله الذي ...

عباس سمعة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم ونزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا حطا سمعانا يعني حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى فأنزل الله تعالى على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن في جبل ارنايم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتد بيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فاحسن الخلافة فيهم فبعثه الله عز وجل واستخلفه على بني اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحيي ان يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدري فصار متجدرا ماتوا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

(ذكر شمخر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالبا وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاماتهم الله تعالى بعد مونهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر) المفسرين كانت قرية بقال لها داوردان قريبة قبيل واسط وقع بها الطاعون ففر منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون ورجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وبا فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بالثمن أسفل الوادي وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن ذكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حماره ومعه ولده وغلامه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

ان يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة مطار * فقد أسيع الله أمام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الفضائل ومقاتل والكلبي انما فروا لابطال الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وآله موسى قد ترى معصية عبادك فاروهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا وارموا وحوا وارمت أجسادهم فجرح اليهم الناس فجزءا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال علماء الخراسانيين كانوا

نفسه فكان يشتغل كل يوم بنحو ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرفه كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته

ثلاثة آلاف. وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا قال وأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل أتريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يا رب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فان شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب ان أفعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا واستراحوا وأي راحة لهم في الموت أيظنون اني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أمواتا قال فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت وفرقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلدا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانها لتوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتصبيرهم في الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

(باب في قصة الياس عليه السلام)

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء وأصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذي عهد اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكانت له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يسمعون ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوّم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أزبيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محتشمة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم

وكان له مستشرف عال يقعد فيه مشرف على الناس وله أبواب مشرعة الى البساتين وقد ضربت قبة من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سرير عليه غلالة من ذهب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ وهو في تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد أوقف على رأسه الخدم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث يراهم واذا اشتهى سماع القيان تقاسر نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة وهذا كان دأبه الى أن يتفرق الليل فيتفرق الندماء ويغادر مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالنظر في المظالم بالعدل من غير ملل لم يكن بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا الافراح والسرور والنوادر المضحكة كأنهم من أنواع الطيب والنعيم المقيم ربما يكون في أوانه حتى مضت له سبع وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي بعيد وقد أصغى الى الليل اذ سمع نغمة من صوت حزين بخلاف ما اعتاده من ملاهيه فأخذت بقلبه وسار

ولها عما كان فيه فأومأ الى جلسائه ان امسكوا ثم أخرج رأسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة من

بالاقبال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويتبسل على عمارتها وتزيينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويتبلان فيها جميعا وكان للاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامر أته أزبيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها فلما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامر أته كيف لم يغصبا ها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أزبيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أزبيل جماعة من الناس وأمرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه سب للاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من سب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي وقالت له باغتنا سبك الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أراك تفلح بعدها أبدا وانا كما عن جنينة لا غنى لي وقد كانت تتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكف عنا الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حل بك على اجتراءك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان بسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فخطفتنا بين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى الاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليمتين قتلوه بين أظهرهم ظلما وفد آتى على نفسه اثنتان بها الا قليلا قال فاه الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسعى ما وكاهنهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون ولكن ما يمنعني من دنياهم ولامن أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء ومارى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفعه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتفع الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فقيل انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا على العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون في أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلبث له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامر ض الله تعالى ابن الملك الاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فلاطف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد نحتوا بعل فعظموه وحتى أجسموه وامدوه بنفقاتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يسمعون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونها الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوهم فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد ذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان في ناحية الشأم آلهة أخرى وهي في العظم مثل الهك فاتيت اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لا يجب لاي شيء غضب علي وأنا أطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل الياس

www.alkottob.com

مصفوفة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة

وفرشت فيه حتى نجا الناس وهو كافر بالله بعد غيره فذلك الذي أخشى عليك قال لا جرم وكيف لي أن أقتله في يومي هذا وأنا مشغول عن طلبه بوسيع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلعله مر في أثناء تفرقتك لطلبه ولم يركب إليهم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح الهيصم منه وأريد به قال ثم إنه بعث الأربعمائة نبي ليشفعوا إلى الآلهة التي بالشأم ويسألوها أن تشفع إلى ستم اللات ليشفي ابنه فانطلقوا إلى الأصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الأصنام ولم تكلمهم فرجعوا إلى اللات وأخبروه بذلك فقال اللات وكيف لي أن أقتل الياس في هذا اليوم قال نخرج أربعمائة حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله إليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله أرسلني إليكم والي من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك أسلم تسلم بالا عجب إني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئت وإذا كانت بأسي لا يغيظنك في ابنك ولا مينته من فوره هذا حتى تعلم أن أحد الأجلين له شبابا دوني فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا إلى اللات وصلوا إليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بأن الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل ودود قشف وقمل رقعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من سعر وعباءة مدثلا على صدره بحلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معناقة ذف له في قلوبنا الرعب والهيبة فظننا أنه نقطع ألسنتنا دوننا في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه ولا أعيننا منه حتى رجعنا إليك بما لقينا منه فقال لهم قد علمتم كلام الياس فقالوا لا جبل لا ننتفع بالحياة ما دام الياس حيا فالذي نشكوه إليك أن تبلشوا به حتى تلقوه وتوثقوه وتأتوني به وأنتم تعلمون أنه طالبني وصدوني فقالوا له قد أخبرناك بالذي سمعنا منه ومن كلامه والبأس به فقال لا جب إذا انطلق الياس الا بالمكر والخديعة فيض له خمسين رجلا من قومه من ذوي القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطلبوه بأنهم قد آمنوا به وصدقوه ومن رآهم ليلته ثم اليوم ويعترهم ويكلمهم من نفسه فأتوني به لعلكم فانطلقوا حتى إذا توسطوا الجبل الذي فيه الياس عليه السلام ثم نظروا فيه وهم ينادون يا علي أصواتهم ويقولون يا نبي الله اخرج إلينا واشرف علينا نفسك فإنا قد آمنا بك وصدقناك بما كلا لا جب وكذلك جميع قومه ينادونه بذلك ويقرؤن عليه السلام ويقولون قد بلغنا رسالة ربك وعرفنا آياته وآمنا بك واجتنبنا إلى ما تدعونا إليه فهلم إلينا فانزل بنا وسوار به فأقم بين أظهرنا وأحكم بيننا بما أنزل الله تعالى وقومه يسألونه فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم بما أردتهم به جميعا فلما سلم فوثب حتى سمعوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعين قال ولم يفلت منهم أحد فلما رأى ذلك ثابنا في أمر الياس فقيض له مائة أخرى مثل عدد أولئك وأفرغ عليهم وأمكن في الحيلة والرأي فانطلقوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله ونسأله ونتوب إليه مما كان من أولئك قبلنا وأولئك فرقة نافقوا وخالفوا فاصاروا والله لم نكن من غير رأينا ولا علمنا بما صنعوا ولو علمنا بهم قتلناهم ولا آن مد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا وأنت منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن المالك في البلاء الشديد من وجد كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع المالك بهلاك أصحابه أنبا زاد غيظا إلى غيظه وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه إلا أنه تعلل عن ذلك مرض ابنه فوجه في

جواريه وأعتق من أخبار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بأنفر المأكل والمشرب ولزم

أكلها دائم وظلها آلا
عقبى الذين اتقوا وعقبى
الكافرين النار نار وأى
نار ان الجرمين في عذابه
جهنم الدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون في
ضلال وسعر يوم يسحبون
في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر بود
المجرم ولو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته وأخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في
الأرض جميعا ثم ينجيه
كلا إنها لظى نزاعة
للشوى تدعو من أدبر
وتولى وجمع فأوعى في
جهد جهنم وعذاب
شديد ومقت من رب
العالمين وما هم منها
بخارجين قال فقام
الثاني من ثمود
وعاين الشاب وبد على
نفسه وقال لقد ما
أسرعوا إلى سخط
الله من دار وقد بال
على شبابه وبقيته
هذا الشاب لعمله الذي
أرجو أن يصير وقد عاد الله
تعالى أن لا يعود إلى
معصيته أبدا فلما أمسى
أطهر توبة وأمن
بالقضية والقدر
والجواهر وأنواع الملابس
فباعها كلها وتصدق بها
وقطع الأجور على نفسه
ورد الضياع المقتطعة
وباع ضياعه وعبيده

الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجله أن يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الله يسمع اطلاعه على ايمانه فعرفه عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فالماء وجهه نحوه وأرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آمنا بالكاتب وانقا بمكانته لم يرعشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وانه قد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه انى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فهلك بدعوته فكن رسولا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها ويكسرها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أنيسك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى الملك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قال له وقال له وانى نادانى ان رجعت اليه ولست معى أن يقتلنى فأمرنى بما شئت ان أفعله وأنتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فانا بلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليفروا بك وان لا يجب ان أخبره رسلى انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف أنه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذر وبراءة عندى لا يجب وانى سأشغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على الملك فلما دخلوا عليه شد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك الملك وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن الملك وفرغوا من أمره وفرغ عنه انتدب للياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاءه فقال له ليس لى به علم غير ذلك أنه قد شغانى عنه موت ابنى فلم أجزع عليه ولم أكن أصيب الاقدار استوثقت منه فطرق عند الحجب وتركه كما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام ضاق اليوم بعد تعوده فى الجبال ودرجها فأحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزع أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعد لذة بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد افتقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته صبيا لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها وهى ميت مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ اربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحياه الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عمى بنو قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو هاتف مذعور يجهر يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى ونجيى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام

الأمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فكشف هرون الستار بيده وقال لبيك يا بايع لول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أعين بن نائل عن قدامة ابن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على جمل وهو يرتحل ورشفا طرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا يا أمير المؤمنين تجبر من تكبر لك وتخضع لمن تخضع له فقبل هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يا بايع لول فانشد

فهذا ان ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس ترى مقالك بعد موت
وتعلوك التراب عاليا لك هذا

قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بايع لول هل غير فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق ماله وعفف به الله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يا بايع لول سرج البغلة وقال اردد البغلة على من أخذتها منه فلما جاء ليركبها قال يا بايع لول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين أردد الحق الى أهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بايع لول

تمنيني وتلهفني يا آبائي فقد سلمت بنو اسرائيل وملوني وأبغضتهم قبلك وأبغضني فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعمري منذ الارض وأهلها اوانا قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن ساني أعمالك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فاعطني ثاري من بني اسرائيل فاوحى الله تعالى اليه فأي شيء تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا شيء تحلبهم صحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فرأي شيء أعيش قال أحضر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تطعما قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه يوضع ينساق له فيه الرزق وأتيه حيثما كان وقد عرف ذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى الياس بحور فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فاعنه بشيء من الدقيق والزيت قد عاقبهما بالبركة وسمهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب بهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن اسمه اليسع بن أخطوب وكان به ضرفا تانه وأنحفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصني من بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والحجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم بالفرج عما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فاتى الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا بعهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم خطايانا كم وذنوبكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا أن أمسككم التي تدعونها من دون الله ان تغني عنكم شيأ فاخرجوا بأصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فتزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج عما هم فيه وان يسقوا فرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فاغاثهم وأسبت بلادهم فال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذور وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه ان يأمرهم ان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحنطة وأمرهم أن يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أسوأ ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهم به فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر

المهدية ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان أنس ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك البقعة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فنحويه عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يا رب يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما يا هيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أوحي اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات وعشرة بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واستدامتهم بهم ما آخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه فال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان ابن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فانى قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فاكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت وأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها وقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني تعاهدت على أن لا أتزوج ولا عيال قال تزوج وايالك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن أقاتل قال اذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان فجالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رآه ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر اين الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم

أنشبت قوم اذا عرفوا الملك قاعد يقولون شحن نعليك سقلن واذا قمت بعدوني قال فانطلق فاذا رجعت فاتني وفاته القافلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق علي عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أصباه نظر فاذا كوة في البيت فنسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد علي فقال أمامن قبلي فما أتى فانظر من قبل من أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما أجرأك على هذه الفعال فقال له انك أعييتني في كل شئ أردت بك نفسك معك ما ترى لا غضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به

(أخبرنا) ابن فضويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله ابن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعت منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعلمه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصي الله بعدها فمات أبان من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على بابه مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

(مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة)

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

(فصل في سياق الآية ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه لما رأى الله تعالى البغي بعد الياس عليهما السلام واستخلافه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف فعلمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت و يرجعون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد ذلل لهم في أرضهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على حفرة ثم يبذر فيها ثم يضرب الله له ما يأكله منه هو وعياله و يكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله حتى اذا كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العماليق وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان ببالوت الملك فيهم فقاتلهم بنو اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم ونساءهم وأسروا من أبنائهم ملوكهم أو بعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم و بقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتعادون أحيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم لهم منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفهم الله شر من بقي عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون الى آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الساسة منهم وفي بعضها الى غيرهم من يقهرهم و يغلبهم عليهم الى أن ثبت الملك فيهم و رجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخرون ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما يقال لها حزقا لم تلد ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد

www.alkottob.com

ولد له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائعه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأته وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثر بني ولدي وقالت لو جئت العجوز وجدتها شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت للهم يعلم وسعلم كاتمة له صاحبتي واستعانها على بغضها لك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقر به عيني واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفر لك ويطيعك ولا يجعل لك ندا فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعل الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها واتى بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها اتجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان النساء لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وابشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعا جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مسرعا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فاتبه السلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فنم فرضا وصل فاما ان دعيت ياسمك فاجب وقل لبيك انا طوعك فامرني بما شئت أفعل ما تامرني به فتفعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فامرني بامرك أفعل ما تامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه وتعالى قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك للنبوة وبرحمه وحدة أملك ذلك اليوم الذي ناهت عليه اضرمه فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا ملكا فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فمكثت زمانا يامرهما كما يحكم به محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت أقرب ما يكون الى الله تعالى ولم تزل تقربا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمحاباة وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف ونشأ الكذب وقل الصدق وما كان الله ليهلك على هذا ولا على أعظم منه استخلفك فبئسما صنعت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعد بالانابة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي وربخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيأ في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كالابنين فسأ أخرجا كان الكاهن الذي كان يسوط فعسل ابناه كالذئب فاوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد أن تزجرابنيك أن يحدثا في قرباني وأن يعصياني فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولا هلكنك واياهما فاخبر شمويل عيليا ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فاس عيلي ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تاهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ما فاصنع القوم فجاء رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس فدانهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر أن التابوت قد سلب وان عيلي قد مات فات كذا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مزج أمر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل أمرهم

فاجابه الله عما سأله بعث لهما

البحر فدخلتها لا لانا رما فيها فاحتملها ملك من الملائكة فنزلها الى قاع هذا البحر كانري باني الله فقال سليمان في أي زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فسبب سليمان عليه السلام التاريخ فوجده أنه في سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فما طعامك وشرابك في هذا البحر فقال يا نبي الله يا تيني طائر أخضر كل يوم في منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان فاكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان أتحب ان تكون معنا أو ترجع الى موضعك فقال بل ردني الى موضعي يا نبي الله فقال سليمان ردوه الى مكانه فردوه الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله أعلم (وحكى عن الشيخ عبد العزيز المغربي رضي الله تعالى عنه انه قال) كنت سائحا في

جماعة من أصحابي فانتهينا الى قبر في بعض البراري كتب أشرف صاحبه وكان من أولياء الله تعالى

عشر سنين فلما انهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك لنبيهاء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا بعد موسى وهارون بأربعين سنة في أحد عشر من آل يعقوب ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا بذلك قوله تعالى ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماسبد بن عموصا بن النهرس بن صفون بن علقمة بن اسحب بن عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلقانا وليس بأكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

(ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت يطلبها واسمه بالسريانية ساذل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أفيل بن مسار بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بذيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ اباره ودوعكرمة والسدي يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابي طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمر بيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر لعل يرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شيئا لحمر اذ نش الدهن من القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل فرسم أسألك الى قرنك هذا من القدس ثم انه قال له أنت ملك بني اسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتي أدنى بيوت بني اسرائيل قال بلى فبأي آية قال يا نبي الله فقال شمويل ان آية ملكك أن يأتيكم التابوت فرجع طالوت الى أهله فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال فجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما طالوت اذا ذاك سقاء كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا اذا نابهم أمر كانوا يأتون النساء على ظهر الطريق فخرا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يعني بالطول في قوامه والقوة وانما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يطوف الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن عباس بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم فقالوا فان آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة فيه صور الانبياء من ذريته فتوارثه أولاده بعده حتى وصل الى يعقوب فكان في بيته فلما ذهب بنيامين الى مصر ليأتي بأخيه يوسف عليهما السلام وجده عند يوسف فحبسه عنده فلما رجع يعقوب الى بلاد كنعان فقد التابوت فحزن عليه حزنا شديدا وكان يتعاهده في كل يوم فلما فقده اشتد حزنه عليه فلما رأى بنو يعقوب ما نزل بأبيهم من الحزن والكآبة بسبب التابوت قالوا له يا أبانا ما هذا الحزن الذي نراك فيه منذ فقد التابوت فقال لهم يا بني ان الذي كنت أجد من ذكر يوسف في نفسي كنت أجد مثله عند فقد التابوت فدعوا لي بالحزن والكآبة حتى أموت كما مات يوسف فلما رأوا ما به من الحزن والكآبة تركوه وخرجوا الى البرية فأقاموا فيها ما شاء الله ثم ان يعقوب عليه السلام أمر بني اسرائيل أن يرتحلوا فارتحلوا وساروا حتى نزلوا بالقرب من مدينة جالوت فخرج اليهم جالوت وجنوده فلما رآهم بنو اسرائيل ارتاعوا منهم وقالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فلما رأوه قالوا له أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم فقالوا ان آية ذلك أن يأتيكم التابوت الآية

فلما قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

www.alkottob.com

فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد بدلا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بارز من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور سواطع نورهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانا التابوت فكان عندنا عتيق عليهم ويقول انه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فنادا مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادنه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صرة التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أفي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية بأرض همية وهي العامرية فقال يعقوب نعم نبي شريف محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا بشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نور القمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه ملاوفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأس ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هيرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال هي ملائكة من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعصاه هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في أيام عيلي الكاهن الذي بعث شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه

فانظروا الى أصدقكم نسبة فلخرج عسى أن يأتيكم بشيء من القوت قال فاختار رجلا فقيرا منهم فخرج ومشى في شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشيء فانفذه الجوع وأعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصراني عليه من الناس جمع كثير وهو واصف لكل منهم دواء فنظر النصراني الى الفقير وقال ما بالك وما علتك فكره الفقير أن يشكو أمره الى نصراني ثم مد يده اليه ليجسه فلما جسها النصراني قال أنا أصرف علتك هذه وعندي دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الى السوق وائتني برطل بطيخ ورطل شوى ورطل حلاوى فمضى الغلام الى السوق وأتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصراني ان كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بأربعين رجلا مثلي فقال النصراني لغلامه امض الى السوق مسرعا وائتني بأربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الى السوق وأتى بذلك جميعه على حمال فقال النصراني اذهب بذلك الى أصحابك فذهب الفقير والحمال معه وأتيهما النصراني من بعد أن اختبر صدق ذلك الفقير فأسلم فدخل الفقير الى أصحابه بالدير وقد قتل النصراني بخلاف طائفة بنفل فقال

فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها الردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فلما جوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوق سرير واقدموا الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض ألبس قد علمتم ان الله بني اسرائيل لا يقوم له شئ فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية قارا يميت الرجل صحيحا فيقرضه القار فيصير ميتا وقد أكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم في المدينة الاقاب والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم عاقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران وكل الله بهما أربعين من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على أرض فدمن احدا من بني اسرائيل فكسر نرثهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أي تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليهم حتى وضعته في دار طالوت فآمنوا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

(باب قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة تمر الابتلاء)

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيمن أرى لا يخرج معي رجل بنى بامرأة لم يفرغ منها ولا صاحب معاولة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل جبان نزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب الناشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على ثمانية فرسخ منهم وكان في وقت شديد فشكوا الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا يحملنا فادعى الله تعالى أن يجري لهم نهرا فقال لهم طالوت بامر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر فمن شربه منكم لم يرني فليس من أهل ديني وطاعتي ومن لم يشربه فانه يراني ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو قليل الكف ومن فتح الذين أرادوا المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال) السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزه معه الا مؤمن قال وكانوا بضعة عشر وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجح اصحابه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا ونالوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ائتوا معه قالوا يعني الذين شربوا ونالوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية وهذا قاصد في الجهاد

يقول العشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة أشجارها من ذهب وأنهارها ياقوت فوجدنا

اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا الله يا أبا بكر الشبلي محمد فسألهم عن ذلك فاخبره الفقير بقصة ذلك الشعر الى فقال لهم الشبلي أترضون أن نأكل طعامكم نصراني بغير ثمن فقالوا وما كان أنه قال ان تشهدوا لله بالاسلام قبل ان تأكلوا طعامه قال فشهدوا لله بالاسلام وهو يسمع فلما رأى النصراني أسلامكم من الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال يا شبلي اشهد بذلك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلي ومحبيه رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

(ومحمد بن يعقوب رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت محمد بن يعقوب المغربي سأل الله الموت في السجود فمات في السجود وكان من الاولياء المشهورين قال رأيته بعد موته في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال لي أي شئ تريد فقلت أريد أن تسير معي الى أصحابي فقال لي كم أسير معك فقلت أحد هم انك لا تقف على المسير الى الموضع الذي تقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أربعين سنة فقال الا أنجد يصل الى الله بغير قسمة قال فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والحبيب يقول للعشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة أشجارها من ذهب وأنهارها ياقوت فوجدنا

وأمكنها من ثمرها ثم أخذت معي ثلاث تفاحات فلم يشعر لي من أخذها فسألتهم هذا الانصراف عن هذه المدينة فإذا هذه مدينة الاولياء النزهة فلما رأوا الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أيضا كانوا فيها فدخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا وجدنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا اردد ما أعطيت الى مكانه فتركت كلما جعت أكلت من تلك التفاحة وهي لا تتغير فرجعت الى أهلي وقد بقي منها تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعافتني أختي وقالت أين الذي تحفظنا به من سفرك فقلت لها وما الذي تحفظكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فتغيرت الحال فقالت أختي فان التفاحة فقلت وأي تفاحة فقالت ياسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وما أنت فلم ترها الا بعد أن طردوك وأنا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختي ان البدل الكبير منهم قال لي لم يدخلها أحد قبل الاربعين غيرك قالت فمر بأختي من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى رغبت أن تريها كها فقلت

(باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى ولما برز لجالوت وجنوده قالوا ربنا لما قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالقاط تختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع الملوك فبين عبرا بيات أبو داود وهو هذا ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأبى ان يوم اباه وقال يا أبتاه ما فتئت بعقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في ذراعتك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه اقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففترتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد تراه هناك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسمع فايقن جبل الاسمع معي قال أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الى من يقاتلني فان قتلني فملكم ملككم وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقويائهم فجربهم فلم يوافق منهم أحدا فاوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فرسل الى طالب وهو راعي الغنم فقال لابنائه اعرض علي بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلم ير شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا ننظر الى الرجال على صورهم واشكالهم نختارهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا فقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا ازرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد مال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يتعوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه فغاص واجلسه في التنور فغلا فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب فيأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وافتح فيه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجر لك الذي تقتل به جالوت وقد نجبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديدا وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب

بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لأقسمن لك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع والطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله الله ابراهيم ومنعه في مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله الله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله الله يعقوب ورمى به فقلاعه قال مصارب الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فخر الله الرمح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فقلاها دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من إصابة خرج من قفاه تكسر ونفذت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قلعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا حثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فجز رأسه وانتزع من يده مغفره وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت فطرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين يحمدون الله رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعلم في أنه سهم فأعاد داود الى طالوت وقال له أنجز لي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له طالوت أتريد بذلك الملك بغير صداق بل صداق ابنتي وشاركني بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لي شيء فحكم في الصداق بما تريد وأمر حتى مهرها وعلى الاداء والوفاء له به فقال طالوت أصدقها تسعمائة من المالك فقال له بنو اسرائيل لا تقبلها وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل الى داود أحسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتي في المال ولا أكافئك الا بما يليق أن تتزوج رجل جريء وفي جيبك أعداء من المشركين فانطلق فاقهرهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني برؤسهم زوجتك ابنتي فانهم داود عليه السلام بالسعي فجعل كلما قتل نفرا احتز رأسه وتلثمه في خفه حتى تظهر رؤسهم ثم جاءهم بها الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الي امرأتي فزوجه امرأته وأوجب له في ملكه فقال الناس الى داود حبب السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثر وامن ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكون على العصي ويغرزونها في أطراف العصي أزجة من حديد وكان داود عليه السلام بالساقي في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بزجتها ليقتله بها فاصابها الا أسفل داود بيد الله فشاط دمه وأمال نفسه من غير أن يعرج من مكانه فلما تكررت الكرة في الدار فقال له داود أردت قتلي قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على تباث عند الملمات وربما جاءك الاقران فقال له داود عليه السلام أفاقتك على ما قصدته قال نعم ولكنك لعلمك بالله فرعت قال له داود ان أسألك بالله ولا بأس به ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهو رها هرة فكرة وقال له ابسط ثيابك فاني من طالوت بالله لا أمنك فقال له أنشدك الله وبحرمة المعاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن حسد لقتل طالوت ولكن كان قال لخوفه وتحذيره فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة ان السيئة بعشرة أمثالها وأجر الحسنة بعشرة أمثالها وأجر الجاهد أعظم فقال طالوت أملا قول قول هابيل ان بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين فقال داود اني قد عفوت عنك لوجه الله تعالى ولبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال له ذو السنين فقالت لها اودك الليلة قال ومن يعتني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما قالت حدثني من لا أكذب ولا أظنك أنت تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتيني برقاد من شرابه فوضعته في مضجعه على السرير ودخل تحت السرير فدخل طالوت فصفق السلاح وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الدم فلما وجد ريح الدم قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت مني خليق أن لا يدعني حتى يدرك ثاري مني ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأغمي الله عنه الحاجب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند

هذا الموضع وهو يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد نص لنا في القرآن الله تعالى حدثنا

يحتاج الى تعاهدك قال فاصحت وقد نفض والله عندي ذلك يوما كنت أعرفه ان أنتهي من أكابر الاولياء وهي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين ومدد نا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين *(وحكى عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله عنه)* انه قال جئت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى لتشتور أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدخلت الحاجب الى زيارتها للاطلاع على أحوالها فنزلنا القرية التي هي فيها فذكر والذان بلدها شاهد بالبلد صالحا فاشتريناه جديدا لم يوضع وعلفناه ثم ركبنا اليها وما علمنا بها لهارب هذه القرية الذي أخذ من عنده الشاهد بالزكاة ثم استترت للشاهد بما في ذلك القدر ثم ركب وذهب لينا وحمل الجواب فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصتها فاخبرتنا الشاهد فقال أخبركم بها وذلك انه كان لنا شريك ونحن قوم فقراء وليس كان عندنا ما نعيشها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا مضى بنا نحتطب فنذهب هذه الشاتين

www.alkottob.com

رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت الليلة المقبلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتراءى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك ساط على داود العيون وشد في طلبه فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود إذا فر لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في الجري فدخل غارا فأوحى الله إلى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق إلى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطمن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا يتهاه أحد عن قتل داود إلا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يطيق قتله إلا قتله ولم يكن يحارب بحيث الأهز منه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر بخباز يقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها وضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاؤه نادا منادمن القبور يا طالوت أما رضي الله قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الأرض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال مثلك لا كمثل ملك نزل قرية عشاه فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فايقظوني حتى أذبح فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الأرض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت إن دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فوثق منه الخباز بالأيمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا إليها أسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إنما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها ونبت بحالهم وعلمت أسماؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز إنها إن رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال يا أشرف أهل الناس على ملة أنجيتك من القتل وأوثقتك عندي قالت بلى قال لي إليك حاجة هذا طالوت يسألك هل له من توبة فلما سمعت بذكره مشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها الله لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ما له من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا إلى قبره فلما وصلوا إليه صلت عند مرتين ثم إنها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر إلى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيئا من الشر إلا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الآن تخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم أنت تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم جمع شمويل عليه السلام إلى القبر فسقط ميتا وجمع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت إلى النار أكنتم تتقدمونني قالوا نعم نتقدمك عاقدوا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا ما قلت فذكر لهم القصة فقالوا وأنت لك مقبول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده إلى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله إلى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض الآية قالت العلماء باخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو

البها فبينما نحن كذلك إذ استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقري به هذا الضيف فاحتجنا الشجعها فقالت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فذبحت الشاة واذبحها فقال نخاف ان تبكي عليها صغارنا فقالت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فاخذها ومضى فلما أراق دمها فرفرت من أعلى الجدار ونزلت الينا فسبحت انها فداء نفسها منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لنا وهذه تحلب لنا وعلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شوهتنا هذه ترى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الأنوار والاسرار ولذة العيش عند ملك الغفار والعين في ذلك لبنا طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب

ماعندكم رضي الله تعالى عنها آمين (وحكى عن بعض أصحاب السري السقطي رضي الله (١٦٤) تعالى عنهم) انه قال كان للسري السقطي تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثته المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فأخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة أنا أستاذي وأي شيء نريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى الماء فقالت المرأة أين غرق ولدي فقال المعلم ههنا فاستدل به ابني تعالوا بنا نلعن النهر لما أتاه فعلت واحدث بعدوه تعالى منزلها بالنهر فقال السري الماء بيدك فقالت أي شيء هذا فقالت الماء بيدك أقول ان هذه المرأة أعرف بحق الله عز وجل منا فكيف يرضى حكم من كان حكم اسماعيل الله عز وجل عليه فلم ترد الا تعدت حادثة حتى يعلم اقامها كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علم افانكر بعد ذلك وقالت ان ربي لم يفعل ذلك وهذا من سوء فهم مولاها رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة بمدها من مددها آمين * (ومحكي عن مالك بن دينار

اسرائيل الى داود فاعلموه خرافة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود بجالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

* (باب في ذكر نسبه) *

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن يخشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون بن بارص بن يهوذا ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

* (باب في ذكر صفته وحليته) *

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعا العينين عن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه وفي الساعدين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية نعم المعبود حسن الصوت رائق طاهر القلب نقي

* (باب في ذكر ما من الله تعالى به على نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك) *

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يكون من الروم من أهل ايرون وفي خمسين منها موعظة وحكم ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) العسوب الطيب والنفوسة الدابة المذبذبة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور سبعين الفا بسبعين نبرة فاذا نعوم ويقف المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه ملائكة بني اسرائيل خلفه وقوم الناس خلف العلماء وقوم الجن خلف الناس وقوم الشياطين خلف الجن وتقف الوحوش والسباع وتوضئ عنده وتقف الطير رمضهية وتركد الماء الجاري ويسكن الريح وما سمعت المزامير والبرابط والصنوج الاعلى صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لشياطينه ألا ترون ما هذا كم فقولوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرفه الناس عن داود الا بشيء يحدثه في محل صلاته فهيؤا المزامير والعيدان والارغن والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها الناس فلم يالوا بها فاغتر وا بها وقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعث ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا الطير ثم ولا الطير وكما كانت قبلها ونقصت لغنمه فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك الماء تأثر الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة التي غمرت صوتك وحالك فقال الهي أرأيت ان تقدمت اليك التي بيني وبينك من الود والقرب فان تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شغف الله عز وجل داود القرآن فكان يأمر دابته أن تسرج له فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر البوقي عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت وأنا يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى يا جبال أوبي معه والطير والنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تغلل الجبال مسح الله تعالى بحملته الجبال فجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لا عبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد مثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل ناداه موسى فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانضجت له الارض فانتهى به الى

الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الجبال والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتنعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود واليمين عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من المبطل في المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجوهر قرنان وراسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مسندبرقبته مدلاة بالجوهر ومدبرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يسمعها ذو عاهة الا برأ وكان من علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بايديهم ثم يمسحون بها كفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فان كان صادقا مد يده الى السلسلة فيتناولها ومن كان كاذبا ظالما لم يتناولها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المنكر والحديثة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاءه يسترد ها أنكر ها فقضى كما في السلسلة نعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قبل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال اصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي بدعي اقد وصلت اليه فقربني الى السلسلة لاتناوله فتناولها فتعجب القوم وتمكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجنا الى السلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بحق الظالم فتقربه الى الحق حرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح معلم وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما سرد به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة الملائكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود وما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذه رؤيا واست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه الثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الي أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت هذا الذنب ولكني كنت اذا قلت ولدا هذا فقتله فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود وراشته له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاحبار (ومنها) شدة

البطش فيروى انه ما فر ولا انهزم من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى عوجاً لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود والله هذا أي الرجل هو فيقولون خيرا فيقول ما هو كذلك لو ما من الايام اذ فرض الله له ملكا في صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يأكل و يطعم عياله من بيت المال فقال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه و يطعم عياله فألان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف شاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يقتضي الدرع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بمائة آلاف درهم فيأكل و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين وذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واعمل قدر في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتاد من ذلك ما لا (وروى) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم اللبوس هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى لنبيه داود عليه السلام حتى ابتلاه بهذه الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق و يعقوب وسأله أن يجعل له ما جعل لهم من النبوة والعلم والفضل مثل الذي أعطاهم (فروى) السدي والكلبي وغيرهما عن أشياخهم قال دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس و يوما يخلو فيه لعبادة ربه و يوما يقرأ الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آباؤي الذين كانوا قبلي فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بلايا لم تبتل بها أحدا فصبروا وعلم ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف والعالم لا يدل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب هل ابتلى أحدا من خلقك بما ابتلاهم وأعطى كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في يوم كذا في شهر كذا فاحترس على نفسك في ذلك اليوم الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي و يقرأ الزبور وجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما رأى الحمامة طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فلم يعد اليها أن تمكنه منها فطارت فوقعت في كوة فذهب لينظر أين ذهبت فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فرأى امرأة تغتسل على شاطئ بركة فنظر الى امرأة أوريا وقال الحديث رأها تغتسل على سطح لها فرأت ظهر امرأة من أحسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فقامت فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد ذلك داود اعجابا فسأل عنها فقيل له هي زوجة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان لا يقدم على التابوت الا يحل له أن يرجع الى وراء حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به فقتل فكتب اليه داود يأمره أن ابعث به الى موضع كذا وكذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما كان سبب امتحانه أن نفسه حدثته بأنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة صغيرة ولا كبيرة وعن الحسن

تعالى عنه *(وحكي عن البهلول رضي الله عنه انه قال)* بينما أنا في يوم من الايام مار في شوارع البصرة فاذا بصبيان يلعبون بالجوز

قامت على رأسها فضلا
من القدم
ما دمي لا تأتي على هواه ولو
ما مشته الذر ما بانت
لم تلم
يطوف بالبيت قوم لو
مارسه
لله طافوا لاعتلاهم من
الحرم
قضى الحبيب بنفسي يوم
بينهم
والناس ضربان أهل الذل
والعدم
الناس من يجل الى سكنه
فهدى الانام وأهدى
مهجتي ودمي
ثم قال اللهم ان الناس
ذبحوا وتقربوا الى
بذبحاياهم وهديهم وليس
لي شيء أتقرب به اليك
سوى نفسي فتقبلها
ثم شهق شهقة فرمى
روحه الله تعالى عليه
واذا بقائل يقول هذا
حبيب الله هذا
الله قتيل الله من الله قال
في سربه وتوارى عنهم
بالتراب ثم بثلاثة
الايام متفكرا في أمره
فرأى قوما بالشام ويليه
تلاعب من السندس
والاستبرق فقال له
ما رسول الله بلغ فقال
فعل بي ما فعل بالشهداء
يوم بدر فهم قتلوا بسيف
الكفار وأنا قتلت بحبة
الملك العزيز الجبار قال
فتجلت منه رضي الله
يلعبون بالجوز فوق

أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة أجزاء يوما للنساء ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فاهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فمازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فاصيب فلما بها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن ابن محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلي (وقال أبو بكر) ابن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل في الارض أحد يعمل عملي فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة كما أعجبت ثانيا وكانت الى نفسك فقال داود يارب كانت الى نفسي سنة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما فقال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهم الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فاشرفا وهما بين يديه بالسنان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كني بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكني عنها بالكلب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال اضممها الي أعطنيها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان أحدهما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل تعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه من ذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصار من علمه بالاكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما رويه القصاص معتقدا صحته جلدته حد من المفتري ما ارتكب وجلدا لما استقب يعني ما اكتسب من الوزر والاثم برحمة من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان لاوريا كان نبي أن تكون له امرأة أو رباه حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فارسل أوريا وقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك وافق قتله مراده ثم تزوج امرأته

فعاتبه

فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا
كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك
أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الأول وقد كان عنده تسع وتسعون
امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق
ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافري عن زكريا عن أنس بن
مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة فقطع على بني اسرائيل
بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته
ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض جبينه
وهو يقول في سجوده زل داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاءه جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى
قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان
الله عدل لا يميل فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل
ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لأفعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم
نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل له يا داود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له
هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا
ابن خضرويه باسناده عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان
وقضى على نفسه ولا فطن ورأى ما فعل بأوريا وقولا قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه خر ساجدا
أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب
وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان
الملك الأعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني
وبين عدوي ابليس فلم أتمالك [illegible] اذ نزل بي قدري سبحان خالق النور الهي تبكي الثكلى على ولدها اذا فقدته
ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني
سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب
الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهي فلا تقنطني وفي سابق علمك كان ما أنا
صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فقيل هذا داود الخاطئ سبحان خالق
النور الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي
قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء أعمالهم سبحان خالق النور الهي [illegible]
وكنت أعرفها باسماء [illegible] وانا لخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور الهي أمطرت السماء ولم تمطر
حولي وأعشبت الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف
أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان
خالق النور الهي كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهدهم كانوا سبحان خالق النور الهي رق الجلد
وبدت العظام من خشية الحريق على جسدي سبحان خالق النور الهي الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطئ
الضعيف الذي لم أرع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له
بذلك سبحان خالق النور الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور
الهي أسألك بآبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لي
ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك من دعوة

فقط فقالت يا ولدي لا أوقد الكبار الا بالصغار واني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم ثم قال البهلول فغشي علي ساعة
وانصرف الغلام من بين
يدي فلما أفقت نظرت
الى الصبيان فلم أر الصبي
منهم فسألتهم من يكون
ذلك الصبي فقالوا
ما أمره فقالت لا تعلموا
هذا من أولاد الحسين
ابن علي بن أبي طالب
رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين ونفعنا بهم
وبأنفاسهم الطاهرة
(وحكي عن حسن حبيب
العجمي رضي الله تعالى
عنه أنه قال) كان لي
زوجة شابة فاشتاق [illegible]
أشد اشتياق [illegible]
فقالت لي يوما من
الأيام اذا لم تقم عليك
فلا تدخل الينا ولا تأتنا
وجهها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تقول القلب من شرها
[illegible]
على وقالت [illegible]
[illegible]
ان الذي [illegible]
كريم [illegible]
[illegible] في الآخرة قال
[illegible]
[illegible]
الى [illegible]
وارجع [illegible]
[illegible] وقالت
[illegible]
[illegible]
على ذلك ووعدتها بأن أفعل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي فاتفق لي أني لما وصلت البيت وأردت [illegible]

لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فرت الملائكة من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهي فرغ الملائكة وفزعت الدموع وتناثرت الدود من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جادي سبحان خالق النور قالوا فاتاه النداء اجائع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة هاج منها ما حوله ثم نادى يا رب الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء أني قد غفرت لك فقال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فحلله وأتاه فسامحه منه فقال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد يئس الموسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال يحسن أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته فانطلق داود اليه فناداه يا أوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال ما نبي الله ما جاء بك ليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لامكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا قصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى الظالمين سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقرنه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول بكائك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال يا داود دوات يعف أولم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة ما لم ترعيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يا رب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول له هذا عوض من أجمل عبدي داود فأستوهبك منه فهبك لي فقال داود يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي ذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام

(أخبرنا) أبو الحسين بن محمد بن عبدان حدثنا محمد بن علي أخبرنا بكر بن أحمد بن سهل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النضر السكري قال حدثنا أبو سعيد عبد الله الزني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا واوزع لي بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة

(قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة الا ولانهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما للنساء ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يعلو الى الجبال فيرفع صوته كالزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل

زوجتي نوحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتتني وجئتي وقالت ان الذي استأجرني بعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لطبيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فقبضنا ما وطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكلا ما وما قدرنا سيرا ذهبا أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وثابت الى الله تعالى مما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم أجمعين

*(وبالسند عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه أنه قال) دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت جملا كان في السوق يبكي فقلت له ما يبكيك فقال يا سيدي ان مولاي دفع الي درهمين لاشتري له بهما شيأ وأنا خائف ان أرجع له خائبا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فأخذهما ومضى الى صاحبه ثم توجهت الى المسجد فصليت أصلي الى وقت المغرب

لاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالزامير فيبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى وجمع فاذا كان يوم نوح على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فيجتمع من بساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث عرش من سرج حشوها الليف فيجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف فيراهب عليهم البراانس وعليهم السروج وفي أيديهم العصي ثم يجلسون ثلاث المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويتبع داود مهياعتل الفرخ بضارب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من ثلاث الدموع كفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان بن أبي سليمان أنه قال كان من دعاء داود عليه السلام يا الهي اذا ذكرت خطيئتي ظلمت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الريح في الهيي أنين أطباء عبادك ليداووني فكلهم عليك يدلوني وقال صلى الله عليه وسلم بعد الدمع في وجه داود ما سقل الماء في الارض (أخبرنا) ابن فتحويه عن الحسين بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فانطلق راهبا في تلك الجبال فناداه بصوت عال لم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادي قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور الحصينة والحجول السوقة والنساء والشهوات التي ذلت الجنة بهن الآن تأتي قال داود فمن أنت قال أنا راهب راقب من ترقب قال فمن أنيسك ومن يجلسك قال اسعد تمران كنت تريد ذلك قال فنزل داود الجبل ورقى الى التلة فاذا هو ببيت مسجى فقال له هذا أنيسك يجلسك قال ثم قال وما هذا قال ذلك قد استمكنوا بي فأخرجوني من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة واقتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي اذا أتاني ملك الموت فاضفني وأخرجني مما كنت فيه وهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فبكى داود عليه السلام مشيا عليه (ومن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعدون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به الا البكاء على خطيئته (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا عاقبه بعقر الخاطئين قبل نفسه ويقول اللهم اغفر للخاطئين نفسك أن تغفر لداود منهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد ما تاب ثلاثة أيام لا يطعم ثم يقول لعماله الى داود الخاطئين ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل سبعين الشعير الذي في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل خطيئته ينام نصف الليل ويقوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان نام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب أما غفرت لي قال نعم قال فكيف بأمهات أولادي فاستغفر منها ولولدها الخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله عليه في يده اليمنى وما رفع يده الى رأسه الا ذكر خطيئته (وأخبرنا) عبد الله بن أبي اذار أنه أقام قائما في الناس الاربعين ليلة قائما يقتل الناس ابرة ولا يأكل ولا يشرب الا قوتا (وعن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر خطيئته الى عظمت أو ماله ولا أحسبها الا الاثنين اذا ذكر رحمة الله تعالى نزاحت (وعن أبي عبد الله الجبلي) قال ما رفع داود بعد خطيئته رأسه الى السماء حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعلى سليمان كثيرا الى يوم الدين

(باب في ذكر خبر ابن داود على أي يوم كان من أمرهما)

لوهب وغيره من أهل الكتاب ان داود عليه السلام لم يزل قائما مالك بعد طالوت الى أن كان من أمر ابنه ما كان من أمر امرأة أوريا ما كان فلما وقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل بيت من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من امرأة طالوت يقال له شالوم وهو أحد ابنائه الذكور فقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى ياعوه وخلعوا داود وعقدوا عهده لهذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له نواب ونزل في الجبال

بتوبيخ من صوفي من بوقه ثابوه فعمل بقعلة في بر عليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقال في

كانت شيأ فلم يفتح على بشيء فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست في السوق على (١٦٩) وكان صديقي وكان نجارا فلما رأى

الجراب معي قال له سد هذه النجارة في جرابك لتستحي من الناس قال فأخذت منه شيأ من النشارة في الجراب وذهبت الى البيت فأخذت من شرها ما رحمت الجراب في البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى ثلث الليل فخرجت ثم جئت الى البيت وانظرت من وراء الباب فوجدتهم ينتظرون فاذا رأتهم مقبلة ضجت من ورائها فقلت من أين لكم هذا الطعام فقالوا من الذي في الجراب ثم قال علي زوجتي من هذا اليوم ولا أشك فيه الا أنه دقيق ما يسوى قال فحمدت الله تعالى على لطفه بما ذكرت وقال له (وحدثني شفيق البلخي قال حج هارون الرشيد سنة تسع وأربعين ومائة فنزل القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت اليه فتى من أحسن الناس وجها وهو متوشح

فاشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليهم وقال له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يجعل في الآخرة حدودا فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوفى حفده ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربطه بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فبسه وخلفه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتكدر للقائد وكان له باس شديد في ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله سليمان فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا للعبادة ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هنالك وخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان ان أصبت في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أراي الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وطبخوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثني عشر الفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار وكانوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ

نفسي هذا الفتى من الصوفية (١٧٠) يريد أن يكون كلا على الناس في طريقهم والله لا مضين اليه وآمضغنه وآوينه فدنوت منه فلما رآني قال ياشقيق ان الله تعالى قال في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه ولاستحلنه مما كان مني فاسرعت نحوه فلما لحقته وغاب عن عيني فلما نزلنا وأفضت اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فضربت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته وأقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قال ياشقيق اقرأ قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى ان الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى مني اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق ببصره الى السماء وقال أنت ربي اذا ظمئت من الماء * ورقوني اذا جعت من الطعام ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها قال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها

فعاز يرفأ نجا الا الذين نجوا وهلك سائرهم ثم خرج الله من الذين نجوا هلاعلى وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم موسى أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا صرصرا فاحتملتهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد نبت عناقيدا ذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بالاتلاع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعتلا وقاب الغنم بالحرث فمر على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وسوفها ومنافعها ويذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعي نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت العناقيد وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فر ليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبره بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وسوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلم صاحب الكرم الكرم الى صاحبه وتسلم الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الامام وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

(باب في ذكر اختلاف داود وابنه سليمان عليهما السلام وذكر ما أمر القائم)

قال أبو هريرة رضي الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فلما رجع الله تعالى اليه ان سل منها ابنك سليمان فان هو أخبرك بها فاعلم انه نبي بعدك فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال اني ان الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل وأمرني ان أسألكم عنها فان أخبرتم بها فانت خليفتي من بعدي فقال لهم سليمان نبي الله عسى الله ويأتوفيق الا بالله قال داود يا بني ما أقرب الاشياء وما أبعد منها وما أنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الراعيان وما الشاهدان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد أخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فات من الدنيا وأما أنس الاشياء فسد فيروح وأما أوحش الاشياء فمسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فالبقين وأما أكثر الاشياء فالثناء وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساجدان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند المعصية قال فضموا الخاتم فاذا جواب المسائل

ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين (وحكى عن أبي عبد الله الجوهري رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت منقطعا في الحرمين في عرفات فلما جن

فاذا هو بشيخ قد أقبل من ناحية الجبل فلما دنا مني سلم علي فرددت عليه السلام فقلت يا أبتي أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق كم ترى نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت وروبت وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا ثم رضي وأرضى وقلنا مكة فرأيته يأتيها من الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي يخشوع فرأيت وبكاءه فلم يزل ذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف بالبيت سبعا ثم توجه نحو باب الصفا فاذا الساعة ومن الوجه على خلاف ما رأيته في الطريق وذاهبا الى الليل من حوله وهم يهلون عليه فقلت لبعضهم من كان الفتى الذي يصلي فقال هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم

www.alkottob.com

سواه على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخبرها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرني أن أستخلف عليكم سليمان قال فغضبت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بقي فيكم فارونى عصيكم فاى عصى أثمرت فان صاحبها لي هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا فأتوا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس أسباط بني اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي بأبيكم من بعدي

(قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل وجهم العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه ويعاين بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغسيرة على أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع ما يعلق عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك واسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وسل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا تردعلى عالم ولا تمار في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك واربح رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان اني ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطيني شيأ قال نعم فاعانه فلما فرغ أعطاه السمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصيره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأتى السمكتين وباعهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليهم سواد الليل ثم لم يلبث أيورا ان مات فلما مات حمل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم ينام ويقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور ونفذ حدوك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا قال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الي قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي أرسلت الي فقال يا داود أرسلت الي أبويك اباك وأمك أن أخولك وأن جارك أن نهارهم ذاك أن فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلي اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء ينعى أخاه حتى يكون هو قد برجوا الرجاء فيحول الموت دونه وقد تقدم بعض الشعر امنقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

وإذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وهبة داود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام إلى اصطخر وقيل إنه ملك الأرض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب في صفة سليمان عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الأحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى إخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فأجاب الله دعاءه وأكرمه بأشياء لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فاحتملتها حتى إذا استقلت أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته إلى حيث أراد قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن إسحق ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الإنس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله تعالى فبائتون بالشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكره الريح الرخاء وتهوي به إلى حيث أراد وإنها لتمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن [illegible] بإسناده عن وهب بن منبه [illegible] قال إن سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر إليه الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال إني سمعت قولك وإنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومسيرة شهر من الرواح إلى الصباح (أخبرنا) ابن فنجويه بإسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطير وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح به إليك فأخبرتك به (ومنها) تعليم الله

ثم قال فتى إذ تعرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقي إلى قشره فلما رأيت الأمر من ذلك ولا أحول منه فرغت العجوز من شربي فتعجبت من ذلك وقالت الشاب من أين هذه العجوز فقال يا شاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى على تخدمني فكلما احتجت إلى شيء حضرت لي به حين يخطر ببالي ثم قال يا شاه أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه فلما رأيت ذلك تعجبت منه وكان هذا سبب توبتي من الملك وتبت إلى الله من وقتي واشتغلت بخدمة مولاي ونالني والحمد لله على ذلك الأمر الذي سألت الله توبة والتوفيق آمين *(وحكي عن بعض الأكراد ممن كان يقطع الطريق ويأخذ الأموال أنه قال)* بينما أنا راجع في [illegible] تحت [illegible] الطريق وأنشأ [illegible] الناس إذ [illegible] ثلاث نخلات [illegible] عليها [illegible] والنخلات عليها الثمر فنظرت فإذا بعصفور يحمل [illegible] من النخلة المثمرة إلى النخلة التي ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسي أن أنظر ذلك فقمت وصعدت على النخلة فنظرت فإذا بحية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع ذلك التمر في فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها الله تعالى سخر لها

كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح رشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول للدنيا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشار بن والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعقاء تقول ويل لمن الدنيا همموا الذي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن مهدون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح الغنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قم فاحمد الله رب العالمين وعد الصالحين كما يعدها القارئ (وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلي الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذنا هما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركب البيا الطهم بيضك فقالت الانثى ويحك ان نبي الله أرسم بنامن ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا سين أراد أن يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك وابالك أن تصيبه بشيء فلما ركب سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرسم بنامن ذلك فقال الذكر للانثى عندي للملك هدية فقالت وما عندك قال عندي جرادة اذا خرجتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة اذا خرجتها لولدي قال فاخذ التمرة والجرادة ثم طار حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما وسمح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القنبرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما (وقال) وسار سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا أنبئكم بخير هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فرأى نملة مرجاء شرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكي) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش أما علمت اني أمة من أمم أنت عبده فغشي على سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخذتني رميتني فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا تستعين أسد بجاهك

الا

الابل اته قال قد فعلت ذلك قالت فانتعل (ومنها قصة وادى النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده
من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادى النمل الآية قال
الشعبى وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وكانه
فى مركبه الذى هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور اعظاما يسع كل قدر عشر من
الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب امامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء
والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى
حول البيت أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت
ما يبكيك فقال يا رب هذا نبى من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يهبطوا الى ولم يصلوا عندى ولم يذكروك
بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف املؤك وجوها سجدا
وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك فى آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الى وأجعل فيك عمارا من خلقى
يعبدوننى وافرض على عبادى فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين
الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام ان
ينزل عليه ويصلى فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
ثور وعشرين ألف شاة وقال ان من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى يعطى النصر على
جميع من ناواه وتكون السيف على رقبته من خالفه ويبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا يأخذه
فى الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين ذلك يا نبى الله قال قريب من ألف عام (قال) ثم
ان سليمان مضى حتى أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء
تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبى كانت ذات جناحين واختلفوا فى اسمها فاخبرنا ابن ميمونة
باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمى فنادت لما رأت سليمان وموكبه يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح الى
مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن
أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية وفى بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها أمر الطير والرجال
أن يقفوا حتى تأوى النمل الى بيوتها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعت انى ظالم أما علمت انى نبى عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان
وجنوده قالت النملة يا نبى الله أما سمعت قولى وهم لا يشعرون ومع انى ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم
القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظينى فقالت النملة
هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحته ثم قالت هل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت
لانك سليم وكنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدرى لم سخر الله تعالى
لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعنى أن أشكر
نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب الهدهد والصرد والضفدع والنملة (ومنها قصة العنقاء فى اثبات
القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال بينما سليمان الملك فى
بعض حياته فقال لها الملك تأتين كذا وتقولين كذا قالت والقمر يا شمس والقمرى قالت رجع الى بدء
ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال
لها سليمان الا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق وهذا ولد الملك كبير
وهذه ابنة ملك والجارية والوليد تجتمعان فى أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح فى جزيرة فى وسط
البحر فقالت العنقاء يا نبى الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الا انه قالت فهل أخبرتنى ما اسمهما

هذا أعلا يسوء نفسه عن السؤال كأنه نحيراً له فلما انصرفت الى المنزل وكان على شيء من الورد فالأبل من الذكر والاملاك
والبركة وغير ذلك
فتقبل على حبيبى
وسارت سودا ... أ
ثم غلبنى النوم فنمت
فرأيت فى نومى ذلك
الفقير وقد جاؤا به فى
خوان ممدود وقالوا
كل لحمه فقد اغتبته
وكشفوا لى عن الخوان
فقلت أنا ما اغتبته انما
قلت فى نفسى شيأ فقيل
لى ما أنت ممن يرضى
منهم بمثل هذا اذهب
اليه فاستحل مما كان
منك قال الجنيد فأصبحت
ولم أزل أتردد اليه حتى
رأيته فى موضع ظاهر
الماء وهو يلتقط من
الماء ما سقط من
أوراق البقل فلما بصر الى
وسلمت عليه فرد على
السلام ثم قال لا تعد
الى مثلها يا أبا القاسم
فقلت أستغفر الله العظيم
فقال اذهب غفر الله لى
ولك ثم ولى فلم أره رضى
الله تعالى عنه وعنى وعن
جميع الصالحين آمين
(وحكى عن الجنيد
أيضا رضى الله تعالى
عنه أنه قال) بعثت أبا
... فى وقت ...
... فرأيت دارا
كانت لبعض الرؤساء
عليها أثر النعيم وعلى بابها
... وغلمان وفى بعض
أروقتها جارية تغنى
وتنشد هذه الابيات
الا يا دار لا يدخلك حزن

وما اسمهما واسم أبيهما فقال لي اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبي الله أنا أبلغ القدر وأعرف بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظيما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان ورجلاها رجلا امرأة وأما بدنها كذلك شعشعات في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة فجاءها وأسما مضيا وطيبا وأوشمها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تختبر أحدا بشأنها حتى يتم أمرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فسار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه لكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لزجره عنه حتى نال منه نالا طويلا وأمر اعظم ما قال يوما لاصحابه كل صيد البر وفواته ومقارنته قد نلت منه فأوركبت البحر فما نال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن وسار في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرج ولا يعرف شيئا غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فارسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فسارت بها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة ستين سنة في منتهى ستين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركبت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدري أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق وريقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح الافوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل ماوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها ثم انه حول سفينته نحو جانب الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عرجوا آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لانها أخذت صغيرة ولم تر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر الى السفينة فانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فافهمني نفسك فقالت لا أدري ما تقول ولم أنت الا الذي أرى وجهك كوجهي وكلامك كلامي وانا لا أعرف شيأ سمي العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام ومن نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه الا يعظيم على ما نصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أحسن

الناس وجها وأتمهم خلقا فمن قال فارقد السلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبي ذرية وان ملأ الارض من يؤدي اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحد وان مثلك في الدنيا عدد الشيح والقدر وكلهم في قاصير الذهب والفضة والعيش الهني والرغد واللذة لا ينعمون مع الازواج يتعانقون ويتناعمون ويتوالدون الا ولادا مثل خلقك وخلقي أرأيت ان هابت الريح فازعجتك من وكرك من عندك ان تقوي في الجمر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال فنزعت الجارية من قوله قالت وكيف لي أن يكون معي انسي مثلك يعدني بمثل حديثك ويعطفني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذي حملك وساقني اليك لا كون ذلك الفارس صاحبا وأنيسا لي من أولاد الملوك فقالت الجارية وكيف أصير لك وأنت ابن الملك وان العقاب هذه تروح وتجيء وتغضبني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على المنقار لبلتك هذه فاذا باتت الليلة قالت لك ما تحبين وما تريدين وما تأمرين فاغتبريها أو حدثيها ثم ارقبي ثم انظري ما يكون من رد هذا عليك فاخبريني بذلك فعلت وان العقاب رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا ابنة عمي مالك فقالت الوحشة الوحشة قالتني وانى انزعج على نفسي من ذلك فقالت لها ما بك لا تخافي ولا تعزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام ان آتيه يوما أو يومين الا آتيه فيكون ذلك أسهل فلما أصبحت أنبعثت الغلام بجوابها فقال لها أوتسخرين علي ذلك لا ولكني سأنحر من دوابي هذه درسا وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقمه على رأس صفيتي هذه فاذا جاءت تلك العقاب تقول لها أري عجبا أري ناقة ملقاة على كوثل هذه السفينة ولم تختطفها وحملتها الى فكانت معي في وكري فانظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي نهارا وما كان من أنباء سليمان وأنباء المسلمين ولما رجعت العقاب وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استدعائها الا في المقام يوما والمقام يوما فقالت لها يا ابنة ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه فقالت لها اني لا أريد ان تنطقي عنه نهارا لكان أنباء سليمان وأنباء المسلمين والي أري في البحر أري شيأ مرتفعا ناهوقالت لها العقاب هذه سفينة قوم سيارة تراكبين في البحر قالت أما الذي أراه أنا علي رأس هذه السفينة قالت لها دابة ميتة ألوهها مالت فاحتملها الى لا ستأنس بهم وانظر اليها فانتصب العقاب فاختطفت الفرس وكان الغلام في بطنها فلما رأته عشقها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت فلما رأت العقاب ذلك منها قالت لها يا بنية ما هذا بمأكل ولا مشرب ولا مستمتع ثم انها طارت الى قومها فلما رآها سليمان عليه السلام نزع الغلام من بطن الفرس فلا عجاها وأفاقها وأنبأها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر بما صنعوا به من قبل الريح وان العقاب واحدة وكان مجلس سليمان يومئذ لمجلس الطير وحكمهم فلما رأى سليمان عليه السلام الطير في بيته ودعا بمرقاة الطير وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر مرقاة الطير أن تأمر بثمرة قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والقفار والقرار والاوكار أن يحضروا اليه أمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كلهم ثم كل دابة بقدر على وجه الارض فاشتملهم وفي وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أهمه أمر عظيم فاول سهم خرج في تقديم الطير سهم الهدهد أو كانت الطير لا تتقدمها الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الهدهد أمة تمشي على رؤوسها واولها هدهد فقال لها نبي الله سليمان عليه السلام حتى اذا احتفشت بي وأخرجت ولدي بعدي فقال سليمان الذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي تعوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فامر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشيء واسعدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكثيه من السفاد حتى تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجد لها بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العقاب فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في الغدر فقالت يا نبي الله في من القوة والاستطاعة ما أدفع به الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فان الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت انك تفرقين بقولك واستطاعتك

فيما بين كل الخبر الذي الرياحين ورأيت في وسطها بيوتا فلما رأت الجارية ذلك

منازل الحب في قلبي معلمة
وان تلاعن نعم الوصل منزلها
وكيف أتركها والقلب يتبعها
سبحان من كان قبل الموت ينزلها
قال البيت الذي ذكرتها ومضيت وازداد قلبي توقدا ووقع شعرها في قلبي موقعا وأخذ بمجامع قلبي فولهني الا أدري مسقط قلبي والمحبوب ومصدق ذلك في الصحف الاولى ذكر به وصيون على منازل الاحباب ولازمة على ما هي فيه من شغف الخيال وبعد أسرار الفراق فسبحان من وهب العباد بكلمة المسور

* (وحكى عن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه انه قال) سرت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أمشي اذ رأيت رجلا يمشي على طريق يقتضي الجادة والطريق التي كنت عليها الطريق التي كنت ماشيا فيها فسرت أمشي ثلاثة أيام ليالي ما انقطع على ذكر طعام ولا شراب ولا لي بهيمة معلقا وانتهيت الى بريه تحضرا

بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فاتتني بهم الساعة وانطلق شهود لا علم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بهم فلما قربت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها اذ بادر الغلام و بدخل جوف الفرس فلما رأته البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اي لعمري ان لي شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بيني وبينه في أمرك وانى لا رجو نصرتي اليوم فيك فقالت لها كيف تحملني قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصبر في منقارك قالت لها كيف أصنع ولا بد لي من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفايتي البومة فقالت لها أدخلي في جوف هذا الفرس ثم تربعيه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله هي الآن في جوف الفرس فان الغلام قد سمم سليمان طويلا ثم قال لها آمنت بالله وقدره وانه لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سطح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة فقصت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء نفزعت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت في بحور من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا اتقيا منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت اما بالنهار فلا تروج لي ولا سبيل الى المعاش فيها واذا خرجت نهارا وبحثها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قذرية فيها تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التي أخرجها له من البحر في قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل واجياد السراع قال ابن السكن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلم أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فردوها عليه فعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء حيث يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (وروى) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بعد بنقة مرو وصلى العصر بعد بلخ تحمله الريح وتظله الطير بجنوده ثم سار من مدينة بلخ متظللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف عنه على مطالع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام

www.alkottob.com

أخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلت له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن ترجع الى منزلك اليوم ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمه الله عليه فواريناه بالتراب وبدا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتحببت عماوصفوه لي فدرت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كأنها ورقت عهد بها وكتب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الحسرة وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فعرفت لهم ما هو يكتب وبم يسمى النرجس وفسر به لهم فوضع لهم الطرب فلما أفاقوا قالوا قد وجدنا جوابك في كلمتك فوضع القوم على وجوههم الا عربيا من أهل بادية يسجد عائشة رضي الله تعالى عنها فوجد صاحبه وطائفا بالبيت فرجع فأقام بالبيت ست عشرة سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدته فتأسفت عليه أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا ﴿وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

الى العراق أن يبنوا له قدر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش اني قد أمرت لهم * بناء تدمر بالاعمار والعمد

قال ورجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سرى والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للمسيحي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما الى شر معشر
متى ركبوا الريح الملبة أسرعت * مبادرة عصن شديها لم تقصر
تظل لهم طيرا صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

(رجعنا الى القصة) وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق مسحها في سبيل الله وكوى سوقها بمسها السيف وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها بالعراقيب وهي رواية الواحدي عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان بعد العصر فوقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا أجعله عزا لاوليائي وذلة لاعدائي وجعلا لاهل طاعتي فقالت الريح الهي وسيدي وولاي افي صلبه تجعل منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يمجدوني ويحمدوني ويكبروني فتسجني اذا سجدوا وتحملني اذا هللوا واذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتكبيرة وتهليلة صدرت من فم عبد الا وخلق الله تعالى من كل تسبيحة منها ملكا قال فما اسمع الملائكة سبحانك ما أعظم شأنك وما أجل سلطانك الا قالوا خلق الله لهم خيلا لقتال أعدائها كأعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها سهل فقيل له بورك من دابة اذ بسهولك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك الى يوم القيامة وبقائها بقاءك وركتي على ملائكتي وعلى جميع ما خلقت خلقا أحب الي منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما يقوم الناس اليوم بالآخر بعد ما أسالها سليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فما عاش الشياطين أمره وأحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء لا يعلمها الا الله تعالى والقوا تراب بين خافقين وقد شرين ومما حولها الى الغيضة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى الشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر جواهر البحر وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من عمل ذلك

(حديث القبة)* قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظيم أمواج البحر فوقعت نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس العواصين فقال له اختر لي من أصحابك رجلا فاختار

ما معنى العذاب فقال الانابة أن ترجع الى منزلك اليوم ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمه الله عليه فواريناه بالتراب وبدا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتحببت عماوصفوه لي فدرت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كأنها ورقت عهد بها وكتب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الحسرة وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فعرفت لهم ما هو يكتب وبم يسمى النرجس وفسر به لهم فوضع لهم الطرب فلما أفاقوا قالوا قد وجدنا جوابك في كلمتك فوضع القوم على وجوههم الا عربيا من أهل بادية يسجد عائشة رضي الله تعالى عنها فوجد صاحبه وطائفا بالبيت فرجع فأقام بالبيت ست عشرة سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدته فتأسفت عليه أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا ﴿وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

عنه أنه قال)* رأيت في منامي كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فإذا هم يلتفتون شبه الآدمي ما هو فتعجبت من

www.alkottob.com

له مائة رجل فقال اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم تغص حتى ننظر الى قعر البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة يا نبي الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أهوالا وحيتانا غير اني رأيت ملكا عظيما فقال لي اين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه واقرأ عليه مني السلام وقل له ان قومار كبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فرجوا يصلونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك وانما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى هبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء جاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يافتى من اين أنت أمن الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك منا أوى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو لي فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدي بي فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فرجعت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت علي أبوابها وتراخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدي يا نبي الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه الي فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زاد علمت انها النهار واذا رأيت الخيط الاسود زاد علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال لا يا نبي الله ان نسأت أذن لي ان اعود الى قبتي فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتراخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدوره راسيات ثابتات لا تزول بسبع القدر الواحد عشر جزر

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير بعشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفله أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء ظاهرها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويقتح بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات واوارى واواخي لدوابه ودوابه (ومما) عملوا له كرسي ملكه

(صفة كرسي سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه اذا قضاه وأمرهم أن يعملوه بحيث لو رآه سبطاه أو شاهد زوراه ندع وبهت قال فعملوا له كرسي سليمان من أنياب الفيلة وفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب ثمارها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضه مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات أغصانا كأكرم ما يكون من الذهب الاحمر واتخذوا

هنا قيدها من الياقوت الاحمر بحيث يقال عرش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده ووضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي درجة بهما ويدور دوران الريح المسرعة وتنشر تلك النسور والعقاريس أجنحتها وتبسط الاسد ان أيديها وتضرب باذنابها وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه أخذ النسران الاذان على الخافقين المشرق والمغرب يفتتاهم ما عليهم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها سليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة من يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا جاء البينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما عليه وما حوله دوران الريح المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بلسانان من ذهب وذلك الكرسي عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسليمان الاسد ان أيديهما وضربان الارض باذنابهما ونشرا النسران والطاوسان أجنحتهما وفزع من حوله الشهود وبداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائبه كان فيه قاعدا توفي سليمان عليه السلام بمحنية نصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بما حوله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساق سريره ضربة شديدة فهار وما زال يتحدر حتى وضع منه ما شاء الله ومات وبقي الكرسي بأنطاكية حتى تزاحم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم ثمانية فتحدر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستتمام به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف مستقره ولا يدري أين هو والله أعلم

(ومنها) بيت المقدس

(صفة بنائه وبدء أمره) قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فسبل بالماء والانجار والثمار وقيل ان كل عذب نخرج من تحت أصل الصخرة التي بيت المقدس يهما من السماء الرابعة ثم ينشر في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) سالم بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة والنخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما يتعاهدان بلي أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بيت المقدس وبنائه على ما ذكره أهل السير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة بحيث لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فاحب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فامر بعدهم وبعث لذلك عرفاءه وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عزوا فسمع الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت أبالك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده وبرؤيا رأيتها أن أجعل ذريته كعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فاردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيري وان قد أمسى لا بنائهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختر واما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فهم داود بني اسرائيل فاخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأشد نبيا فانظر لنا فيرى ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسلط العدو أمر قاهر فان كان ولا بد فالموت لا بيد له لا بد منه فامر هم داود أن يتجهز والللموت فاخذوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى مصيد بن المقدس قبل ساعة المسجد بالاوراس والاهلون وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فارسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يمر غوا من دمهم الا بعد مرور شهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود وعامة السلام

ساجدا لله تعالى يبكي إلى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الظل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعني أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فني أنزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فحمد وهاوارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فحمدوا لله شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا في هذا المسجد الذي رحمكم الله فيه مسجد الا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فاشتد داود في بنائه فلما أراد وا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يعتبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عن حق فقالوا ياهذا ما من أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا المسجد حق مثل حقك فلا تكن أخل الناس ولا أضاقهم فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب نفسك والا أخذنا منك كرها فقال لهم أتحتكمون هذا الى حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم تأخذ منا بني الله قال تخذوه بمائة شاة فقال الرجل زدني يانبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يانبي الله فانك تشتري به لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود سمعت قلت هذا فاحتكموا أعطاكه قال نشتريه بمائة مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتري لله تعالى فلا تجعل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله بحدا رامشرفا ثم ملؤه ذهبا وان شئت ورقا فقال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يانبي الله لان يعذبني الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شيء ذهبت لي ولكني كنت اختبر بكم فحمدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة ونجز وا فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس والمتر جل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه ويكون مبتدو ذكره وأجره لك باذنه فصلوا فيه زمانا الى أن توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فامره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور والابيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها سبعة من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فاتى بشيء من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتضديدها الواسا واصلاح تلك الجواهر وثقبها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لا يطاق فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبي الله ليس في الجن أكثر تجاربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع الشياطين بالنحاس والجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لم ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر فأ ره الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يانبي الله انه كان يفعل في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بفعلك حتى تركت المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبي الله انى لست أسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى في طريق فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضي حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حق

الرجل

www.alkottob.com

عجبان من أورد بياض المودة نفوس أهل المحبة فهي لا تحن الا اليه ثم أمسك فقلت السلام عليك يا سليمان الاجزان وفريزا

الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البعلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند سكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشرط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين وسوف يزول ملك الوصي بعد أربع سنين فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بجوزتين تتكهن وتخبر الناس بما يكون من أمور السماء وقد كنت عهدتهما بيلا دفن في موضع فراشه اذهبا كثيرا في الدهر والحال فرأيتها تموت جوعا رتعت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بحاله ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قيل فاكل البصل فبرأ من دائه فصار يطيب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره أكل البصل وانه لا أعرف شيئا حتى ان مر به بصل الى اللماع فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت القوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فقل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا لغضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كم منجارا بك وجولانك في البحار شيأ يفيدك في هذه الجواهر فقلت ويسهل تحتها وتقهرها بالسوت قال نعم باني الله اعرف حجرا أبيض كالثلج يقال له السامور فيرانى لا أعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شئ أحيل ولا أهدى من العقاب فاسرق بفراخه أن تحمل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتي بذلك الحجر فضرب به الصندوق حتى يتقبه ليصل الى أولاده قال فاسر سليمان بفراخ العقاب ان تضم في صندوق من حجر منها ولما له فجيء بها فاخذ فراخه وسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى فراخه وهو يحسبه أنه من فراخ العقاب فقرا من أين جئ بالحجر ومنه يعلم ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز الوجود في سائر الاقاليم المعمورة بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعهده من الماء الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة ونصب سقفه وجعل حيطانه باللآلئ والياقوت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروز بحيث لم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالشمع في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع السحرة من بني اسرائيل وأعلمهم انه بتأييد الله تعالى وكل شئ بمشيئته تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ في الارض مثله أعظم منه من ذلك اليوم ولا أنعم وأكثر منه فذبح فيه من البقر والغنم ألف ألف وعشرين ألف رأس ومن الغنم أربعة آلاف شاة * فالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان ببيت المقدس انه بنى بناء طين ما له بابا يدخل ويخرج فكان اذا دخله البناء استبان دخوله في ذلك الحائط أبيض واذا خرج منه الناس استبان خروجه في ذلك الحائط أسود فعلم الناس بذلك كثير من الناس عن الطهور والصلاة ونصب في زوايا المسجد ثلاثة أبنوس كل منها سبعون ذراعا لانبياء لم يضرمنها شئ ومن مسها من غيرهم اضطرقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس وفرغ بانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك فتمامك على وهبتني خلقتك فاسألك أن لا أمشي الى أمر منك أكرهتني به من جهل ان أكون شيأ دون الحد اللهم اني أسألك ان تدخل هذا المسجد كل من لا ذنب له أن يدخله ومن ركعتين فيه ونهيته الا خرج من ذنوبه يوم ولدته أمه ولا يدخله مذنب الا يتوب عليه ولا عائب الا أقلع ولا سقيم الا عوفي ولا يجد الا استجيب دعوته واذا أجبت دعوتي وأعطيتني ما لم يعط علامة ان تقبل توبتي فاجعل علامته ان تقبل توبتي فانظر من السماء فشدت ما بين الخافقين ثم امتحنتها عنق فاسهل القربان وسعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والفي ما فيه وكدسه التراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامر الله أعلم

(باب في قصة بلقيس ما كان سببا والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قال العلماء باخبار الاقدمين ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فقبل

الاشجان فقال عليه السلام ياذا النون ما الذي أوصلك الى ما أراه فوق السماء من الانام فقال فعل بي ما سبب نفسه من التلفظ بالكلام قال ذو النون فقلت لا أرحلتني الليلة الرئيسة في الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قساوب المقربين الابرار فقال الرجل لعمري انه لله سبحانه وتعالى عبادا فتح في قلوبهم ذكا الشوق وثار الانوار واسرارهم لا تفتر بها نسرح في رياض الملكوت وتسار الى حضرة الجبروت قال ذو النون فقلت له ما بقي من أنسهم لي فقال أوائل هم قوم آوالى كهف رحمة ربهم وان لؤس شراسة نفوسهم وتحلوا بادب أدبهم ثم أنشد يقول

قد كان لي دمع فاضا
وكان لي عين فاضت
وكان لي ما به نابه
وكان لي قلب هائم
وكان لي ما بدى نائم
أرى به الاوهام
عن ما لا أحس بدى
حوشا

لو شئت تحمل الموت أو الملقنه ثم قال فما طاب لك في السير والملاينة فان من أحب الله تعالى فانه فان له ويما يتحمل فيه على أولياء الله ثم قال

www.alkottob.com

للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب القربان وتضى الناس سلمه بشر أهله بخروج نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يوم تجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاعجب النزول بها للصلاة وتعدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم الماء في الزجاجة فيعرف موضع الماء وعمقه ثم يحمي الشياطين فيستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكرت هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا علي له بقدر أسبع من تراب قال ويجعل اذا جاء القدر عمى البصر (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الارض وعرضها وتطريقها وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشأم مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس لملك بلقيس دونه فانهم ساكنة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو الذي يقال له التبع بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معي حتى آتي بلقيس وتنظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فتنبه فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه ويدعه عطشا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لا تنفه ولا شدن جلده ولا شمسنه وقال مقاتل لا طلينه بالقطران ولا شمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك على الارحتني ولا تعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك بما يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فقد

سليمان يده الى رأسه فبذها وقال أين كنت لا عذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فاما سهم ذلك سليمان او تعمد وعفا عنه (أخبرني احمد بن) محمد الثقفي باسناده عن عكرمة فقال انا سمع سليمان من ذبح الهدهد بره والديه ثم سأله الذي أبطأ عني قال الهدهد أحطت بما لم تحط به أي علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم بلقيس بنت الشرخ وهو الهدهاد وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن الشرخ بن الحرث بن قيس بن صيفي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى الشرخ ويلقب بالهدهاد ملك عظيم الشان وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول الملوك الاطراف ابنى أحدهم منكم كفؤ الي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من ابلن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك تزوج ابنائها بناتها وبناتها بنيها فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبرنا به ابن مجونة باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي لقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها ملكوها في الملك وملبت من قومها أن يبايعوها طاعة فوم وعصاها آخرون فاختاروا واحدا منهم وافقوا فقدموا فرقتين كل فرقة منهم اصطفت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان عديده الى سوء سيرته يجبرهم ان فارادا أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأى بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال لها نعني أن أبتدئ بك بانا ما بلقيس الا بمنك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واصلبني معهم فيصلبونها معهم ويعطونها امنهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال اما هي التي ابتدأتني وانا أحب أن تسمعوا قولها منى فاجمعوا لها فلما بلغها ذلك ذكرت لها ذلك فقالت نعم اني أحببت الوثوق أسمعه منك أحببت أن تسمعوا من هذا الملك فقدرت بذلك فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمه وهاوسمها حتى غيب منازله وقد وعدهم فلما علم به سقط في يده حتى سكر ثم حز رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب داره علموا ان ذلك الملك كان مكرا وخديعة منها فجمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار لفتلته ولكن رأيته قد عمر بلادنا فاخذتني الحمية فعلت به ما علمتم فملكوها وانتشت أمرها في الملك وروى ابن مجونة باسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما بلغ النبي اتخذ فصرا عرسا

(وصف القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روى ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فعمل لها سليمان اسطوانتين من رخام ثم أمر الجن فبنوا له قصرا فاقتصرت على ثلاثمائة ذراع في ثلاثمائة ذراع وجعل بين كل اسطوانتين فرسخ أذرع ثم جعلت فيه استفاسطوحة بالواح الزجاج والقم بعضها الى بعض بالرصاص فجاء كالماء الجامد ثم بنت فوق ذلك قصرا مرتفعا من آجر وجص في كل زاوية درج وباب قبلي من ذهب مرشق فيه الجواهر وبين ذلك الباب سليمان من ذهب وفضة مرصعة بالدر والجواهر المرتبة وبنت في باب ذلك القصر مما يلي المدينة مجلسا من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي بوابه عشر أبواب او ثلاثة عشر باب وعلقها على قدر مراتبهم (صفة عرشها) كان عرشها من ذهب مفصص بالدر والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر وغير ذلك من فضة مكلل بالوان الجواهر وله أربع قوائم قائمتان منها ياقوت أحمر وقائمتان منها زمرد أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا على كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فلما تكامل له عز وجل وأوتيه من كل شئ أي مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة وله عرش عظيم أي سرير فخم حسن وجسيم او قومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك أنهم قالوا لو زاولها ما كان يعبد آباؤنا الماضون قالوا كانوا يعبدون الله السماء قالت وأين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه والله ما أعرف شيئا أشد من نور الشمس وهي أولى ما يبتغى لها عبادته

فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحالت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد لهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تطو ببعلبك وادفروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على واتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيأ وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب وأتى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاث أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا وقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستقبلة على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل سقط الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فاتاها الهدهد قبل تلك الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر ما ترى الصحيفة في وجهها فالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت انه ختم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في ناحيته وعرفت ان الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لا قبل لنا بغلبته فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها باعاجت حتى فعدت على سريرها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تسكن مدينة عظيمة من وراء الجبال فاذا أحزنها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا أخذوا في مجالسهم قالت لهم بلقيس اني ألقي الي كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما وقيل سمته كريما لانه مصدر بسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي واتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري وأشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تامرين نجدك لا مرك طائعين فقالت لهم لبلقيس معين عرفوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدني أبي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم أمل
جاروا علينا وان أرشيتهم ملوا * وان مددتهم تمادوا لك الامدا
واستثقلوك كما يستثقل الكلا * فاستغن بالله عن أبوابهم كرما
ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى تخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وحربت الامور وساستهم فانى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أما انهم من ملكي وأختبر بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشر غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائة غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (أخبرنا)

بين يديه وسلم بعضهم على بعض وجلسوا وأجلسوا معهم ثم قال له الشيخ ادع الله تعالى

ابن عيونة أيضا باسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى وابني مرسلة اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد بعثنا لك شيأ نراه ههنا ما في لا يلتفت اليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عدت باقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة فرذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر نحو اشيها من الديباج الملون وبعث اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا كالاترج والياقوت المرتم وأرسلت اليه أيضا مسكا وعنبرا والعود الاذخر والصندل وعدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب دعت سليمان أشراف قومها وقالت لهم المنذر ابن عمرو ضمت اليه سبعا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل شيئا في الخرزة ثم أمرت بالغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا أعز منه وان رأيته يتبسم ويلاعب الطير فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه ومورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يسيروا به من موضعه الذي هو فيه الى تسع فراسخ بين كل لبنتين مسيرة يوم وأن يجعلوا الطريق بينهما مبلطا شطرها من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يضعوا اللبنات على الطريق كما كانت فلما جاؤا بها وضعوها كما كانت فلما رأى الرسل ذلك قالوا لملكتهم ما رأينا بحرا كذا ولا دواب مختلفة كألوانهم ولا أحسن وجوها من قوم سليمان فقال سليمان لعلي بن ملك الساعة فأتوهم به فقال شدوها من بين الميدان ومن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علفا ودعها ثم قال للجن يا ولدان كم فيجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها من يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا خلفه فاصطفوا وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ودوابه والوانها لم يرعهم منها روث ولا بول الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا في طريقهم بين كل لبنتين التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خالية وكل الارض مفروشة منافوا أن يتركوا موضع لبنة فطرحوا ما معهم في ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين تنظر اليهم من خلف حفر عوا منهم فعجل لهم هدهد ولا تخف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا شديدا فلما رأوه طرقوا رؤسهم ولم يرفعوا أبصارهم فلما رآهم قد طرقوا رؤسهم قال ما لكم لا ترفعون رؤسكم أما ترون من أنعم عليكم بهذا الملك فرفعوا رؤسهم فقال ما لكم لا تدعون الله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاث أيام قال فأخبر الرسول بذلك فقبل وقال اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بحرمة الساجدين عندك أن تلهمنا ما نجيبه وان تعرفنا من بركاتهم في الدارين وجميع المسلمين أرحم الراحمين (وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قال) أصاب الغيث سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن

عند الله عز وجل فقال فقبض الشيخ وقال يا هدهد أتريد أن أسأل الله لك العفو ومولاي فقال نعم فقال توبوا الى الله تعالى قال فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أشار بيده عن يمينه وعن شماله ويسط يديه الى السماء وأقبل وجهه على القوم وجعل يدعو ولم يسمع أحد منها قال فلما أتم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت وأبرقت وأمطرت كأفواه القرب قال فحسر الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص دولته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هؤلاء يمرون على بالرسائل الصالحة والوجوه وجعلوه سلما لهم الى الصراط الى الجنة والله والملائكة والنبيين والصديقين فقالوا الجناب العالي فقال أيكم يرفع رأسه ما بال أيكم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا

فاخذت الدودة غيضا في فيها ودخلت الثقب فرجعت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقي في الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجواري والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بأحدى يديها ثم تجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من سليمان لان الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبرتها قالت والله ما هذا بملك وما له من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبع أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب وكانت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسر بملكي فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت منادبا ينادي في أهل مملكتها اليوم تم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر يوما فلم ير على سريره صاحبه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا يا نبي الله يا رسول الله قال وقد توارث منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليها ما لها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في مجيئه بها في مرتها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودي وقال شعيب انه كوذان وانى عليه القوي أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن فلكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فملؤوا السرير من تحت الارض يخسفون الارض خسفا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروى) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الاعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروى عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان قد دعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي برزة ان اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه ملخا وقال محمد بن المنكدر انما هو

دعائنا ولم يزد النهار الا حرا ولا الشمس الا حرا قل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرن أنا ورفيقي في الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قد مستان تساوى فيهما ذراعين فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال الهي وسيدي ومولاي لم ترد عبادك وفقراءك الا خيرا أفرغ ما عندك أم نفدت خزائنك ثم قال بحبك لي الا ما سقيتهم الغيث قال مالك فوالله ما فرغ من دعائه حتى تحلبت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأسبلت مطرا كأفواه الزرب فقال مالك نقلت والله ان هذا لعظيم الجاه عند الله تعالى ثم قام وخرج من المسجد فتبعناه ونحن نخوض في الماء للركب فما زال يمشي ونحن نتبعه من بعيد حتى دخل بيت رجل نحاس كنا نعرفه فلما دخل البيت انصرفنا الى بيوتنا وقد اشتغلت بحبه فلما أصبح الصبح بعثت الى النخاس لشراء الغلام فلما رآني سلم علي وقال مالك ما تريد يا مالك فقلت أريد غلاما عندك فقال النخاس وأي غلام هو وقال عندي ثمانية غلمان قال مالك فتحيرت في نفسي حيرة شديدة اذ لم أكن أعرف للغلام اسما فقلت انهض بنا الى الغلمان

www.alkottob.com

سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فبي بالعرش في الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده متحولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ترداد امها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم الافضال ممن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه اجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه لننظر أتهتدي الى معرفته فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما فعل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشي اليها أسرار الجن فلا يبقى لهم تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فلما رأوا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجلها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها بناء الصرح فلما بلغت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت مغلق سبعة أبواب مغالقه وأقفاله معها فلم تتفكر ولم تتأمل فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فاشتبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان أوتينا العلم بأبتلائها وبحيلتها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك طائعين لامرك من قبل أن يجتلا فلما دخلت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بالعيس تريد أمر الشيطان فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء يجري أسفله وأمر وأن تجعل الماء وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وأمر بناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض ندخر لسليمان ما نعبد به بلقيس ما كنا نستطيع شكرها فلما علم ذلك منهم أخلاهم من العبودية والسخرة أبدا فلما رادوا أن يزهدوه فيها قالوا ان رجليها رجلا حمار وانها شعراء الساقين لان أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك فلم ينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) الخلق الصرح ليختبر عقلها وفهمها بما يرى بذلك كانها هي تتوهمها البركة والوصائف والوصفاء ليميز بين الآدمي والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معلم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير ليس فيه شيء مما ترين فلما علمت قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شيء قال سل عما بدا لك فقالت أسألك عن ماء ورمل وليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا أما هذا فهون ذلك انتظر الا أن تجري ثم املأ الآنية من عرفها قال لها سليمان عرفت الدليل فقالت صدقت ثم قالت أخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وسبق فقامت عنه وتشرقت جنوده فأوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما عاتبك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل الهدهد الى من حضر من الجن وجنودها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخل الهدهد واستقر قال لهم سليمان ما سألتني قالت عن ماء ورمل ليس من أرض ولا من سماء فما جبت قال ومن أي شيء سألتني أيضا فالت سألتني عن شيء لا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي

بالغلام فأتاه فصلى فلما نظرت اليه قالت هو هذا ورب الكعبة فقال الخناس وما تصنع بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤم مكار فقال مالك وهو شؤمه ومكره فقال الخناس خذه وأرحني منه فقال مالك فأخذته بعشرين دينارا فقال الخناس يا مالك هذا الثمن كثير في هذا العبد فقال يا مالك والله انه قليل في ثمنه وانك رابح فيه ثم أخذت بيده وقلت له ما اسمك يا غلام فقال مبهون قال فمن أين أنت قال من عند الخناس قال الغلام يا مولاي ما تصنع بي فقلت له لا عليك فقال والله لأخدمنك أحسن الخدمة وأطيعك واعبد الله رب العالمين فما زال على شراء الغلام المشؤم قال مالك فعلمت على ذلك ما رأيته من الاسرار في الصبي الغريب الذي يأمر الله تعالى النار أن تغير وجهه الغلام عند سماع ذلك فلما قربنا الى منزلي كان عريان من المنزل قال يا مولاي ائذن لي بأن أرسل في هذا الصبي درهمين فقلت له نعم فتعال وصل وكعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال اللهم يا سيدي ومولاي كانت المعاملة

بيني وبينك سرا والآن فقد علم بها المخلوقون فاقبضني اليك الساعة ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته

www.alkottob.com

بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة لسليمان حديدة فكره سليمان الموسى وقال انتم اتقطع ساقها فسأل الجن فقالوا الانورى ثم سأل الشياطين فتذكروا عليه وقالوا الانورى فلما أيأس علمهم قالوا لنحتالن لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستكمها سليمان عليه السلام * (أخبرني) * ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التسق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فنقلوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبيذون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت وهل يشكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت فتزوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلطانها وتبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فقال تهامة شعبي اذا كان في سيوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحيرية نحن بنينا سلحين وبيتين وبنينا مراوح ومراوح وفنقون وهندة وهيذة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا ما نرغ بها لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وفرقوا وانقضى ملك الذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

* (باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أباز وجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه) *

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أسير أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس الى سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهر حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا للملك اللائي يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يديه فأعجبته فتزوجها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على مقربتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروه لي في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلبني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين أن يعملوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فتأتى لها حتى نقرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فمكثت اليه حينا مسرورة فأزرته وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن

باب

www.alkottob.com

فقال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول الشقة فانشد (١٩١) يقول اشعرا من ذا يخوفني بالعدا

باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبر سني ودق عظمي ونفد عمري
وقد حان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم
بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم
خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان
فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من
كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غضبا فلما دخل سليمان داره أرسل
اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال
من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت علي بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت
في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك
فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت ما قلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر
ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها
امرأة قد رأت دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس
على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما
يقول رب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقروا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه
حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجته أو أراد اتيان
امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء
أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه
فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخوله مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان
وكان اسمه صخرا فقال خاتمي يا أمينة لا تنكر منه شيئا فقالت له خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى
جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الامينة وقد تغير
من حاله وهيئته ما كان معهودا عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمي فقالت ومن أنت قال أنا سليمان بن داود
فقالت كذبت لست بسليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان
الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود
فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى
سليمان ذلك خرج وتوجه الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق ويعطونه كل
يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا
عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فأنكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك
الاربعين صباحا فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت فقالوا نعم فقال
امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه في عامة أمر الناس وعلانيته
فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشده ما يدع امرأة منا
في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني
اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر
فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان
العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في
بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع
ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه انما كان لما أحدث في
داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته

اقطعه
الى الحبيب وقد قدمت
اقبالا
ألست أقلقني والشوق
أزعجني
... لا ... الله
... انا
فان أجوع فذكر الله
يشبعني
والا ... بحمد الله
... انا
... فوجدته ...
...
... ومن أحسن
... انا
قال ابراهيم ...
من كان ... على ...
... الله ...
... فقال
...
والله ... الله ...
... الله الذي
أولا ...
على ... من ...
...
...
... الى ... فقال
بابراهيم ...
... من ...
والواصلين من ...
الطاعة ...
أن ... من ...
بابراهيم فقلت له نعم
سألتك بالله أن تدعو
لي ان أخلو من ...
من أصحابي قال فنظر

الى السماء ... من النوم ... الا وأنا ... ولم أدر أين

الشياطين حتى أتت به فجعلت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه بالحجر ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه * (وقال السدي) * في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فانه يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فلما جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعاينه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه ثابتا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجمع قراء بني اسرائيل وعلمائهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يعشون حتى أتوه وأخذوا بحلقه وأخذوا بحلقهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فطار التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صيادين الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان ابن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشقله ما كان فيهما من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه وليس فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر ان يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فاتي به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختم بخاتمه ثم أمر به فالقي في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنب فاخذ الخاتم لا يتماسك أربعين يوما فخر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرك الى أن يتوب الله عليك ويرد لك الى ملكك فخر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فقام آصف في ملك سليمان وعمله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعين يوما الى أن رجع سليمان الى منزلته تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت * (وقيل) * سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد الحجلي باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر سعيد بن الخاتم وأخذ الشيطان اياه كاره ينا وقال في آخره قال علي كرم الله وجهه سمعت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بانبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أحب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا في تخفيه من سليمان الى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده أو

تعلقت بالاستار والقبر
رزينه
وأنشبها في القلب والسر
أعلم
أتيت اليه ماشيا غير
راكب
واني على صفري لحب
متيم
هويتك طفلا حببت
لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم
وان كان قد طالت اليه
منيتي
لعلي بوصل مثل أحظى
وأغنم
قال ابراهيم ثم أرخى عينيه
وخر ساجدا فاتيت اليه
وحركته فاذا هو قد مات
ورحمة الله تعالى عليه
فتأسفت لذلك ومضيت
الى رجل لا تحذله منه
كعنا واستعنت بريقي
حتى يساعدني على
تحهيزه فاتينا اليه فلم نجده
فتعجبت من ذلك وسألت
عنه من الحجاج فلم يخبرني
به أحد فعرفت أنه
مستتر عن أعين الناس
وما رآه أحد غيري
فرجعت الى مكاني ولم
أفتر عن ذكره فلما جن
الليل غلبت فرأيته في المنام
وهو في موكب عظيم
وعليه نور ساطع وعليه
من الحلى والحلل ما يعجز
عن وصفه الواصفون
قال ابراهيم فقلت له
ألست صاحبي بالامس
فقال نعم فقلت له والله لقد
تطلبتك لاغسلك وأكفنك فلم أجدك فقال يا ابراهيم ان الذي أخرجني وجعله شوقي وحبي أهلي غربتي هو الذي كفني ودفني

تخجله

أسو حتى قال ابراهيم فقلت له ما فعل الله بك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال ما بغيتك قلت أي رب بغيتي فقال الله عز وجل أنت عبدي حقا ولا أجيبك عن كل ما تريد فقلت سيدي أريد أن تشفعني في القرن الذي منه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صليت فاستيقظت من منامي فسررت سرورا فلما أصبحت قصصت ما كان على من فراش الليل ولم يفتر قلبي عن ذكر الغلام وسرت في جملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم ازعجت الناس من بابك راكبا قال ولم تزل راكبا حتى الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات * (وحكى عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) * أنه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فلمحت عن العارف فمكثت أياما حتى توفي وأتاني حتى أخرجني الساعة فقلت لذلك الغلام الذي معه وكان الليل مقمرا فنعم فقلت وما اسمك فقال اسمي وقال لي يا أبا سعيد فاذا هو شاب حسن الشباب ناعم الاثواب فسلمت عليه فرد علي السلام وجعل ينظر إلي ويلتفت في الارض وليس فيه حركة وهو مسند رأسه ويا مين خلفه الاثواب

فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذي أتى بك إلى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا أبا سعيد قد دنت وفاتي وقد سألت الله

فتخيل له فعسكر سليمان ذلك فأمر الصحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا بنسه في الصحاب فأمن مضره الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقي على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لما تم لسليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له ابليس والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك مما يعذبه من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فقال ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا ما الناطاقة لمن نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتر يالهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الريح وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحج في بيت المقدس في السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه وحذائه في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يسمع فيه الا نبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقلع فان كانت تنبت لغرس كتب على غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء نبتي قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود كان الله تعالى اخبر به وأنا مع أني أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في مالها ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تغبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد فكان سليمان يصلي المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آذاني من الملك ما ترون وما أمر علي يوم في ملكي صافيا من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أهتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره وأمر بالابواب فأغلقت ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه فلا يسمع شيأ سوءه ثم أخذ في العبادة وهو قائم يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آذاني من الملك ما ترون وما أمر علي يوم في ملكي صافيا من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أهتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره وأمر بالابواب فأغلقت ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه فلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ في العبادة وهو قائم يصلي واتكأ على عصاه فمات وهو متكئ على عصاه فلبثوا يرون أنه حي عامة يومهم ذلك فلما أمسوا قال بعضهم لبعض ان سليمان ليستن بنا لمكثه قائما فانتزعوا عصاه من يده فخر ميتا فعلموا حينئذ موته وكانت الشياطين تعتقد أنه يعلم الغيب فمكثوا سنة وهم يعملون له العمل الشاق وهم يرون أنه حي قائم ينظر اليهم فلما علموا موته وثبوا على ما كانوا فيه من العذاب الشديد وهو قوله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وقيل ان سليمان عليه السلام لما حضرته الوفاة قال اللهم عم موتي على الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون الغيب فقام في محرابه يصلي متكئا على عصاه فمات فلبثوا حولا ميتا وهم يعملون له كما كانوا يعملون وهم يرون أنه حي ينظر اليهم فلما أكلت الارضة عصاه خر ميتا فعلموا موته وعرفوا قدر الماء وكانت الجن تقول لو نعلم الغيب لعلمنا بموته حين مات فعمدت الارضة فأكلت عصاه وهو قول الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن الآية وقيل ان سليمان عليه السلام لما حضرته الوفاة قال اللهم عم موتي على الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد فكان سليمان يصلي المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات فلبثوا حولا ميتا وهم يعملون له كما كانوا يعملون وهم يرون أنه حي ينظر اليهم فلما أكلت الارضة عصاه خر ميتا فعلموا موته وعرفوا قدر الماء وكانت الجن تقول لو نعلم الغيب لعلمنا بموته حين مات فعمدت الارضة فأكلت عصاه وهو قول الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن الآية قال أهل التاريخ لما تم لسليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له ابليس والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك مما يعذبه من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فقال ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا ما الناطاقة لمن نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتر يالهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الريح وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحج في بيت المقدس في السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه وحذائه في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يسمع فيه الا نبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقلع فان كانت تنبت لغرس كتب على غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء نبتي قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود كان الله تعالى اخبر به وأنا مع أني أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في مالها ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد فكان سليمان يصلي المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات فلبثوا حولا ميتا وهم يعملون له كما كانوا يعملون وهم يرون أنه حي ينظر اليهم فلما أكلت الارضة عصاه خر ميتا فعلموا موته وعرفوا قدر الماء وكانت الجن تقول لو نعلم الغيب لعلمنا بموته حين مات فعمدت الارضة فأكلت عصاه وهو قول الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن الآية

www.alkottob.com

بابان باب بين يديه و باب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فرد ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالباب فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط منا فخبر الناس أن سليمان قد مات فقاموا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا باعة الحبشة قد أكلتها الارضة فلما علموا منذ كم مات وضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك الصوف وجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه و ينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا يستكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فمكثوا يدخلون له بعد موته حولا كاملا فاقام الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلما أنهم علموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك بطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا نتقي اليك المآسر الطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيه الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان ما سخظمه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه بسبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعمر يعتريه عرق النسا فمات فيه الملوك لضعفه وافترق ملوك بني اسرائيل فتراهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وفيلة كثيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى أتلفت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى غلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تعزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وعبر هم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم العلم والسداد وعشت فيهم العلماء وبعد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس في قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده و يرشده و يكون واسطة فيما بينه و بين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمصياه وذلك قبل مبعث زكريا يحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر ببيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فذلك ذلك الملك لبني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الردية وشعياء معه فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل فنزل هو و جنوده في ستمائة ألف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاءه شعياء فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل هو و جنوده في ستمائة

أن يحضر عندي وليا من أوليائه فنودي يحضر وفاتك ابراهيم الحواري وهو أمامك فالتفت فقلت له يا أخي ما الذي جاء بك ههنا فقال يا أخي أنا كنت عند أهلي في عزة وسرور فنظر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت له ألك والدان فقال نعم ولي أخت صالحة فقلت له هل اشتقت اليهم أو خطر ببالك بهم فقال لا الا اليوم فاني أحببت ان أسلم منهم وأتحفة أو احدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وأتوه بهذه الرباحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في أمره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفي فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى يغير على أوليائه قال ابراهيم فلتمشي من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة وغشي علي فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا ورحمة الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما هذه الاعجوبة عظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فارسل الله على النوم فنمت فما أفقت

الا بعد له وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم أجد له أثرا فتعجبت من ذلك ومرشدني دخلت مكة فلما قضيت

الفريضة وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هاجم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله في حادث فخبرنا به كيف يفعل الله بنا بعد وبنا شديد وجهود فقال النبي لم يأتني وحي فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بني اسرائيل فأمره أن يوصي لزوجته ويستخلف على ما كنته من يشاء من أهل بيته وعشيرته فأتى شعياء عليه السلام فقال ان الله قد أوحى الي أن آمرك أن توصي لوصيتك وتستخلف من شئت على ما كنت من أهل بيتك فلما سمع ذلك شعياء عليه السلام قبل على القبلة وصلى ودعا ربه وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى يا رب خلقتني وأنا عبد مطيع لك ولأنبيائك وأنا على ملة ابراهيم وموسى وداود عليهم السلام فأطلت عمري وأحسنت عملي وقد بلغت من السن ما قد رأيت وقد جاءني رسولك بأمرك أن أوصي لوصيتي وأستخلف على ما كنت من أهل بيتي فان كان هذا الأمر منك فبلغني ما أحب وان كان من الشيطان فأذهبه عني وأنت يا رب تعلم أني لم أنكح النساء ولم أتخذ ولدا ولم أبن بيتا ولم أغرس شجرا ولم أحفر بئرا ولم أبن مدينة ولم أتخذ ضيعة ولم أقتن مالا ولم أتخذ عبدا ولا أمة ولم أتخذ دارا ولا عقارا ولم أتخذ بعيرا ولا بقرا ولا شاة ولا شيئا من الدنيا وما ذاك الا لأني كنت أعلم أنك ستقبضني اليك وأنا أحب أن ألقاك وليس لي شيء من الدنيا أشتغل به فلما فرغ من دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى قلب خاتم ربه وطين سادتي اللهم رب الأرباب واله الآلهة القدوس المقدس يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني يا رب وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي فلم يتم الله سحاب دعائه ورحمه وكان عبد الله حزقيا أوحى الله تعالى الى شعياء أمره أن يعود مريضا قال ان الله قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأعاده الله من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء الى حزقيا فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهم الى وسجد لله تعالى وقال يا الهي واله آبائي لك الحمد وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتجيب دعوة المضطر من أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك حزقيا أن يأمر عبدا من عبيده فيأخذ تينا فيجعله على قرحته ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء هل لي أن أعلم أن الله قد شفاني فقال شعياء سل ربك أن يجعل لك علما هو صائم بعد وتاهذا فقال الله لشعياء قل له اني كفيتك عدوك هذا وأميتك منه وانهم سيحبسون كلهم الا سنحاريب ونفسة نفر من كبرائه وكان فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة فقال ملك بني اسرائيل قد كفانا الله عدونا فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الى سنحاريب فلم يرد فيها الا الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه في عسكر فمن كبرائه في معاونة أمرهم بخلاف ما صنعوا بهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم شكر الله تعالى الذي من علامات الشيخ الى الاصغر ثم قال يا سنحاريب كيف نرى فعل ربنا بكم ألم يكفكم بعوله ووقته وبعوضه وأنتم تأمنون فقال له سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أظلم من هذا اليوم الذي في الشقوة الا الله تعالى فلو سمعت أو عقلت ما غرتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي قال فعند ذلك قال ملك بني اسرائيل قد كنا نظن أنك أعقل مما أرى فكيف ظننت أنك تقدر على ربنا وأنت لا تقدر على ما هو أصغر منه فقال سنحاريب ما شاء الله لا قوة الا بالله رب العالمين الذي كنا نظن أنا نقدر به على ما شاء الله ونمنع من نشاء ونعز من نشاء ونذل من نشاء ولكن لما أتانا من الله ما أتانا علمنا أنا لا نقدر على شيء وأنا مقرون بالعجز والذل في الآخرة وتخسر وا من وراءكم وراءكم من معك ولك من معك ولك من معك أهون عند الله من دم قرادة قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أن يجيء بقفة فقفد فيها رقاع بأسماء الملوك وطوابعهم معين يوما حول بيت المقدس وكان يعلمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم وقال لهم ملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمرهم الملك الى حين الليل فأوحى الله الى شعياء أن قل للملك حزقيا سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكروا وليحملوا الحملة التي يبلغون بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك فعمل فخرج سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قطعوا بابل فأقدموا بجميع سنحاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وحضرته يا ملك قد كنا نقص عليك أن ننجيهم وننجيهم والله لنعلم تطعمنا وهي أمة لا يستطيعها أحد وكان في أمر سنحاريب ما شاء الله فلما هم الله بإهلاكه كر فرجع بقية ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بنتصر وكان ابنه وكان يستنصر يعمل كما يعمل جده ويقضي قضاءه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقة فخرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد وبيهم شديد لا يرحمون اليوم ولا يعلمون قوله فلما عاد ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم في قومك يوشع على ابن نون فلما قام النبي أطلق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فان الله أراد أن يقضي شأن بني اسرائيل الذين رباهم سمعته الصبيان يرجونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرهم عنه رهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقتلت وما الذي بين الكعبة

حتى توجهت الى باب الشاب فاستفتاح نساء عابدين من قعدن وفي أوائلهم امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر وبيدها كوز فمضى لا تذكر من ذكر الله تعالى فقلت السلام عليك فما رأيت أشبه بالشاب منها فقالت يا أبا صفي الى في اشتياقا لك تحدثني عن أحب وفره عيني ثم بكت وارتفع بكاؤها وبكت معها ثم وهبت لها الشاب وما كان عندهن الرابعين فلما سمعت قوله أحببت ان أشم معهم رائحة أو أعيدهم بهذا قال أنس فقام الشيخ ثم سقط الى الارض ميتة فاجتمع أهل الشام فقالوا يرحمك الله خيرا يا أبا حمزة كنت تقدر ان تصلي عليها فقال ابراهيم ولي أحد في مدينة شهدنا الخير بعدهم أولهم وآخرهم الا الله ما علمت أنهم أذنبوا ذنبا قط

(وحدثني) الشيخ أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه * انه قال مررت بمجنون في بعض الايام

www.alkottob.com

واصطفاهم لنفسه وخصهم بكراماته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر إليه كسير فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فيئتابه وان الحافر يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فيئتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا بالبقر ولا الحمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبنيت خرابا زمانا طويلا لا لاعمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرس من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جناها خروبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماءنهرها ويعرف غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم التي بثثتها في قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا الدم ولكن يتقرب الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأديمهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها ويجصصون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فاني ماجد لي الى تشييد البيوت ولبيت أسكنها وأي ساجد لي تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها واسبح ولتكن معملا ان أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفتنه فلو بنا الفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم أنبتهما وهما في أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا صارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أنعشه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل جبين الجبال وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذا بيدي قلت كيف وبداي مبسوطتان بالخير أفلق كيف أشاء ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شيء انما يترا حم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الاعداء لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة حرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طائعة تركن الى من يحاربني ويتهلل بمحاربتي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المخصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغلوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكفحت أذاهم وكنت فورا بصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا ظلموا وكأنهم يستخفي بالذي يقول ويسرهم يعلموا اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته

واصطفاهم لنفسه وخصهم بكراماته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر إليه كسير فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فيئتابه وان الحافر يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فيئتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا بالبقر ولا الحمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبنيت خرابا زمانا طويلا لا لاعمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرس من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جناها خروبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماءنهرها ويعرف غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم التي بثثتها وانى قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا الدم ولكن يتقرب الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأديمهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها ويجصصون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فاني ماجد لي الى تشييد البيوت ولبيت أسكنها وأي ساجد لي تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها واسبح ولتكن معملا ان أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفتنه فلو بنا الفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم أنبتهما وهما في أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا صارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أنعشه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل جبين الجبال وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذا بيدي قلت كيف وبداي مبسوطتان بالخير أفلق كيف أشاء ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شيء انما يترا حم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الاعداء لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة حرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طائعة تركن الى من يحاربني ويتهلل بمحاربتي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المخصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغلوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكفحت أذاهم وكنت فورا بصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا ظلموا وكأنهم يستخفي بالذي يقول ويسرهم يعلموا اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته

على أن أربعة عشر رجلا ولبس معها أحد فقالت والله لامضين معهم ولاموتن معهم فلما رأوا لا قالا الاخرة فمضت معهم فلما أتوا الى الجبانة فقالت لهم ما قوم أين ولى هذه الليلة حتى يصلى عليها فقالوا يا شيخ كلنا في الاحياء ولا ولى هنا أحد يعرف فقال ذو الكون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصلت عليه وأثرت له في جنبه وواريناه بالتراب فلما هممنا بالانصراف قلت لهم ما شان هذا الميت أشيعون بعد الله فقالوا لا نعلم غير ان امرأة ذكرت انه صلى وهي لا تعلم انه ميت فبينما نحن في الطريق اذ أقبلت امرأة بالباب فلما سمعت الباب والدار دهشت وقالت يا كريمة العين عزيزة الشأن بعد ما وقفت على القبر كشفت وجهها وتبسمت ثم ماتت فحملت على سريرها ورفعت بالبكاء الى السماء وهي تقول سبحان من يحيي الموتى وتبلى العظام وهي رميم ثم حملت الى الارض فدفنت بجانب صاحبها ثم أقامت بعد ذلك الشيخ حولا فقال ذو النون فقلت لها أخبريني بخبرك وخبر الشاب والمرأة فقالت والله لولا انك من أحباب الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخي ان هذا الشاب ولدي وقرة عيني وكان ناشئا في شبابه لا يساوي بأبناء جنسه لم يترك شيئة الا ارتكبها ولا معصية الا سعى اليها وطلبها فدبر زمولاه بالمعاصي والآثام فقال له ألم تعلم

على نفسي وجعلت له أجلا موجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما يقولون من علم الغيب فليخبروني متى أنفذ وفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي (١) أقضي فاني مناظره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء كانوا سادة فيما فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان أجعل النبوة في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء وأجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاملاء والمدائن في الفلوات والاعلام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في اهله والحكم في الامين فساء هم من هذا ومن التيم بهذا وعلى بدعة من أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا الا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس برشا ولا غليظا ولا بصخاب في الاسواق ولا مترى بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة واهواء متشتة وأمما متفرقة فاجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا يقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا وفاء يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله الهدم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومنامهم ومضاجعهم ومقيلهم ومثواهم يكبرون وجوههم طلون ويقدمون على رؤس الاشراف ويظهرون على الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبي من شعياء من مقالته قاموا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فاخذ كم الشيطان فاقتطع به من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المناشير في وسطها فنشروها حتى قطعوها وهو في وسطها والله أعلم

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعيا رجلا منهم يقال له أشية بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرمايا من خلف باه وكان من سبط هارون بن عمران والخضر هو الذي جلس على قبر دقيوس فاماته الله تعالى مائة عام ثم نشره فقال الله تعالى لارميا حين بعثه الى بني اسرائيل بالرسالة من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصور لك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السن نبأتك ولاسمائك فاكرموك وتحبب الى جميع من بعثتك اليهم وادعهم الى فقال أرمياء اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرمياء فيهم خطيبا وأول ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها عواقب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في آخرها ان الله قال فاني أحلف بعزتي وجلالي ان لم ينتهوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي ليسلطن عليهم ملكا جبارا قاسيا أبيه القلب ينزع الرحمة من قلبه كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيسومهم سوء العذاب ويسفك دماءهم حتى يكون الاصر في ذلك من قبلهم فلما فرغ أرمياء من خطبته أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام ان ملك بني اسرائيل بيافث هو يافث بن نوح وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء بخبر ملك بابل وشق ثيابه وسقط على رأسه فلما سمع الله تضرع أرمياء وبكا عسى ان يدفع عن بني اسرائيل ما أوحى الله اليه قال نعم يا رب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني اسرائيل حتى يكون الاصر في ذلك من قبلهم فلما فرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعثني بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فلما سمع ذلك فرح واستبشر وقال ان بعثك ربنا فيذنوب كثيرة وان بعثك ربنا فبذنوب قليلة ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وعنادا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفيقوا فلما اراد الله تعالى ان يفرج عن بني اسرائيل ما كانوا فيه من الذل والهوان وهو سبعمائة سنة في رواية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء

To: www.al-mostafa.com
www.alkottob.com

أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا فتمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يا نبى الله انى استفتيك فى أهل رحمى وصلت أرسامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدا كرامى اياهم الا استخفافا بى فانى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أوما ظهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبى الله ابن ما وعدك الله به قال انى برب لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يفضل ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم لهلكهم فقال أرمياء يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم أرمياء عليه السلام حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام انه افتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبعة أسباط من يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بما وان بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باجسادهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده * (وكان بدء أمر بختنصر) * على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يبكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يا رب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فارى فى المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعتمله وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد الغارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكثر اهلها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن للاسرائيلى فى الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك فقال أبكى لانك فعلت معى ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزائى شئ يسير قال وما هو قال ان صرت ملكا

وملكت بيت المقدس أتعطيني ما أطلبه فعل يتبعه ويقول له أستهزئ بي ولا عندك أن تعطيني ما سألتك الا لانه يرى أنه يستهزئ به قال فدعا ملك بني اسرائيل وقال قد علمت ما منعك أن تعطيني ما سألتك الا لانك لا تريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضربانه فقال يوما لمصيون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا طائفة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا في مائة ألف فرسخ بحشمه في ما يخصه لم يخرج الا ليأتي في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا واجادا فكبر ذلك في عينه فلم يسأل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجالس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لظننت منها شيئا كثيرا فقالوا له لا تحسن القتال ولا تقاتل حتى انتقدت الى أهل الشام وعرف سيرتهم ثم ان الطليعة رجعوا فأخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك ودعاني الملك لاخبره غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعا صاحبه الخبر وقال ان فلانا ما رأى أكثر أهل الارض كلهم أبطالا وجلادا كبر ذلك في عينه ولم يسأل هو عن شيء وانما لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل أهله فقالت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فنحن في ثلثمائة ألف دينار ونرجع سالمين فقال له لو أعطيتني بيوت مال بابل وما رجعت عاقلا ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مستخفا ظفروا والا أمسكوا واقدروا عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني به ما بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسمعوا ما شاء الله تعالى ولم يضروا ولم يقتلوا ومات مصيون الملك فقالوا استخلفوا ما كنا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهزموا فسمعوا حتى جاء بختنصر بالسيف وما معه فقتلهم بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أخوف بالملك منه فهو لهذا القتال الاول فملكوه على أنفسهم (وقال السدي) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ان أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يعدون قصورهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب بختنصر فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم طعاما وبدرهم شرابا وبدرهم بقرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني أحب ان تكتب لي أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر ان سخرني فأنا لا أضر منك ولكن ما علي ان تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ما علينا ان كان والا لم نفتقد شيئا فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد سالوا بيني وبينك فما جعل لي علامة تعرفني بها حال ترفع بها فقتل على قصبة فاعرفك فلم يكتب له أمانا وأعطاه ياقوتة ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنيه مجلسه ويستشيره في أموره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت أخيه هذا قول السدي * وقيل كانت بنت أخته كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا عليهما السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما علمهم منه نكاح بنت الاخت قال وكان الملك ابنة أخت تعجبه ولا يدأن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها له وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام * (رجعنا الى حديث السدي) * قال فسأل يحيى عن نكاحها فقالت أو شاهما لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه وعدت حين جلس الملك على شرابه فالبسته ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها والبستها من الحلي شيئا لا قيمة له من غاية حسنه وألبسته فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وان تمرض له فان راودها عن نفسها بعد ما تسقيه فلا تمكنه ويكون الذي تسأله أن تأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتمرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غيره فلما أبت عليه بعث

سعيدا مرحوما ففعل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فانتهيت من مناجاتي متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام شعرا

جنازة وليس معهم أحد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه ودفناه في لحده وانصرف عنه من كان معه ثم مكثت الى هلال عند قبره فلما كبر أربعا سمعت قائلا يقول اللهم ان هذا كان يحبك وكان مطيعا لك وأنت أرحم بعبدك منا فاغفر له فنزل من السماء فقيل قبل ونزل اسعد هذا الله وقال لصاحبه ما كتبه من أهل النار فانه جاء بحسنة سلمت من العاصي والاوزار فقال الله سلم يا أخي لا تجعل عليه واغتنم عيشه فقال قد اغتنمت ثم ما فوجدتم ما عملوا أتين بالنار الى معاوم الله تعالى قال فانشمر عنه فقال اغتنمت فوجدته عملوا بمصباح الفرائض والتكرار قال اغتنمت لسانه قال اغتنمت فوجدته عملوا بأنا وضعنا وارتكاب المحرمات قال فاغتنمت يديه فقال اغتنمت ما فوجدتم ما عملوا أتين بشاول الا رأيتم ولا أجعل من الالات والشهوات قال فاغتنمت رجليه فقال اغتنمت ما فوجدتم ما فيه سعي الخلاص والامور المذمومات فقال الآن يا أخي لا تجعل عليه ودعني أنزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخي فتشت قلبه فوجدته مملوا بالايمان فاكتبه

الى يحيى فاتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انم لا تقتل لك قتيلا أسيء الملك واذا دم يحيى يغلى فامر بالتراب فالقى عليه فرق الدم فوق التراب يغلى فالقى عليه أرطالا وارتفع الدم فوق كل شىء يغلى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ بخت نصر ما يصنع ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان رآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يلقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فرجعت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغنى أنك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتكف عن أمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا بنادلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصيحة بحجفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة قتلته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه السلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد ملك بابل قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجز وا من تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أسجنه صاحب السجن واعجب به لما رأى من حسن سمته وهديه فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال علىّ به وكان لا يقعد بين يديه أحد الا سجد له فاتى به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا اسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده واجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا مما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من خزف ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع منادیا ينادى اضربوا جذعه لتفرق السباع من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها وترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت أفضل الملوك واما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك عال من بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فانه يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فانهم ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء ودر باحتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويرد الله طائرا نسرا عظيما فيملك الطير ثم يرد الله ثورا فيملك الدواب ثم يرد الله أسدا فيملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما

ما

ما رأيت من أن أصلها قائم فان ما كان قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد
اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه مزق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل
الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه توبة فقالوا فما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها
أكرموه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده
المجوس على ذلك فوشوا به وباصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك
فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فامرهم بالخدود ونفقدهم والقوافيهم سنة
وألقى معهم سبع ضار ليأكلهم ثم قال لحفاظه والخدم أكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم
جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء فوجدوا معهم رجلا رابعا
فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا لما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فرجع اليهم السابع وكان ملكا من
الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته وردعليه
ملكه قال السدي فما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فسدهم المجوس أيضا وشوا
بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فعمل لهم بختنصر
طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال انا
بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرني قديس الله من دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد
البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يصيح بثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال
كذبت ان بختنصر أمرني ان أقتل كل من خرج أولا ثم ضربه فقتله * (وأما) * محمد بن اسحق فانه قال في
هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك انه قال بلغني والله أعلم انه لما أراد الله هلاك بختنصر قال ان كان في بني
اسرائيل أراكم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا له هذا بيت الله
تعالى ومسجده من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا الله تعالى عليهم
عدوهم بذنوبهم قال فانظر وني ما الذي يطلع بي الى السماء واطلع عليها فاقتل من فيها فاوثقوه حتى اذا
فرغت من الارض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله
تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه قدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى
عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت الذي لا امتنع من أهله اذا أنامت
فشقوا رأسي فانظروا ما الذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة قد عاشت دماغه فيرى الله العباد
قدرته وسلطانه ونبي الله تعالى من كان بقي في يده من بني اسرائيل ورجعهم وردهم الى بلادهم والشام فبنوا
فيها وعمروا وكثروا واستقاموا على أحسن ما كانوا عليه يعرفون ان الله أسيا المؤمنين الذين قتلوا وعفوا لهم ثم
انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أسرى التوراة فلم يبق معهم عهد من الله قد الله توراتهم وردها
اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أربعا وخمسين سنة ملك منها
ثمانية عشر سنة وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه ملسلاس وكان آتيا بيت المقدس التي بناها بختنصر ببابل عنده
وكان يحبها بطوم الخمار ويشرب فيها الخمر وأمسى دانيال فلم يقبل منها فاعتزل الى فيها فسلاس فامره
ان يوما اثبت له كفه معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف شهد عليه ثم غاب عجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هي
فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله ان يقرأه ذلك الكتاب ويخبره تأويله فقال دانيال باسم الله الرحمن
الرحيم وزن ثقيل وعد فاعجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فانه أي وزن عملك في الميزان فخف ووجد فاعجز
أي وعد ملكك بالخراب فانجز اليوم وجمع ففرق أي جمع للتداول من بابك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا
يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعضع ملكهم وبقي دانيال عليه السلام يراوض
أهل بابل الى ان مات بالسوس والله أعلم * (خبر وفاة دانيال عليه السلام) *

الى أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو

فلما أصبحوا وأذا بشيخ تقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له أخبرني وأشفني
من هذا النعمان فقال الشيخ اني ضعيف وهذا أقصى ما عندي ولكن أسرع في الهرب فاعمل الله تعالى يغفر لك من يحمل منه فتوزن هاربا حتى صعدت على شرف من شرافات القلعة وأشرفت على طبقات النيران والنعمان في طلبي فكدت أن أسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار يا عز يا وجيع الست من أهلها فلما سمعت قوله ذلك رجعت الى الشيخ فقلت له يا شيخ استغفر الله بل واصبر على ذلك فأبيت ان تبرني من هذا النعمان فسلم لي فسرني قال فقبل وقال يا مالك اما بلغك ان الله تعالى ينعم على هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى أن يكون لك فيها رد بضاعة تسترد وتجبر من عدوك وهو أقوى مني قال فانطلقت حتى أتيت الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مغورة وستور معلقة على كل كوة من ذلك من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادي ارفعوا الستور وأشرفوا كلكم فلعل أن يكون لهذا الباغي فيكم وديعة

فجيء من عندي فقال ما لك قم فاستر وأشرف فأشرفت فالقى على وجهه كالاقة او قصار فصار وجهه على بعد

موسى ملكها سابور واستولى على المدينة فغنم مافيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ مافيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على فمها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعري لاهل السوس مافي هذه الخزانة قالوا أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من ساجتك فقال لابد لي ان أعلم مافيها فقصدوا بابها حتى أنظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بجسر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فارسلنا اليهم رسلنا ذاهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقي به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأي ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وماله قال فاقام أبو موسى الاشعري بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عندهم منهم علم فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس ان يكفنوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له فوسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ) رضي الله عنه فهذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر الذي جاء في التفسير الآن رواية من يروي ان بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قائلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قائلهم شعياء وفي عهد أرميا عليه السلام وهي الوقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني يختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى من ذكر بالأربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من الان تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمر انه في عهد كرب بن حزيو بن شير بن أصهيل بابل من قبل جم من اسفنديار بن يستأسف سبعين سنة ثم من بعد عمر انه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته عشرة وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعادوا اليها ملكها بعد خراب بختنصر اياها وسبيهم منها فعملوا بعدون الاحداث بعد ملك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فعزيقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فملك زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنو رازادان صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بالهتهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا اني لا أجد أحدا أقتله فاسرع ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنو رازادان دخل بيت المقدس فاقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم

www.alkottob.com

وهو يقول يا كريم العفو قد سألت القديم فان فيه على العهد القديم قال فقطع رقبتي

منه فقالوا هذا دم قربان ترك بناء فلم يقبل منا فذلك هو يعلى كما تراه وقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا الا هذا قال ما صدقتموني اخبروني فقالوا له لو كان أول دم منا القبل منا ولكنه قد تقطعت منا الملوك والانبياء والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنو رازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يرتد الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحوهم على الدم فلم يرتد فلما رأى بنو رازادان الدم لا يرتد قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل أصدقوني قبل أن أفنيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم في الارض تعملون فيها ما شئتم أصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا انثى ولا ذكر الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنو رازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا بنتقم منكم ربكم فلما رأى بنو رازادان انهم مسدودة خرجا عبدا وقال لمن حوله اغلقوا أبواب المدينة واقتلوا كل من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنو رازادان مخزون صدوق ومخزون بالعبرانية هدايت الايمان ثم ان بنو رازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فامرهم بحفر واحد قائم أمر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وأمر بقتل الذين كانوا قاتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا موقوفين فلم يظن كردوس الا أن ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنو رازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآية فكانت الوقعة الاولى لجالوت حين نصره جنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الثانية والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا رايته وانتقل عن الشام وتوارثها الى الروم والى ونانيا قال ابن اسحاق ان تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا ما استودعهم الله عليهم بلطوس بن اسبانوس فغربهم من بلادهم وطردهم عنها وتزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فلبثوا في أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والمسكنة يهربون ويتفرقون حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به من آمن منهم وكفر به من كفر منهم رضي الله عنه فعمره المأمون بامره والله أعلم *(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)*

قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد وعبيد بن عمير هو أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي اختاره وأبى في القرية التي مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان بخت نصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى نظر الوحوش فلما رأى ذلك بخت نصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل انزل ارمياء على حماره ومعه صبيه عنب في زكوة وسلة تين حتى نزل ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال اني بحق هذه الله بعد موتها تعمر بما أرميا حماره بعد يديه وانى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأحيى الله منه العيون فلم ير شيئا من ذلك فحيي وهنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ما كان في ملك من ملوك فارس عظيم

يحوت وأنا الا أمالي ثم ألحم على نفخت منه وقلت له مهلا حتى نتام هذا الحي فأخذه من بحري ورمى به في البحر فلما رأيت حراته وما فعل بالحوت

فقصدت نحوه فاذا هي امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقلت لها أسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذي عليك عليه مقيم فقالت ياهذا لولا أقسمت على بالجبار ما أطلعتك على الاسرار أنظر الى هذا الحي الذي بين يدي فنظرت فاذا بحصى يغط في نومه ويهمهم كالثور فقلت خبريني عن بلدي وأنا ما له فانه لا يحج هذا البيت مركب البحر في سفينة وسرنا فيها ما شاء الله من كذا وكذا ليلة حتى جرت علينا ريح وكسرت المركب فغرق ركابها فغبرت على لوح فيها ما شاء الله ثم ألقاني الى جزيرة فاذا أنا بهذا الحي فوثب علي فاكلني وهو نائم فبينما هو في بحري اذا رجل ملاح من رجاله السفينة قد وصل الي وسألني عن ذلك اللوح فقال والله ما زلت أهوال وأنا في السفينة وقد سألت معلمي الآن فكنني من نفسه والا رميتك في البحر فقلت له بالله أن تعلمني ما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رأيت ذلك مرارا عديدة

يقال له ويلك فقال له ان الله أمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضه سماحتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر بعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك ان تحيي فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فضويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المبارك ان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أباعزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما تجاوز عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام وانظر الى الرمة في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراده بقيام حماره كما قدمناذكره كذلك قوله تعالى وانجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فانكر الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمته فخرج عنهم عزير وهي بنت عشر سنين وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فما رأيت كذا وكذا سنة أحد ذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير وكان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا به ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير وقد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا الله ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي

---

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ) كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اه مصححه

www.alkottob.com

على ما أتاني وعاهدته ان لا أبرح من بيته ولا آله وعن عبده وما سألته بعد ذلك شيئا الا أعطاني ﴿ (ب ٠) ﴾ باب قال فحدثني أبي عن أحمد بن حنبل قال

وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأتوا اليه فقال ابنه كانت لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

(باب في ذكر غمام قصة عزير عليه السلام وسلة بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهوا رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وبعد ما نسخ التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر على أهلها فهم أن يسوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليهم ما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرفوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدي) وابن عباس في رواية عطاء قالت اليهود هذا الان العمالقة ظهر واعليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها وطفق عزير يأتي الجبال والوحوش ويجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد ويجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العين فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من ثلاثة القبور وهي تبكي وتقول يا مطعماها يا مكسياه فقال لها عزير ما لك هذه آتى الله واسبري واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها وما جعلك من كان بطعامك وبسقائك ويكفل قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال كان الله عز وجل لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قال فلم تبق عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله عز وجل لا يموت فلما علم عزير انه قد خصم ولي مدبرا فقالت له يا عزير اني لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع للنبي صلى الله عليه وسلم عينان وتنبت شجرة فتكل من ثلاث الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ يسألك شيئا فما أعطاك فهو منه فلما أصبح نبعت العين في صلاته ونبتت شجرة فعل ما أمرته به فاذا شيخ وقال له اذن قال ففتح فاه فألقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فاغتسل فيها حتى تبلغ أعلاك قال فدخل وجعل لا يرفع قدما الا زيد في علمه فجمع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا قبل هذا فاقرأ لنا التوراة فأخذ يقرأ عليهم حتى كتب التوراة كلها من ظهر قلبه فلما رجعت اليهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء سنوا ما كتبهم التي دفنوها وقابلوها بالتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير إذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر انه قد قرأ التوراة فلما مات عائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فاملأ علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقدر التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا لأنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

(مجلس في ذكر غزوة تعتصر العرب وقصة يوحنا وشراب سحور)

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام

فقلت أعز أسدي حسا وكرامة فقال ما ولدي فديتك من عمري ثلاثة أيام وأموت على تجديد الاسلام فاذا أنا مت فضعني في تابوت بثياب واغسل

www.alkottob.com

ابن محمد الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطيلسان كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن اثث بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلال لبيوتهم ولا أبواب ولا بناء بأبلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بى واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما أوحى الله اليه ونص عليه ما أمره به وذلك فى زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا أنى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تقوم به منهم فعليك بعد بن عدنان الذى من ولده النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه فى آخر الزمان واختمه به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فالقى عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد وأهله وبعثذا ثنا عشرة سنة فحمله يوحنا على العراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ورتب بختنصر على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم دير اعلى نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا وكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فى من يليهم من العرب فرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوسنا فقال ان خروجهم البلد من بلادهم قبل نهوضك اليهم ورجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى منادمن جوف السماء يا نار ات الانبياء فاخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليها المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغهم من غزو العرب وابقى الا نفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة ونالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنباء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وهيج الانبياء معه

(مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخشاوى لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرنى) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخشاوى عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله

www.alkottob.com

فاصبح والله قد ألبسه الحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم أنه ان فعل بى أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فبالحرى أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة فتنته الدنيا ولا يصيب ملك الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط لها ما اشترط لقمان فهوى بالخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

«(باب فى ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة فى القرآن)»

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينورى عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده فقال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشئ من ثمره فجاؤا وليس معهم شئ وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقنى واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلنعد ففعل فجعلوا يتقيؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقيأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يفجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اجمع لهم كراسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أى شئ تخاطرونى قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال له ائتنى باطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شئ أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتنى باخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتينى باطيب مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب وأمرتك أن تأتينى باخبثها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وتركى ما لا يعنينى (أخبرنى) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالمطر للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه فى الطريق فقال له ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشى قال ما فعلت أختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع ظهرى (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش (وروى) المحاربى عن سفيان الثورى قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بنى كيف لا تخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون يا بنى خذ من الدنيا بلاغك ولا تدخل فيها دخولا تضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بنى لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء وتمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم

وتسقى اما أقول لك قلت نعم فقال يا والدى بقى من عمرى ثلاثة أيام وأموت على دين الاسلام فاذا مت فضعنى فى تابوت ثم الى البلاد واخرج بى الى المكان القفر الذى فيه تابوتا موضوعا فضع تابوتى بجانبه وشد التابوت الذى به الذوائب مربوط الى البكرة وهذا كان يجب عليك أن تفعله معى فانه [illegible] صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة أيام مرض الوجيه [illegible] بالفروج وتعلق بالشهادتين ومات [illegible] فعلت ما أوصى به وأتيت الى الموضع [illegible] بالأخرى [illegible] فيما ذلك التابوت الذى [illegible] تابوت الشيخ [illegible] ذلك التابوت الى الزاوية وأخبرت [illegible] التابوت [illegible] [illegible] من الطائر [illegible] [illegible] والتقرب [illegible] ودفناه فى الزاوية وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهذا [illegible] نسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ به من مكره وغضبه وعقابه يا رب حسن تجلى سبيل الهدى

[illegible] لا [illegible] فكونه [illegible] كصالح قد [illegible] [illegible] بالله [illegible]

زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فان كنت عالما ينفعك علمك وان تزيدك علما وان تكن مسيئا أهلا يعلموك ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتعلك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فان كنت عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدك جهلا ولعل الله يطلع عليهم بالعقوبة فتعلك معهم يا بني لا تضع يدك الا عند داعية كاليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني كن عبد الاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يا بني كن أمينا تكن غنيا ولا تؤاخ الناس بالتملق فيما لا تشتهي الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيعتلوك سيدهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تجزهم فيما وك يا بني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي وتزري بالعقل يا بني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في عمل يمكنك فيه القعود واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسرح ابدأ بعلفها قبل نفسك وبالك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بني لا تغترن من الامور صغارها ولا تستصغرن الصغار فتصير كبارا يا بني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك ويهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا صدقت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأطهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء وقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في أهلك ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة من الله عز وجل يا بني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ثم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أتم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الخزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة غير أنه كتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك فمسكها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا انك اماما منا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير انما اتبع حظا نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته

فاعمل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فانتهت به فبرز بلوقيا يريد دخول بلاد الشام فبينما هو يسير اذا هو بحيّة على جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيّتين كلتاهما تقول الاولى منهما وفي العاوية اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فلما رأيته قال له أيها الخالق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقال من ما اسرائيل قال من ولد آدم فقال سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أين فقال نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حر هاتي الصيف وشدة البرد من برد ها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سراداق من سراداقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن قلن ان في جهنم حيات تدخل احداناتي أنفاسها احداهن وتخرج من فمها ولا تشعر بها العامها قال فسار بلوقيا عليه ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كامثال الجزوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا تفتحت سرت تحت الارض بمن فيها قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني أيتها الحية من أنت قالت أنا من وكلنا بالحيات واسمي غاطول ولولا اني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخان تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان ثبت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فاتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته يبلغونه بضعة عشر قرنا ومنون ثم قال عفان الخير يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها غاطول فان قدرت ان أصيدها رجوت ان أنال معها ملكا عظيما وتحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فيدخل في دينه ان جرى يا بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريد الملك فقام عفان وأخذ ناووسا من حديد وحمل فيه قدحين من فضة في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سار اليها حتى انتهى الى موضع الحية ففتح باب التابوت وتحيا فاذا هي الحية ذات الرأسين فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ورد الى التابوت ما بقي فيه فاغلق عليها باب التابوت وحمله وأخذها وسار بها حتى لم ير اثر شجرة ولا نبات الا كامها فبالله تعالى الذي خلقك يا شجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني ويدخرني بعصر مائي ودهني يصلي به قدميه فانه يعوض البحار السبعة فلا تبقى قدماه ولا يغرق فقال عفان بالله طلبت ثم ان عفان قطع الشجرة فدقها وعصر ماءها واخرج دهنها وجعله في كوز ثم سار حتى انتهى الى بحر الظلمة وهو البحر الذي بين السماء والارض وهي تقول يا بني آدم ما أسرأكم على ربكم وان تعالوا الى ما تريدون الى الملك فذهب عفان بلوقيا الى البحر فلما أقدمهما ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فلما أهما بالبحر الثالث اذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتد ان نرابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على يسرى والشمال على يمينه كالنائم وليس بنائم وهو مبتسم على رأسه تنين واضع يده بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في زمانه وكان في أصابعه من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه سطر أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه وقد أمرنا الملك ونرجو اذا ان نأتيه بخاتم سليمان فقال بلوقيا ان سليمان بن داود نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لاحد فقال عفان يا بلوقيا لكن ان الله سخر له اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك ان علمت ما اسم الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فتكلم الثنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل فخفات التنين فيهما شيأ وداعفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالتنين

فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات والاذان واتباع الشيطان ذلك العهد الذي بيني

خالف منه يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه وتقارا لي ثم غشي عليه

فلما أفاق قلت له يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله ففعل

كما فعل أولا فقلت له يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها الا مستكرها

ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك فقال

منصور ففتح عينيه وتقارا لي وقال يا أخي

يا ناصر وكلمة حسن بيني وبينها ما قلت

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت يا أخي

فان الله تعالى العبادة

والصيام والزكاة

والدعاء قال كل ذلك

كان غير الله تعالى وانا

كنت أفعل ذلك رياء

الناس وسمعتني يقال

لي واذكر به وكنت

اذا خلوت بنفسي

أغلقت الابواب أو خيمت

الستور وشربت الخمر

وبارزت مسولاي

بالمعاصي وكنت على

ذلك مدة من الزمان

فاصابني مرض أشرفت

منه على الموت فقلت

لابنتي هذه ناولني

المصحف فناولته اياه

فتحت أول سورة

يس فسرحت

المصحف وقلت اللهم

بحق هذه السورة

الشريفة وبحق ما في

هذا المصحف من كلامك

القديم وأن تعافيني

وتفرج عني وأنا لا أعود

الى معصيتك أبدا قال

ففرج الله عني وعافاني

من الزمان فوقعت فى مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط

الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة فارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحر وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب ملحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ولمع التنين فخرج من بطنه مشعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفقته فى البحر فما مرت النفخة بشئ الا أحرقته ولا بماء الا صفقته وأغاث بلوقيا ما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت رحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا على قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فسار ومضى ستة أشهر ووقع فى السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة مالك يا ابن آدم لا تأخذ منى شيأ فبقى متعجبا واذا بهذه الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أمامطوا به وأهدفوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا من منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقالوا ما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فالذى أوقعنا اليوم قال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا للملك الجن وكان اسمه صخرايا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه غليت فاما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وغليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فبات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما ان يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم ان تزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا واحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكننى أتمثل فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه وأركبه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هنالك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله واشدد فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فناولاه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انتقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا يا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له

بلوقيا

www.alkottob.com

بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحابيل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يدي اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل لماتت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا و بين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال عنايل قال فما بالي أرى عينك في السماء وشمالك في الماء قال أحرس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لرشرشت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها و يدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في الصيف يعم اسمي الهامة ولو أرسلتها لنفخت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بار بعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة لئلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فانه يقول اللهم ارحم الطير وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الاسد فانه يقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف و برد الشتاء واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى سبسل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف مرصع بالدنا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد رسول الله أرى أثره ولا أدري بأي بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي حرقيائيل قال وما تصنع هنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفي يدي مرزبة يعمد وهي جبل وعرق الارض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا أراد الله ان يزيغ على عباده أمرني ان أحرك الوتر فأعقده وأوثق عرق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا أراد الله ان يوسع عليهم أمرني ان أرخي الوتر فأفك عرق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخرب قوما أمرني أن أحرك عرق تلك الارض من أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ما وراء قاف قال وراءه أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب وفضة وفيها خلق من نور وكان الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أمروا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب ورا ها لم يطلع الله عليها أحدا قال بلوقيا أيها الملك على أي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور واسمهم موب وهو أبيض رأسه بالمشرق ورجله بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لله تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون كم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فبهم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان

كلفتموه سليت عليه ودفنته ثم غبت فرأيته في المنام على سرير من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل باللآلئ وهو في زينة عظيمة فقلت له

بسودان كانت صوامة فواهة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله

*(وحكي عن منصور بن عمار أنه رضي الله تعالى عنه قال) * رأيت شابا في بعض الايام يصلي صلاة طائشة فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له يا شاب ألم تعلم ان في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر ميتا على فاه فأقول قال زاد في بعض نسخ منصور يا رسول الله فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال الشاب يا منصور بعد ما علمت ذلك فكيف تنام عن ثيابك لا غسل فرجعت على صدر مكتوب بالقلم الغابر فهو في جنة عالية فطوبى لها ثم قال منصور فغسلته

www.alkottob.com

أحدهما رأسه كرأس النور والآخر رأسه كرأس الكبش وبينه كبعد الثور وهما يقولان لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم فقالا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا لي الباب حتى أجوز فقالا لا يحسن فتحه وإن الله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه فقال فإنس الله تعالى جبريل فنزل إليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى إلى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النمل ومعه ملائكة على تلك الصور وسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الأحمر قالوا هذا كنز الله في الأرض فكل ذهب يظهر في الأرض من هذا الجبل الأحمر وكل ما في الدنيا من ما معذب أو ملح إنما هو من ماء هذين البحرين وماؤها إنما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الأبيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى بحر عظيم فإذا هو بحيتان كبيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم بقضي بين الحيتان فلما انفتل إلى بلوقيا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج بطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا إن لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم إن شاء الله تعالى ثم إنه قال أيتها الحيتان إني بائع عطشان وما هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الأعظم يا بلوقيا ما أطعمك طعاما إذا أكلته تسير أربعين سنة لا تجوع ولا تعطش فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فإذا هو بآخر يمر على الماء مشيه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فإذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله لما وقفت علي فوقف وقال لبلوقيا لماذا تسعطني قال خشيت أن تفوتوني مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الأول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وأنا أمرت أن أسوقها إلى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم إن في جهنم من الحيات ما تبتلع هذه الحية في أنبوب واحد هن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى إلى جزيرة أخرى فإذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فأتاهما هنا وأنا عند قبريهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر وافر فسار أسبوعا من ذهب وعينا من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ وبداه من زعفران وقوائمه من زمرد وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وإن الله تعالى قد بعثني إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وإني كنت معه حين لقي حواء وأباح الله له الأكل وأنا ههنا من أذن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر إذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فإذا بطاقة على الثياب الحشيش تحتو

فعل الله بك فقال غفر لي وأعطاني
أنا قتلت بمحبة العزيز
غفار رضي الله تعالى
نسه ونفعنا والمسلمين
بركاته *(وحكي عن
ضهم رضي الله تعالى
نه قال)* كان في
ريم الزمان رجلان
حدهما عابد والآخر
اسق وكانا أخوين
قيقين فكان العابد
قسى ان يرى ابليس
منه الله في سحراته فتمثل
يوما من الايام وقال له
بلان أسألك عن شيء
ترك في اتعاب نفسك
وهو أربعون سنة وقد
ق من عمرك مثل
امضى فانطلق الى
هوات نفسك ولذاتها
شرين سنة وتب بعد
لك وعد الى العبادة
لعشرين الاخرى فان
له تعالى غفور رحيم
قال العابد اني لا أزال
ي أخي في أسفل النار
وافقه على اللهو واللعب
الشهوات واللذات
شرين سنة ثم أتوب بعد
لك واعبد الله تعالى
مشرين الاخرى ولم
عرف ان ذلك مكيدة
ن ابليس لعنه الله تعالى
قال أخوه المسرف على
نفسه قد افنيت عمري
المعاصي فأنى يدخل
جنة وانا أدخل النار
الله لاقومن ولاصعدن
ي أخي وأوافقه على
طاعته والعبادة باقي
ري لعل الله تعالى أن يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزالت رجل العابد فوقع

قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا ما الت غيبتي وأريد الرجوع الى أهلي فقال الخضر فما بيني وبين أهلك مسيرة خمسمائة عام وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائران كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فأنا أريد البها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال افتح عينيك ففتحهما فاذا هو بالبيت عند أهله فسألها عن حالها فقالت طير أبيض يطير بيننا وبين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البر والبحر والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

(باب في نسبه وألقابه)

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بارمروس بن مرمرس بن هردوس بن منادون بن روحين بن لابن ابن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء ان الاسكندر هو أشود بن داود وذلك ان دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فرجد دارا لحظة كريهة فأمر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها اسفندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فذهب ذلك كثير أمن نفسها ومن عرفها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عند ذلك بنتها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكني بذي القرنين وانما لقب بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تاويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان من شعر والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو ثالثهما وقيل لانه كان اذا ضرب قاتل بضربه ورأسه جميعا وقيل لانه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

(باب في قصة ذكر بدو أمره وسبب استكماله)

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا فالروم كلهم يقولون ان الاسكندر أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أشود دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس ستين ومائة قنطار ذهبا فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا همة عتت وقوته فلم تنزل ملوك الروم فقهرهم واستولى على ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فلقيه فرجع فأتى بغلال من نقد القرفاستعمى على دار الاصغر ملك فارس فلم يمنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه ومن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا تضمنا الخراج والاتاوة من نفسه ومن ملك الروم فما بلغه الاسكندر الى قد ذبحت تلك البهائم التي كانت تبعث ذلك اليه وأكلت لحومها فلما وصل اليه الكتاب بذلك حفظ عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه من حمل الخراج اليه ويبعث اليه بصولجان وكرة ونميزي سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك سميتني وانه ينبغي للغلمان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتقلب به ولا تستعمي والا بعثت اليك من يأتي بك في وثاق ولو كانت جنود لك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك اني فهمت ما كتبت به نظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بالارض واني محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأشتت بلادك الى بلادي واني نظرت الى السمسم الذي بعثته الي

كتفارى الى السودان والكرة بعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب اعما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا ان دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وناهب محاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا أهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان فما بلى الظهر واقتتلا أشد القتال وسارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صديقه فطعناه فاردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الخلوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى ان لمن جاء بدارا أسيرا ولا يقتل فاشتبه بشأن دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتاله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به نقاته ثم قال له سلنى حوائجك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين اسعدهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

(باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا وقسمته الى البلاد والاقاليم)

قالت العلماء بأخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض اصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بأرض بابل لزوجته سمرو شنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فاوصح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه مصعبا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وان باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى عند مطلعها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فامة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحذائها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد نبأتنى أمرا عظيما لا يقدر عليه الا أنت فاخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وجبلة أكاثرهم وبأى حيلة أعالجهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى علم أسايرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأى يد أصلو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أؤلفهم وليس عندى بالهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك صدرك وسدد لك فتسمع وتعى كل شئ وأشرح لك ذهنك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل

يضيف *ويأتى به السيد المليح يعصى الهالى بجلال *وهو به واسع رؤف ومن خلفه سطران

يوما كل يوم بما أشد بعضي ويذهب الاطيبني ويمضي نفس كأني عن المعاصي وتوبتي ما المعاصي بقتلي الانام فرضي

شيء وأنتم لا تبصرون فتشهد كل شيء وأحصى لك فوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك معبدك فلا يغلبك شيء وأشد لك ركنك فلا يفلت شيء وأشد لك قابك فلا ينزع عنك شيء وأشد لك يدك فتسطو على كل شيء وأشد لك وهمك أن تدرك كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأحضرك النور والعلامة وأجعلهما بينك وبين جنود إبليس النور أمامك والظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك قيل له ذلك نفسه بالنور والظلمة فوجد النور هاديا والظلمة مضلة فلما علم ذلك لا يبصر من ظاعة الله تعالى شيئا ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن يبنوه بالذهب والفضة قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكسوها التراب حتى يستوي الكل مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعوه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبريت وجعلتم خشبا من نحاس وودنا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تعملون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا وما ئتي ذراع وجعلتم بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيساومونه اليها فما قيمته من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأسرع المساكين ذلك التراب واستقر الستقر عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم نيفا وتسعين ألفا وأربعمائة ألف فنقص منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا سبعمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يوم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة ومن قرأها بالف من غير همز فمعناها حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حامية وسألته ما قرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتم يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فانطلقت الى عمر فأخبرته بما قال معاوية فقال كعب فما قال فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العرب فتقاسم أنها تغرب في ماء وطين وأما الشرق فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشد له ما تزدادبه نبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما أطيب كلامهم قال فما أنشدك أيضا قال أنشدني ما قالت الاوس والخزرج حين اجتمعوا عند السقيفة رجلا فقال اكتب ما يقول * ما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية وعندها أمة لا يطيقها الا الله تعالى ورأى أمة مختلفة وأهواء مختلفة وأهواء شتى فذلك قوله تعالى ومن ورائهم جهنم ما يعني ما بين يديه من الامم ذلك كاثرهم بالظلمة فضربهم ثلاث عساكر مع كل واحد منهم راية فأطاعهم جميعهم في كل مكان حتى بعثهم على كل واحد منهم أشد عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صده عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أبصارهم وأفئدتهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وعسكرهم ومن فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما رأوا ما صنع بهم ولوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا بها صرخوا بالسجود فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فهذا من أهل المغرب أعظم عظمة منهم جندا وأشدهم انطلاقا بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم يقودهم وهو يسير من ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمنى التي يقال لها هاويل وسخر الله قلبه وبصره وأيده وعصمه وتولاه فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق بقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو نهر انتهى أسفن من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في سفينة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك البيوت واذا بلغ البحار الاخر تركها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل بها كعمله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها

اللهو واللعب ثم توجها ومضى قال بشر فانتهت الى الجارية وأخبرتني بذلك فذهبت الى الباب سريعا فاذا بجنب الرجل قد مس جنبه

ومن بين يديه سطران وهما ثم الثمانية الذي لا رام
ثمن من طيب العلم الا لام
الا ما هذا لجاهل ثم موسيه تساوي الانام
وعمل كان مكتوبا هذان السطران
اعمل وانت بدني الا على رجل
واعلم بانك بعد الموت مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من عمل
يحصى عليك وما خلفت موروث
قال مالك فقلت له أنت
تحكم وأنت تسمع
فقال سمعت أبا
جعفر الباقر يقول
يجزون الجاهل ولا
يجزون العليم ثم ولى
ولم أر بعد الله تعالى
مثله * (وحكي عن بشر
الحافي رضي الله تعالى
عنه قال) * كنت في
مقدمة بلاد الديلم
ويلقبون ملوكهم
ويلقبون كل رجل
من الملوك على باب
داره وكنا لا
نمر بمدينة من
المدن الا وجدنا
الملك واقفا
على بابه
الا ملك الديلم
فانا لما دخلنا
بلاده رأينا
الملك جالسا
على باب
داره فقلنا له
ما لك جالسا
على بابك
فقال لنا بلغني
ان حق الله
تعالى ثقيل
لو كان عبدا لاحتمل
آداب العبودية وبلغني
ان حق الرجل قد مس جنبه جنبي

تطلع على قوم فعمل فيها وجنده ياجنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجنده جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك انهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكمنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج بناهم مرتفعا ليتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا لها هذه الظلام فقالوا لها هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فانوا ههنا قال فذهبوا هاربين فى الارض وقال الكلبى هم أمة قال لها مسلمة حفاة عراة عما عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرنى أنه حدثهم من القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لى ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومى وليلتى حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبى يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فتشبى على فوقعت فلما أفقت وهم يمسحون على بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلونى سربا لهم أنا وصاحبى فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج والله أعلم

(باب فى سلطنة ذى القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأنباء القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم فى أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التى فى وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق يمنون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما يمنون من نمائهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملؤن الارض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ مارأيناهم الا رأينا فيها توقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى أى قواى عليه خير من خراجكم فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتونى زبر الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتونى النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأى قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله فى الارض بياضا وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور والتى هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ فى عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نضح عليها الحديد ثم نضح الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان

فلما زال يمشى وأناخلفه الى نحو العصر حتى دخل مسجدا خربا فيه مريض فجلس عند رأسه وصار يلقنه الحطب

الحديد بعد لقمة وأنا أنظر اليه فتقمت لا أنظر ذلك المقدور ما هو فضربت احدى رجلي الى

الحديد حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برجه من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وشعره فساوره طويلا عظيما حسبنا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (قال متادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال له قد رأيته قال ان موضع السد وارمه ترد بشرب بين شرف الارض بينه وبين المغرب سبعة ثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد قد فرج فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف درهم وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزقه سنة وأمره أن يعمل الزاد والماء ويخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك الان وكتب له ملك الان الى الازالي ملك الذي في بلاد شاماك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة المنتنة فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم ثم سار وا في مدن خراب عشرين يوما سألوا عن تلك المدن فقيل لهم قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فلما رأوهم ساروا الى صوت بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لترجمان هؤلاء القوم فلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين فانا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أوشاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم طافوهم وساروا الى جبل أحمر ليس عليه مشرعة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائتا فرسخ وحوله ذراعا وعلى كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا بينهما بلبن من حديد مركبة في عمق خمسين ذراعا واذا قد سد حديد طرفاه على عضادتين طول كل واحدة مائة وعشرون ذراعا وركب على العضادتين كل واحدة قرنا عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك الباب الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاع سمك السد فوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضها الى بعض متلاصقة كل واحدة قد ساميتها فاذا بابها مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا فلقة حديد وهما على محور الدر بندوعلى الباب مقفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسون ذراعا وفوق القفل مدار خمسة أذرع حلق وعلى الحلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع على استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة الضيق وعرض جنبة الباب عشرة أذرع في طول مائتي ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع الملك وليس ثلاثمائة وخمسون تركب كل جمعة في عشرة نواس مع كل فارس منها سبعون حديدة وزن كل واحدة مائتا منّ بالمن الذي بالرز بالمن كل يوم ثلاث ضربات يسمع من وراء الباب الصوت جملوا ان هذه الامة قليلة ويعلم هؤلاء أن أكثر الناس هم في الجبل حتى اذا فاذا خرجوا أصغوا اليها بآذانهم فيسمعون من داخل دربار بالقرب من هذا الجبل من وراء هذا السد عشرة فراسخ في مسيرة مائة يوم لان عرض الباب عشرة أذرع وهذا السد من أوله الى آخره مائتا ذراع وعلى باب هذين السدين مدينتان وبين المدينتين ما عين عذب في أحدهما فحص ان الذين بنوا السد من قدر الحديد ومقادير من سد بدونها الى بعض المدن الحديد قد انزل بعض بعض من السد ذراع والبنية ذراع ونصف في عرض شبر وسألوا هل وراء ذلك أحد من أهل بابل وما يوجد ما كروا أنهم رأوا أمامهم سدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم الى جانبهم وكان معهم دليل الرجل في رأي العين شبرا نفسها قال واما نصرفنا أخذنا بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا الى ماوقفنا الى القرية من موقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن قد زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي خمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى سرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد غيبة وعشرين شهرا والله أعلم

* (باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة) *

الحديد بعد لقمة وأنا أنظر اليه فتقمت لا أنظر ذلك المقدور ما هو فضربت احدى رجلي الى

الحديد حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برجه من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وشعره فساوره طويلا عظيما حسبنا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (قال متادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال له قد رأيته قال ان موضع السد وارمه ترد بشرب بين شرف الارض بينه وبين المغرب سبعة ثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد قد فرج فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف درهم وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزقه سنة وأمره أن يعمل الزاد والماء ويخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك الان وكتب له ملك الان الى الازالي ملك الذي في بلاد شاماك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة المنتنة فساروا تسعة وعشرين يوما سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم ثم سار وا في مدن خراب عشرين يوما سألوا عن تلك المدن فقيل لهم قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فلما رأوهم ساروا الى صوت بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لترجمان هؤلاء القوم فلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين فانا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أوشاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم طافوهم وساروا الى جبل أحمر ليس عليه مشرعة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائتا فرسخ وحوله ذراعا وعلى كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا بينهما بلبن من حديد مركبة في عمق خمسين ذراعا واذا قد سد حديد طرفاه على عضادتين طول كل واحدة مائة وعشرون ذراعا وركب على العضادتين كل واحدة قرنا عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك الباب الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاع سمك السد فوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضها الى بعض متلاصقة كل واحدة قد ساميتها فاذا بابها مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا فلقة حديد وهما على محور الدر بندوعلى الباب مقفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسون ذراعا وفوق القفل مدار خمسة أذرع حلق وعلى الحلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع على استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة الضيق وعرض جنبة الباب عشرة أذرع في طول مائتي ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع الملك وليس ثلاثمائة وخمسون تركب كل جمعة في عشرة نواس مع كل فارس منها سبعون حديدة وزن كل واحدة مائتا منّ بالمن الذي بالرز بالمن كل يوم ثلاث ضربات يسمع من وراء الباب الصوت جملوا ان هذه الامة قليلة ويعلم هؤلاء أن أكثر الناس هم في الجبل حتى اذا فاذا خرجوا أصغوا اليها بآذانهم فيسمعون من داخل دربار بالقرب من هذا الجبل من وراء هذا السد عشرة فراسخ في مسيرة مائة يوم لان عرض الباب عشرة أذرع وهذا السد من أوله الى آخره مائتا ذراع وعلى باب هذين السدين مدينتان وبين المدينتين ما عين عذب في أحدهما فحص ان الذين بنوا السد من قدر الحديد ومقادير من سد بدونها الى بعض المدن الحديد قد انزل بعض بعض من السد ذراع والبنية ذراع ونصف في عرض شبر وسألوا هل وراء ذلك أحد من أهل بابل وما يوجد ما كروا أنهم رأوا أمامهم سدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم الى جانبهم وكان معهم دليل الرجل في رأي العين شبرا نفسها قال واما نصرفنا أخذنا بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا الى ماوقفنا الى القرية من موقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن قد زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي خمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى سرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد غيبة وعشرين شهرا والله أعلم

* (باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة) *

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة فسمر فائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربي حق عبادته فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عبادا في الارض تسمى عين الحياة فمن الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نحدث في السماء أن لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة وقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الحياة فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والموالي ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا نطأها فانا نخاف أن ينفتح علينا أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد لم يسعنا الا تبعدك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكاري قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى ابكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمه في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له سيبت بصيكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين ما صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب موضعها فانتهى اليها فاذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ وليس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى سوطها وان أصحابه ركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء ورملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبني في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كنت ما رأيتك حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر في الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل

كثرت شهادة الزور وفي الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك فضرق فزعا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سلي قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى شئه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا مطرق محدود اليه صور رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وأنا منتظر أمر ربي بما مرني أن انفخ في الصور ثم ان صاحب الصور رأى شيأ من بين يديه كأنه بحر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شيئ وان باع هذا بعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى اتى الى أصحابه فحدثهم بامر الطائر وما قاله له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال أخبروني ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور قال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شيئ وان باع جمعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال الملك ما بالك يا ذا القرنين لم تزل تضع حجرا بعد حجر حتى وضعت ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال العلماء فقام علماء دون هذا لا نعرف أصحو هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم ما هذا فاشترعا عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فقرب العلماء سجد الله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغنا علمه ما رأينا قط ولا سمعنا بمثله ألف حجر فلما استقل به قال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانما ابتلاك في بلدك بهذا الحجر فقال ذو القرنين صدقت فاخبرني ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه الله لصاحب الصور وان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فاعمل فيها ما شئت من سلطان الله ما لم يبلغ أجلك فاذا بلغ أجلك جاء ملك الموت فقبض نفسك فلا تشبع وأنت نفسك شره حتى بلغت من سلطان الله ما لم يبلغه انس ولا جان فهذا مثل ضربه الله لصاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ عينه الا التراب يعني ذو القرنين ثم قال يا خضر فبقيت بأخبرني في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم ان ذا القرنين سار فمر بأرض اسماعيل اذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معك ما هو انتظروا فانظروا ما هذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين تحفروا منه فان من أخذ منكم ومن غيركم فهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما نزحوا من الغلة ونظروا واذا هو زبرجد فندم الآخذون والتوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخذ ذا القرنين لو نظر في وادي الزبرجد في بدء أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يرجع الى أهله وهو لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه نظر به وهو زاهد في الدنيا ثم انه رجع الى العراق وملك الروم لعلوائف كلها ومات في مدينة قبل وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى ذومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات فالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل ذا رافي أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فابى وانثار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فهلك قيصر طليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمقاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ونواحيه الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى ان خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

بي العرش العظيم فاقام على العبادة حتى مات رضي الله تعالى عنه (وحكى ان الحجاج بن يوسف الثقفي) بعثه الى رجل من أهل الخير والصلاح

قبره ثلاثة أيام ينتظرون ما يؤمرون به

الشيخ رحمه الله تعالى

عنهم فيتصلهم ذلك اذا

بالعالم الاخضر فوضع

قبورهم وارتفع غبار

كل من الفقراء يتمنى أن

يكون هو المؤسس به

فبينما هم منتظرون

الوعد الكريم وما كون

فيمن تفرد بالعز

العليم اذا بالبرق قد وقع

على رأس جبل هو

يكن يعلم له ذلك ولا

لاحد من المقبرة فقام

الفقراء وذهبوا الى

الزاوية وينزلون منزلة

الشيخ فبينما هم

كيف أسلم الله وأنا

ويصل رزق ولم

أكن أعرفه فبينما

الفقراء جلوس على ترابة

ويبصرون من الناس

معاملات فقال لهم الفقراء

هذا أمر من الله

ولا

ذو

الصالحين فقال

لهم جوهر فاذهب

حتى أمضي الى السوق

وأبيعه من جوهري فقال الناس

فاعطوه للملك فذهب

الى السوق ووقف على كل فتح

ق حتى وصل الى

الفقراء وهو في السوق

والزاوية والفقراء

وصار جوهرا كلهم

وله من الكرامات

والفضائل ما طول لذكره

فسبحان الملك الكريم

(مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد موسى بهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعبدون الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل فمنهم من يقتلون ومنهم من يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يوحنا بن آدن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن يلجان بن مسلم بن صديقة بن ناشور بن سلوم بن شفاط بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

(باب في ذكر مولد مريم عليها السلام ونبذ من خبرها)

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ياشهم بن أمون بن منشان بن حزقيل بن أحريف بن يوام بن عزازيا بن اميا بن ناوس بن توبا بن يارض بن يهوشافاط بن رام بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا بن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين اسم احداهما مشيعا بنت يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى حنة عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة لولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمته ونذرته وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررته ماني بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب انى نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيت المقدس مجاعلا مفرغا لعبادة الله وخدمته فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر بجعل المحرر والمحررة في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التحرير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسل هرون بيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان اذ كانت البنات لا تكفل ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما علمت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى وليست بصالحة للذي نذرت فوقعت بما في نفسها من ذلك فقال عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما رب انذاري الى الله تعالى يا رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة وكانوا يتوارثون العبادة فيها الرجل بعد الرجل والمرأة بعد المرأة فلما وضعتها مريم قالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما انذاري الى الله تعالى يا رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة وكانوا يتوارثون العبادة فيها الرجل بعد الرجل والمرأة بعد المرأة فلما وضعتها مريم عليها السلام أجل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها وأي أجيرها وأعيذ ذريتها منك بالله وقربتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله ابن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم يخلص اليهما منه شئ قال وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى

www.alkottob.com

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذي قدر على أن يرزق مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة تسلا نقيا صالحا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض فتفزع منه فنادا هو هو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحياه بعقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرني به الحسن بن فنويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ وكان شيخنا) أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الخشاري يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك اني مخرج منك عبدا لا يهم بمعصيتي اسمه يحيى فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصداقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أ تحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لها كذا تقولين هذا قالت اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه واعانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قال يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا باءة له ودليل هذا التأويل ما أخبرنا به ابن فنويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذب عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها فقال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الا باطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أنى يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا رب لله لا لجبريل أنى يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وعده أم انكار القدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه الى كما أوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه

الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أى كيف يكون لى ولد أتجعاني وامرأتى شابتان أم رزقه الله تعالى كبرنا أم تزوجتى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك تخبر الامنكر اوهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل كلمتك على عبادتى وطاعتى لانه حبس لسانه عن الكلام ولم تكلمهم منعه بدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا من أذن اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا قوله يحيى يذكر ياعليه السلام وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بالبرد حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضىء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب فى صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا أحسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر ربعة من الرجال الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الفسيرة قوى فى طاعة الله تعالى وقد سادالناس فى عبادة الله وطاعته

(فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترانى من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبئ صغيرا فكان يعلم الناس ويفقههم فى أحكامهم ويدعوهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم سار ودخل الشام يدعو الناس ويبلغهم الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه وأمرهم أن كل واحد منهم يكتب ما يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبد الى فضل الربح فدفعوه الى مدبر بيته وأمرهم بالصلاة وقال ان مثل الله كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه يسمع مقالته ويقضى حاجته فاذا دخل عليه الرجل التفت عنه واشتغل بغيره فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكر معز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم عدو فاذا أقبل اليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك لا يقدر عليه الشيطان الا أن يغفلوا عن ذكر الله تعالى لا يقدر عليهم وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة للانع عدو يعمل اليه وتستره (وأما سيره) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف فرجع الى أمه وقد لبس الصوف واذا هم قد خرقوا أثوابهم وما كوا بها السلاسل وشدوا بها على سواعدهم فقال ما هذا يا أمه فقالت يا بنى أما أنت فلبست ثوبا من صوف ستر الله تعالى بين الناس وبين عورتك وأما هؤلاء فانهم يعبدون الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأمره فى ذلك فلما دخل زكريا المحراب ليصلى قال له يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت اما رأيت من هو أصغر منى مات قال بلى فقال لامه أتحبى له مدرعة من شعر ومنسأة من الصوف فعمل له ذلك فلبسه على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى اذا كان عند طلوع الشمس ذات يوم الى ما قد فعل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى الى يا يحيى أتبكى على ما قد فعل من جسمه فلو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المرط فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خده ودبت الناظرين أخرجاه فبلغ ذلك أمه فجاءت عليه وأقبل زكريا وجميع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى انما أنت صبى أن يهلك الله تعالى الناس أمرتنى بذلك يا أبت قال نعم قال أليست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فاجتهد وقام فنفض مدرعته فأتت أمه فقالت أتأذن لى يا بنى أن أغزل لك قطنا تلبسه من لبد برد يا بنة أشعر لك وينشفان

قال فلما سمع الشاب كلامه قال أنا أعلم من ذلك ما تعذر والعفو من ذلك أول فقال له قد قبلت توبتك على خشونة فقال لا أمن فى يومك هذا ولم أتخذ قبله ولم أتخذ بعده واما أن أخرج من البيت قال فقد رفعت الحجاب بينك وبين الله تعالى فاخرج من البيت (قال) وكان البيت الذى يخرج منه من الباب الغربى وهو الذى يعرف اليوم بباب الشاعر وهو الذى يدخل منه الى المقصورة التى فى جامع دمشق الى الآن وهو الذى يخرج منه الملك الذى ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق وهو الذى يدخل فى طريق القوم رضى الله عنهم وعن تقدمهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وهو الذى يخرج منه الطير الذى يقع على رأس الشاب الذى يبشر الناس بالجمعة رضى الله تعالى عنهم أجمعين فى الدنيا والآخرة آمين

(شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) أنه قال أول ما رأيت من العجائب والاكرامات انى خرجت يوما من الايام الى بعض البلد التى كنت قاطنا بها لبعض الشأن فوجدت فى بعض الطريق شابا حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أين تريد فقال أريد الله عز وجل فقلت له رحمك الله تعالى فقد أردت صعبا وطلبت عزيزا فقال لى يا سهل ان الله عز وجل خلق خلقا كثيرا وهم يطلبونه كما تطلبه أنت وخلق خلقا قليلا وهم يطلبونه كما يطلبه الله عز وجل وكان سهل فى صباه أى عند ابتداء الوجود

دموعه على فقال لها أنا أتخذ له قطعني لبعد يوليان أمر اسمه دموعه فبكى يحيى ابتلاء من دموع عينيه ثم أخذهما فمرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى يديه والى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان هذا بنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن يعذو إلى إسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما بنى اسرائيل وأقبل يحيى يدلف رأسه بعباءة وجبريل في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشأ يقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له العتبان تحاف غضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خر مغشيا على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت أن لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مر بهم على غم فقال يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لهم نعم نسالين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا وكذا فاقعاد مسه في الماء فرفع بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أفارق الى منزلي منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تطعم مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فانه الين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى مذهبه النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دار الخبر من داري وجوار الخير من جواري فاستيقظ وقام وقال رب أنا عبدك وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما منعوني الا لحاجة فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدي قد شغله الله عن فناء غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

(باب في مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى ينهى عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يرقصون يوم القيامة ورؤسهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان فيه بين رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يأتيهما الى السجن بالليل فعلم بأبيه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأته فعلمت بأنها واطأت قبلت بها رأسه وجهها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها علي حق فقال لي ما شئت فقالت البنت أستوهب منك أهل السجن أصنع بهم ما شئت فقال أبوها أنها لهم وتستر وجهها فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد نذرت لك نذيرة من أعظم ما وجدته ولو كان منك ألف نفس لبذلتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبا بك فتبرأ الله مما بهم من النعم وساط عليهم عدوا فذبح البنت وأولادها وساط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان معلمهم وهم عنه نكاح بنت الابن وكان الملك لهم بنت أخ تحبه وتريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الابن قالت لابنتها اذا دخلت على الملك وسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال لي غيره هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت

فذبحه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فساء بجور زمن بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل بكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه ويستشير في أموره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأته فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست آمن اذا لست فارغا ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا فأحمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تستقبله أن تتعرض له فاذا رادها من نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب رادها من نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسألين قالت أن تبعث الى رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال لم يجعل سلطاني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه ولم يزل يغلي وياتي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنحاريب وبختنصر كما تقدم ناذكره في أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقال لها هيرودويا كانت امرأة أخ له يقال له فلقوس عشقها فواقعها على الفجور ونهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له فسألت المرأة هيرودوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها انه لا يحل له بالنساء والملك أحمق أن يأمر بما أمره فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يجترئ الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بهم وبأهل الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الارض حتى دخل ساتا عند بيت المقدس فيه الاشجار فناداه شجر بأني الله الى ههنا فلما أتاها انفتق له الشجرة ودخل زكريا فيها ووسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أشعر بطرف ردائه خارجا من الشجرة فلما صنع ذلك ذهب اليهود الخبيث في أطراف أردتهم لا يدرون لما أمر وابذلك وأشفق اللاتي وأهله يلتمسون زكريا فاتاهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس لعنه الله هل دخل في هذه الشجرة قالوا نصدقك قال فاني ان أريتكم علامة تصدقوني بها قالوا نعم فأراهم أثر ردائه فقالوا الساعة ضربوا الشجرة فنشروها بالمناشير فصدعت فلما رأى الله عليهم أشفقت أهل الارض على الجميع فانتظم فيه من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظامه بني اسرائيل وسبي منهم مائتي سبي الى (وقيل) ان السبب في قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف في روع زكريا وقال ان أحبها أسخطها أسخط زكريا وهو الذي لا يدخل عليها فطلبوا زكريا فهربوا منهم فدخلوا واديا كثير الاشجار فتشبه الشيطان بصورة راع فقال يا زكريا فدادر كولك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وهذا هو برد ائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقطعوها قطعتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى بن زكريا سبعا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء وروي أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

(خبر في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

www.alkottob.com

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا صالحا نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم بلبنان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفسها ماؤها وما يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثل الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد صفي الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لئلا تفزع مريم عليها ولا تقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة كان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهم ما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل فولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وأمر أنه من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها ذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه فلما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكآبة وجهها ونتوء بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم

www.alkottob.com

السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل عليكما في هذا الحديث حاجة اشهدوا بالله تعالى ثم التفت الى

ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن بها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء ولا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم *(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)*

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اعتزلي بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فاخرجي الى موضع نائي من فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروا وهذا قوله وعلامة ولدك فاطعني من عندهم أي فاخبري * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الا ترى بقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها وما له ليس بينهما وبين الا كاف شيء فالتقى بهما يوسف حتى اذا كانا قريبا من أرض مصر في مضيع بلا دفوجدها أدركه مريم النفاس فالجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتهاء الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها وقال فاجاءها المخاض حملته أمه في ساعة وضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما استقبلها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا ورق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا قد رفعوا بأيديهم أوكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر بها التي سمعت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أي حيضة نسيا فردت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فلما قال لها جبريل ما قال ناداها من سفح الجبل ومن وراء بفتح الميم والتاء وهو جبريل عليه السلام ناداها وكلها بأذن الله تعالى قالوا فعند ذلك قالت يا ليتني مت من قبل هذا أي حزنا وفرقا أن يقول الناس ما قالوا لها يا عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب باردا فاشربي منه وقيل بجبريل عليه السلام بعقبه الذي في قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل بجبريل عليه السلام بعقبه الارض فظهر الماء وعيشت تلك النخلة بعد يبسها فاخذت عسوما أو أورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة أي جذعها تساقط عليك رطبا جنيا عاما بعد عام قال الربيع بن خيثم ما كان لها عندي يومئذ بعد من الرطب ولا للامر بين بعد من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خير من الرطب وتلا هذه الآية قال عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع التمر بعقبه أولادا لصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر هو للصغير رزق وللكبير قوت فقالوا ثم ان يوسف الذي كان ذاهبا الى مصر لما أتاها سمع الى جنبه كلاما فنادى من تحته أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا فنظر فاذا هو بعين ماء فقال ما هذا فقالت هذا ما قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فلما رأى ذلك تركها وانطلق الى المدينة فلما دخلها سأل عن الاصنام التي كانت فيها فاخبر أنها سقطت كلها لوجوهها وانكبت على رؤسها فعجب من ذلك وقال ما هذا الا من أمر حدث فلما أصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها فزعت الشياطين ولم يدر ما الم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد مضت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ زمن قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فاخبروه أنه حدث في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على

الخالف وقال له اسمك عليك ولا تنقص بذلك أبدا بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس بعفو الله تعالى عفوه وستاره وبركته آمين *(وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهي فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك ان تنامي نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها (قالت) نادمتها رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة أحضر تبني ثم قالت يا فلانة اذا أنا مت فلا تعلمي بي أحدا ولا تخبري أحدا فاني أحب أن أكون غريبة في بيتي هذا وكانت في بيتها من شعر كانت تقوم فيه الليل كله فاذا نامت عيون الناعسين قالت فكنت أتفقدها فيها وفي خمار من صوف فاخذت فتتها ورأيتها في المحراب وعلمت أنها قد تعشرت من استغراق وخمار من سندس

حضر فقلت لها ادع الله بالحسنة التي كنت تفعلينها فقالت يا فلانة ان الصوف قالت انه نزعوه عني وابدلت هذا الذي رأيته وطلبت أكفاني

ونحتم عليها ورفعت في عليين ليكون لها ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لها مثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من أكرامه لأوليائه بشيء فقلت لها مر بنى بأمر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك أن تغبطني بذلك في قبرك رضي الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد ابن أبي الحواري عفا الله عنه) أنه قال لما كانت رابعة العدوية أحوالها شتى فكانت مرة يغلب عليها الطرب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد في الحب هذا الشعر

حبيبي لا بعادك حبيب ... وما لسواك في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي لا يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فاجلس مني حيث شئت فانما ... مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول

وزادي قليل ما أراه مبلغي ... ألا زاد أبكي أم لطول مسافتي

رؤسهم ولم يكن شيء أهون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يدخلون في أجوافها تكلامهم وتدبر أمرهم وينظرون انها هي التي تكلامهم فلما أصابهم هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نر دونها أرضا الا جبلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فرفعهن بالمكان الذي رأوا فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوق قال فاذا رؤس الملائكة دونه كلهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد أن يدخل من بينهم فمنعوه من ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يلعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين تولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يلعن فلعن في الحجاب قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أعصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو ان يضل به أكثر من يهتدي به وما كان نبي أشد على وعلى من هذا المولود ثم انه خرج قوم في تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يعتدون أن يطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فرآهم ثلاثة من ملوك الشام فسألوهم أين تريدون فأخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموهم هذه الاشياء قالوا ثلاثة أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم مكانه فاعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية الى عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر

*وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغاني عنه انسان سمع في بطني وأنا أسمع والله أعلم

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسبابه ولادتها قال كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أولا ملة عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فاد خلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فنظروا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أمثل بني اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها ذكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الآية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن

www.alkottob.com

يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها فقالوا ثم لم يتكلم شيئا بعد هاحتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر تزويج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان ولد عيسى بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث اليه ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم ان الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال أبو العالية هي ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الظاهر فاقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمدى في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى نمى عيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال له عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر لي فقال عيسى الالف لاله الا الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاي زفير أهل جهنم حطي سيئات الحفاظ عن المسلمين كاف كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والمراد بالجزاء فرشتهم تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلت أمه ليتعلم فقال له المعلم بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب في صفة عيسى وسلمه عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى ابن مريم رجلا أحمر ما الى البياض ضليع الرأس ولم يكن رأسه وكان عيسى يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا طعاما ولا ثيابا ولا رزقا لاحد يومه وكان حيثما غابت الشمس صلى فدميه وصلى حتى يصبح وكان يرى ظله والارض وحي الموتى باذن الله وكان يحيي الموتى بأذن الله وكان يخبر بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس يسير الوحش معه في الفلوات في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبئ)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أرادها ملك اليهود الجبارين فذهب بهم الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين ان أدله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عد الى رجلين منهم احدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى انا أضعف من ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك المباركة فلما سمعوه يقول ذلك سمروا

الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة نظر انه فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدقت والله فردا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطه لابنك قالت هو أعلم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فمكث يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى بدنه على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثني عشرة سنة (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعلموا ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فجيء عيسى عنهم بينهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فهو وهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير فقشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الارض اذ جاء بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يوم نوبتنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم له بشيء فانه قد أحسن الينا وانى أمرني أن يدعوله فيكفيني ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا انقرب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور والجاسر وقلوا ماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان جرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه بأموانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا يستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه قال عيسى ان أحببته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكاذبه هذا حتى اذا دنا منه يريد أن يستخلف علينا ابنه فما كانوا كلما أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي وكز برجله فقتله فالقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما رأيت صاحبه فاراد وا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم اتركوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر فلا أرجع الى عشرة أيام

مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته في المنام وهو يمشي ويختر في مشيته فقلت له يا أخي أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي ورأيت في تعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يراديه العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال يتبختر ومن مثل بشر بن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته يتحبب الى الحق

وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد عملت كل واحد منها على اللون الذي يصبغ به صاحب أن تكون فارغا منها فمضت وقدومي ثم خرج فمضى عيسى عليه السلام بجبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها فاخرج جبا واحدا فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد أفسدت ثياب الناس قال فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابنها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الطليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه بأن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويداهم وكانوا يعوذون من خوفه ففعل ما أمره به فاحبه الناس ومالوا اليه واتبعوه وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان *ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت الله من في السماء والله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

(باب في قصة الحواريين عليهم السلام)

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أتباع عيسى بن مريم وأولياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفا واسمه سمعان وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرثولماوس وتوماوس العشار ويعقوب بن حلفا واوليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني وهو هذا الاسخريوطي عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم فيما ذكر قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعوه أولئك وآمنوا به واتفقوا معه قال السدي كانوا ملاحين قال ابن ارطاة كانوا قصارين بعوا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا بعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهم واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فقال قصار وا يعاون الثياب بالكراء فقال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على نصعة فمكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أرك ملكي وأنت بعلة فانطلق

وأتبعه رضي الله تعالى عنه *(وحكي عن أبي يعقوب السوسي نفعنا الله ببركاته)* أنه قال ما مضى بعض المريدين مكة وسلم على وقال يا أستاذ

(وقال) الربيع بن سليمان رأيت الامام الشافعي رضي الله عنه قعد شيئا يا عبد الله ما فعل الله بك فقال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب وأباح لي الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضي الله عنهم

(وحكي عن بعضهم رضي الله عنه) أنه قال كنت في مركب سنة من السنين وكان في المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا في غسله وتجهيزه وأردنا القاء في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الى أرض قفر فخرجنا فنظرنا فاذا قبر محفور منا فيه فلما أخذنا في غسله وتجهيزه ودفنه وأنا متحير في أمري سنفكر فيما

بن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال النحاة سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا قوارين علمهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه)

منها أن يسد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس وتظاهرها في سورة المائدة اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا كبيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهرة وسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يسوي من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا ويدر ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا لتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يبصر أقط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم العجز من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بقرية بعميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فلما مسوا أعينهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العازر وكان صديقا له فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العازر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاختها انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العازر فقام العازر وخرج من قبره وبقي وولد له ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقال الحواريون لا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب

نباه فطاف سبعا ثم استند نحو القبلة فسأل ربه فمات رحمة الله تعالى عليه فنادت فاطمة وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو يضحك فقلت له يا أخي أنت ميت أم حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم أخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه

(وحكي عن الشيخ أبي علي الروذباري عفا الله عنه) انه قال ورد على جماعة من الفقراء فرض منهم رجل ومكث في مرضه أياما كثيرة فقل أصحابه من خدمته وشكوا الى ذلك فخالفت نفسي وحلفت أن لا يتولى خدمته أحد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فبينما أنا عند اضطجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال يا أبا علي لا أسربك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته

*(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

المعمور فقال له امر انجوز اما مرحبا أن أدعك لا أدعه بل أتى الوالي حتى تقول أطعموني بيض عيسى
بالباب اذ قبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أصبح لك هذه فقال الفتى ما لي بهذا العجوز زوجة لي
أم لا لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى إن كان كذلك وما بالك تكون عيسى بن مريم قال أنا
عيسى فاضاء وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك [illegible] فأمر بسجنه
واخراجه فمضى الذي حتى دخل على الملك فقال له جئتك بالبيت أشتمل [illegible] فأمر بسجنه وقيده وأخرجه
الفتى الى عيسى فاخبره بالخبر فلما كان غد فاذهب اليه واخطب اليه ابنته فقال له بالله بدون ذلك فلم يزل الفتى
ما أمر عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فقله وقل له
أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وقصر من فضة وبيوت من ذهب وفضة وزبرجد فقال له أفعل ذلك
فاذا بعث معك أحدا فاخرجه فانك سوف تجده يتحدث فيه بشيء ثم انه دخل على الملك فقال له قد رضيت
بحكمي فقال ما حكمك فحكم الذي سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من شئت فبعث معه [illegible] فلم
اليهم ما سأله الملك عجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته وعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله قد رأيت على
هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى اني آتي ما يبني على ما ترى فقال الفتى أنا أبني أقصر وأصيب
فخلى من الدنيا واتبع عيسى فانه عيسى ذات يوم وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكبير الذي كان معنا
العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال وجلس
الى الباب وهو على السرير على عنقه ورجع الى أهله وهو قوله (وحيا) انه العاشر رجل كان يأتي الأكمه والمبروص
أتيه ما وقد مات بالأمس فدعا الله عز وجل فعاشت وقامت وهو قوله (وحيا) سام بن نوح قال له الحواريون يا روح
يصف لهم سيدنا نوح قال لهم لو بعثت لكم من شهد السفينة صدقتم لما رأيتم من شبابه فقالوا له ادع الله
من تراب فدعا فاذا هو سام بن نوح فلما نظروا اليه شمطوا فقالوا انهم دعا الله باسمه الاعظم فسار الى مصلاه وقال
اللهم باذنك أخرج سام بن نوح من قبره وعليه شعر رأسه فقال أنا ذا لبيك وسعديك فقالوا له كيف رأيت
باسم الله الاعظم قال ولم يكترثوا بشيء من ذلك الزمان وكان سام قد مات [illegible] ثم أحيوهم
بعير السفينة فقال له عيسى متى قال له سام ان نوحا أخبرنا أنه يفنى الدنيا عند الهرم فنحن على عهد الهرم وعلى
ذلك وعد ذكر هذا الخبر في قصص نوح عليه السلام (وحيا) عن ابن عباس قال قالوا لعيسى عليه السلام أحب الموتى
أخرقه بالنار وهو الحطيا كثير من حلب الكرم وكان في تلك القرية [illegible] ما دون ذلك
حجارة مملقة فوجد واقبر عز بركتوبا على باهره [illegible] فدعا الله عز وجل فعاد رجلا فنفخ النار في
فرجعوا الى عيسى فاخبروه فقال لهم انا عيسى فقال لهم أحب أن تعيدوه فدعا الله فنفخ النار في
عيسى وهو في أكفانه وخرج لا تأكل أيديهم النار ثم انه دعا الله عز وجل فعاد رجلا شمعل على عهد عيسى
وشعره ونبت ثم قال له يا روح الله ادع الله لي فدعا الله لي وطال ذلك فراجعوا أهله فقالوا له يا روح الله
الرجل يصوت عيسى فقال أشهد انه عبد الله ورسوله فقالوا له يا روح الله ادع الله لنا كلنا فدعا الله لهم
فقال عيسى ردوه الى قبره فعادوا الى قبره بعد ثلاثة أيام فقال عيسى يا مسيم من أنت وما عملك فقال كنت
عيسى يحيي الموتى يا حي يا قيوم (وحيا) اخبار عن الاسلام من العرب قال الله عز وجل لاخبارا [illegible] أنكم
بما تأكلون وما تخزنون في بيوتكم قال الكلبي يا روح الله أنى لنا أن نعلم الغيب فقال عيسى ليس ذلك
ولكن أخبرنا بما تأكل وما تدخر فكان يخبر الرجل عما أكل في منزله وبما ادخر (وحيا) شبه علمه
السلام على الماء روي انه خرج في بعض أسفاره ومعه رجل من أصحابه صغير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما
انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله ابتدأ ومشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله ابتدأ ومشى
على وجه الماء فذلك العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فاغمس
في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بالذي خطر على قلبه فقال له
عيسى لقد وضعت فضلك في غير الموضع الذي وضعك الله عليه فقلت الله على ما ملكت نبي الله عليه [illegible] تاب

فاستكوا أنهم في ذلك
الليل فخرجوا الى البحر
[illegible] وهم يعوون
[illegible] فقالوا
[illegible] فقالوا
[illegible] من البرد شديدة عظيمة
[illegible] ولم يعوون الليل علم
[illegible] عليهم بدعائهم [illegible]
[illegible] فقال
[illegible] لهم أنتم [illegible]
[illegible] فقالوا
[illegible] فقال
[illegible] لهم ما تريدون عليه
[illegible] في أمر هذا الرجل الذي
[illegible] وسخر

الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يعد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الثعالبي باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو علم الله في معرفته العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحدا قالوا ولا أنا يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كانت الرسل بعيدة قال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه

(ذكر حديث جامع في هذا الباب)

قال وهب سرح عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي ثلاثة أرغفة فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم وقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته وجد طعامه فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فأتيا الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أتانا بثمر هذه الشجرة حتى نأكل فقال افعل فدعا ثم أصحبه ثالثا فلما أعيى قال له أرأيت ان أتانا عاجلنا حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمر على عيسى يصر ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومر افاذا هما بقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجناك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والاقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فانك لما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر يجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فذهبت رجلي من رأي وضع قدميه ومشى قدمي فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والاقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بابناء ترعى ذرعا عيسى بظبي ذبحوه وشوى منه بعضا وأكلوه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجز لنا من بقرك هذه فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا ضرب العظام في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم قال منه فقال عيسى لصاحبه بالذي أسبغ العمل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فأخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان لذلك الملك القرية مريض قد أعيا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فاشرأب وجهه فقال أدخلوني عليه فانا أرثه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا سابه فقال أدخلوني عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصا فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فعاش وقام فانزل اليهودي من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس علي منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا النبي والعجل بعد ما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال فاذا هي هذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا باس فانطلقا حتى أتيا بئرا عظيمة تربة فيها أكثر من ثلاث لبنات من ذهب قد حفرها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة

أطلع النمرود فاعتطب
من منهم ابن المطلب الهاشم
لاحرقن ابراهيم قال
فبادرت اليه العباد من
أقطار البلاد فقاموا
حولا كاملا يجمعون
الاحطاب الى أن ملؤا
ذلك الغدير بالاحتطاب
فقال قوموا تكبكبونه عليه
في النار وتضرمونها عليه
واختلفوا في ذلك فقائلهم
ابليس لعنه الله وقال
لهم اضرموا النيران فاذا
رأيتموها تتوهج فاقذفوني فيها
من دينه الى دينكم ثم
وضع لهم المنجنيق وقال
لهم اذا أنا في وضعوه في
كفته وارموني ففعلوا ذلك فانه
يصعد به المنجنيق في
الهواء ثم يوقعه في النار
وأنتم تنظرون كيف
يصنع قال فاتخذ النمرود
مكانا مشرفا من الارض
مبنيا بالجص والساس
ينظر كيف يحارق ابراهيم
خليل الرحمن عليه الصلاة
والسلام قال فلما أوقدوا
النيران كاد أن يضيء
لها المشرق والمغرب
وصعد لهيبها الى أن
أطبق ما بين الخافقين
حتى ان الطير كان اذا طار
في الجو أحرقه لهب
النيران ثم أتى بابراهيم
عليه الصلاة والسلام
فلما نظر الى ذلك التفت
عن يمينه وما يأتي من المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في لهيبها فصاحت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ما تفعل

www.alkottob.com

اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم ارحمني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظر والى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أيكم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من السمن وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن اقتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم عندكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال لعيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعادت حيا فاضطربوا واستعاروا شوكها فخرجوا منها فقال عيسى مالكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم كل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فقالوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله واشكروا لهنائه ولغير حسنكم البلاء فاكلوا منها وصدروا عنها ألف رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كافة مودة فاوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشكك الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هل تكتم فشهر والعذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في العذرات والنكايات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهاليهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ما روي ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فجعل يسأله فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذا امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع منخرق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قبل لي أجب فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر علي من أليم العذاب أما ان ردني الله الى الدنيا أعطيته عهودا أن لا أعصيه أبدا فدعا الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فقضى فقال صاحب القبر يا رسول الله قد غلظت بالقبر انما قبر هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بهما ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما صاحبه فاشار اليها فوضعت رأس زوجها من حجرها واتبعت الفتى

فاحتقلا

فاستقتلا زوجها فقتله [illegible] فاطلع اليها فدل عليها فانطلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي جاريتي فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت أنا جاريته هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي عليه ما أعطاك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا الرجل أماته الله كافرا ثم أحياه مؤمنا وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها كافرة (ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (روى) الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فأدخله في خوخة في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل ططيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من رد علي شيئا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي ليكون لكم بي أسوة فانكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة وتعينوني فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعي وتتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعى به نفسه ثم قال الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت الديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم أتوا به الى الخشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون تبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني فلم يصبني الا خير وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيث دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وهو يقول لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال

والبلاد (الثالث) انه لم أعط أمتك الكثير من الاموال [illegible] ما سبق من الامم [illegible] عليهم الحساب يوم القيامة [illegible] وشفقة عليهم (الرابع) انه لم أعط أمتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا نعمتي (الخامس) انه لم أطل أعمارهم [illegible] عليهم الذنوب [illegible] (السادس) انه لم أعاقب أمتك على كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انه أخرتهم الى آخر الزمان [illegible] الامم حتى لا يطول مكثهم في التراب (الثامن) انه [illegible] الامم [illegible] [illegible] ثم عرج جبريل [illegible] صلى الله عليه وسلم الى [illegible] فعرج جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة آلائه ثم قال يا محمد كل ذلك ببركتك ودعائك [illegible] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ورفع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشوع بن نند يرا والله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام ابن في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أيطلبونك من العهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلقى بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى الناكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فقالوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمني أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما أيده الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى دارها ووضعت يدها على ظهره فقالت لعيسى اقدمني ذو عاهة بنية سبعة وقد أعياني الله مما كان ظهر بها فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نورا فخصت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان السماء ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزعمها النصارى فالوا توجه بطارس الى رومية واندراوس وسمى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما الى أرض المشرق وفيليبس ويهوذا الى القيروان وافريقية وبحنس الى اندلس وهي أرض الكهف والرقيم وبرثلماوس الى أورشليم وهي البيضاء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يتحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان ساحرا فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأنبأهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لملأت بيوته وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه وخبروه ما يدعو اليه وما نزل به من عند الله فدعا بالخشبة التي صلب عليها فأمر بها وصلم المسامير منه وفزارني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لخمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المدراس الى السماء لثلاث بقين من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام)

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام الى بين الحواريين فاسر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفا ولللآخر يحيى أن يأتيا أمه ولا يفارقاها فاتتاها ومعهما مريم الى مار وسملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فافاتتهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه يحفرون ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه بما تقدم كما ذكرناه والله أعلم

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

www.alkottob.com

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين من الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا ومولم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو سليم شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانا أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين مهرودتين وكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يهل من الرواما صلحا أو عنوة أو ملبيا هما جيشا يقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه المسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر واقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت فيمكث هذه يدفن في الساعة بين الرجل وعمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران يومئذ بين نبيين مرسلين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم اذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يؤم أمتك وهو نبي الله قال تكرمة الله أمتي له فيؤمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم

(باب في نصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام ارسلنا اليهم اثنين واستنصروا في امرهم وقال ابن اسحق فاوحى الله الى عيسى ان ادع الى ربي وربك فقال وهب بعث عيسى يوشع ويوحنا ويولس وقال غيره بعث توما ويوحنا ويولس كعب عادى وعدوى فكذبوهما فعزز نا بالثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في أكثر قول المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال سفاطيل سمعان (قال) العلماء بالسير الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما وردا من الباب انتهيا الى شيخ يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسأل عليه فقالا له انا رسولا عيسى ابن مريم عليه السلام ندعو من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ الزمن ونشفي الاكمه والابرص باذن الله تعالى فقال الشيخ ان لي ابنا صاحب فراش منذ سنين فالا فانطلق بنا الى منزلك فانظر ما يبلغ فأتى بهما منزله فلما نظر الى ولد الشيخ وهو في بطن امه قد تحرك فقام في الوقت بإذن الله تعالى على رجليه فخر الشيخ وامرأته سجدا لله تعالى شكرا وآمنا بالله وبما جاءا به وصدقاهما فاقام في الوقت باذن الله تعالى بعض من كان قد مات في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في المدينة صنم يعبدونه فلما رأى الناس ما صنع الله على يديهما كفروا بالاصنام وآمنوا بالله تعالى (وقال وهب) اسم احدهما صادق واسم الآخر مصدوق وكان من ملوك الروم قد غلبوا على انطاكية فلما بلغ الملك خبرهما بعث اليهما من أتاه بهما فقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى فقال وقد حضر جلساءه الذين كانوا يعبدون من دونه آلهة ما نعلم ان احدا من عباد الاصنام يقدر على هذا الا آلهتنا فلعل آلهتنا قد غضبت عليه فمرضته فقالا انما نعبد الله الذي خلقك وخلق آلهتك فقال ومالي لا أراك تدعو آلهتك قالا لانها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع فقال لهما ان لي صاحبا قد أصابه الذي بي منذ سنين وقد عالجته بكل علاج فلم يبرأ فان كنتما صادقين فيما تقولان فدعوا آلهتكما حتى تنظرا ما يصنع بصاحبي فقالا ان آلهتنا لا تصلح لمثل هذا ولكنا ندعو الله الذي خلقك وخلق آلهتك فيشفيك فقال ان شفى الله صاحبي آمنت بكما وبإلهكما وصدقتكما فدعوا الله تعالى فشفاه الله تعالى فآمن الملك وقومه وكان الذي آمن من قومه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وكان الملك قبل ذلك يعذب من آمن بالله تعالى فلما آمن الملك وقومه آمن الناس كلهم وعبدوا الله تعالى وكسروا الاصنام وبنوا ثلاثمائة وبضعة عشر بيتا من الصفر وجعلوا في كل بيت صنما من الصفر وجعلوا لكل صنم يوما في السنة يجتمعون اليه في ذلك اليوم فيذبحون له ويقربون له القرابين فلما مضت مدة على ملكهما وطال عمرهما فرح الملك ذات يوم وذكر الله تعالى فعجب الملك فامر بهما فضربا بالسياط حتى سالت الدماء منهما فلما رأيا ذلك كذب الرسولان وصدقا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست

وضع طيلسانه في يد الاعمى وقال امسك لي في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى طيلسان أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال

وجاءا في السجن وضربهما حتى دعوا الى غير دينهما فهل كلمتهما وسمعت دعواهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا فالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون صفاه لنا وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما فالا ما نعالج من الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمني باذن الله قال فامر الملك بقيد بغلام معلوم العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا بيضتين من الماء فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهنا حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهنا فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لحوائجه ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء ميت فالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فقالا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة أيام مشركا فادخلت في سبعة أودية من النار وما أخذكم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذا ان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل وبلغ ذلك حبيب بن مري صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسم حبيب بن اسرائيل النجار وقال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فقسمه نصفين يطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت شئتنا لم يتابعوا بسبع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون الى قوله اني آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤوا برجلهم حتى خرج قصيبه من دبره وقال السدي كانوا يرمونه بالجار فهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا في سكة وعلقوه وقيل في سور المدينة ورد فوه في سور انطاكية فاوجب الله له الجنة بذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فقالوا قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم وذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الحشاوي باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿قصة يونس بن متى عليه السلام﴾

قيل متى أسم ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فملق بالجبل يعبد الله تعالى فيه

www.alkottob.com

كان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة وذلك انهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله نخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال
تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان ثقيل الصبر على قومه والمدارة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يونس بن متى فيه عجلة ونخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب
ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) فى مغاضبته وسبب ذلك وقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهو رواية
الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة
اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبى
ان سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقى الخوف فى قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بنى
اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس
وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله بانطوايى قال لا قال هل سماني لك قال لا قال فهل هناك شيء يدلني أنبياء
قويا أمناء فأوحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن
البصري انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره
ليذهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها
فيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أتجانى ربى ان آخذ نعلى فذهب مغاضبا ورى شهر بن
وشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم أن العذاب قد
حضرهم ان لم يتوبوا قال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من
امرهما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة
يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس فى سورة الصافات ثم عقبها بقوله
وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما
ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا
عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذى رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله
أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب فى يوم ولم يأتهم وفى بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا
من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى أوعدهم خشى أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع
الى قوم وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم بسبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب
وعلى هذا القول عن أبى طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى
الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما مرويل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا
فهديا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على
قومك اربع اليهم فاذهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فانى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا
وعشرين ليلة فلم يجيبوه فقام فيهم خطيبا فوبخهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية
العذاب أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا
فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة
الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب
(قال سعيد بن جبير) كما يتغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر
ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب أغيمت السماء غيما أسود هائلا لدخان شديد اهبط حتى غشى
مدائنهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى
قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فعمدوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا
المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام

فاذا هى اجمل ما يكون من النساء
وأكملهن فوقفت الى
جانب الباب وسلمت
وقالت أنا مرينة بنت
مروان بن عبد الملك بن
محمد الاموى فالتفت زينب
فسكتت متكئة
فاستويت بالسدة
وقلت مرينة فقالت الله
ولا حيالك ولا رعالك ولا
سلمت ولا سلم عليك والحمد
لله الذى أزال العصمة
عنك وهتك ستر لواهاتك
بين الناس أتذكرين
باعدوة الله سيئ أفعالك
نساء بنى العباس يسألنك
بالله ان تكلمى أبا الفتى
دفن ابراهيم بن محمد
فوثب علين وأسمعتهن
أخشن الكلام وأغلظ
القول وخرجن يسألن
الخالة التى علمن بها
قالت زينب فلما سمعت
كلامى ضحكت فوالله
ما أنسى حسن ثغرها
وعلاوستها بالفهقهة ثم
قالت أى بنية عمى أى
شىء أعجبك مما سمعت
منى أجبتك عما سألت عنه
بى حتى أردت ان تسوقى
بى والله لقد سمعت
بنساء أهلك ما قد ذكرت
ولكن حق على الله
تعالى أن تكلمينى
ذليلة حاسرة عريانة
أفكان هذا شكرك
لله على ما أولاك ثم قالت
زينب فالتفت وقمرت
فاذا هى تبكى فنادت
الجيران يا مرينة دخلت
باذنى فلا تخرجى الا باذنى وساحت صيحة ما رددوها فرجعت وقالت ما سقانى الا الضر واليهود وسوء الحال

قال فهضت الحيزران وقامت فعانقتها فقالت ما لك في موضع من الحمام الذي أنا فيه فتعالت الحيزران لجواريها ما يكن بالحمام على سرعة فدخلوا بها الحمام وأمرت بعض الجواري بخدمتها ثم وافتها بالحلي المذهبة والطيب ثم قامت اليها الحيزران وأعتنقتها وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي وقدمت اليها المائدة فجعلت تأكل وهي تلقمها الى ان اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الحيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالي أحد فقالت الحيزران فقومي فانختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الحيزران ان هذه امرأة مسها الضر وأورثها الفقر مالا تقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب واعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال

هذا بعض ذلك لله تعالى شكرا على ما أنعم علينا ثم والله لولا انك عجوز لا حلفن أن لا كلمتك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد ... ولا

فمن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط عجيجهم وبكاؤهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المري عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما تشهى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع النفي موضع الحض لان فيه ضربا من الجحد فنفوها لايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم يرشيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق حتى اتى بابا مغاضبا الى قومه فاتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه أي ان لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقدر يقدر بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لا نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وقال ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سالف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فالتقمه وأوحى الله تعالى الى الحوت اني لم أجعل لك رزقا بين جعلت لك حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقم الحوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى وبقال ان الله تعالى رفق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا من مكان غريب بأرض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الأرض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ المعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها وكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست

لحاب فلما واعتذرت اليها وفعلت معها الخيزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة ألف درهم وقال للخادم كان على رأسه بانها مني السلام وقل لها الذي ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بما فعلت عندنا ولولا استحيائي لسرت اليك مسلما عليك فاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاء الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من ولدي قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا * (ولما توج أمير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) * عرض عليه وجوه مر لم تبق له فيه عالجة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك ابن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامويين غيره ولا بد لنا منه ثم التفت الى صاحبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات

ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أودن ان أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي بينة فلست فمن يشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام أرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك اني قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال اني لي بينة فارسلوا معي أحدا يشهد فارسلوا معه رجلا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم (يروى) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش فيه وأنتم بثمنه أنا وعيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فاوحى الله اليه هذا عمل فخار من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فاجابهم للدخول فاتي له بحمار من قطن فجلس عليها فمثل له جبريل عليه السلام على ساقه وهو ينادي هذا جلاس الحمار من قوت يونس من الجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصار الغلام الراعي ملك تلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان ابن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فاطبقت على باب الكهف فاوصد عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال الرجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقيتهم اره كعمل رجل منهم ثم اوكد فرأيت على من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما استهدى عمله فقال رجل منهم أتعطيني هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال ففضت وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به ففيه فبلغت ما شاء الله فربي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له ايالك أبني وهذا الحق وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حقي فقلت والله ما أسخر ان هذا الحق ومالي فيه شيء فدفعته اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها أو تعدت من تحتي فقالت لها ما شأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء

www.alkottob.com

فتركتها وأعدتها كما كنت فعلت هذا الوجه الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الآخر قد علمت حسنة كان لي أبوان كبيران وكان لي غنم فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فبقيت حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت حلبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فبرحت جالسا وحلبي في يدي حتى أيقظتهما فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين عسفان وايلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قرية بهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله شيء أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بعد عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان أخبرتنا بهن علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بهن علمنا أن الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أفضل السموات ماهي وأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو وأخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول العنبر في صفيره (قال) فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال لاعيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا ان لا تموتوا حتى تروا وجه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أتيت الاسلام فقال وما ذاك فاخبره الخبر فاقبل برفل في برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصر الحبر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى قد دعاك عمر كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أفضل السموات ماهي قال أفضل السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة قالوا فاخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار ويتوق في أعين الشياطين قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول العنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتبا لحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرني عن قوم

www.alkottob.com

الطالبة اذ أقبل محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم فلما رآه مقبلا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل ولك أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر وانا أجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وعلى رأسه وجذبه به الى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل ان هذا الخليفة جعلني من أهل الكوفة أكرائي جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولي عليه شهود وأريد منك أن توصله معي الى القاضي وتعلمه جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء فقال استتر به وجهه

في أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما أكثر ما قد سمعنا فراءتكم ان كنت عالما فاخبرني باسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاستحيى علي كرم الله وجهه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أيها العربي حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بارض ومدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذ هادارا ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فسئلي ذلك القصر وتجالسه فقال يا أيها اليهود ابتنى فيها قصرا من رخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرفي المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها أقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني عم كان تاجه فقال يا أيها اليهود كان تاجه من الذهب السبيكة له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت سيدا قافاخبرني ما كانت أسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشلوس وساذنيوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم في بهو داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فتمر ريحه فتنشف ما في ريشه وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه من ريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك فما يصيبه من المسك وماء الورد فيكفيه الملك ثلاثين سنة من غير أن يمسه مشاط ولا مجمع ولا حجام ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فاما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه وينابعه قتله فاجابوا جميعهم فاقام في ملكه زمانا بعيدا وهو من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عجلته على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يسهو وينغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يذكرون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فجمعوا عنده فاكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شئ منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطالت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطالت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن سبسبها ورملها بالجبال الرواسي الثلاثة ثم أطالت

بعد عنه قال ثم ذهب الى سبيله فقبل تحمل ابن هشام يده ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عز بقبول هذا فقال له اذهب بنا على فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضي الله تعالى عنهم

(وقيل للاسنف بن قيس) من تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا سيفه محدثا بعمائل سيفه يحدثه قومه فبينما هو كذلك اذ أتى برجلين أسدهما مقتول والآخر ممسك وقد قيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا التفت الى ابن أخيه ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أثكلت بر بلغ وربيت نفسك بسهولة وقتلت ابن عمك ثم قال للابن الآخر يا بني قم فادفن أخاك واحتسب كما فات ابن عمك وسق الى أم الشهيد مائة ناقة دية ولده فانما اغرمها بقتلنا (وروي عنه أيضا) انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد له صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء

من دراهم ودنانير وثياب
وطيب ودواب وغير
ذلك فلما قدم المدينة
قصد على أهلها أكثر
من أهل مكة وبعث الى
رجل من الانصار بالف
درهم وعشرة أثواب
وكان الرجل الانصاري
من أهل بدر فأتاه
الرسول بذلك العطاء
فغضب وقال أما وجد
معاوية من يرسل اليه
بمثل هذا العطاء غيري
أردده عليه فقال الرسول
لا أقدر على ذلك فدعا
الانصاري ابنه وقال
يا بني أسألك بحقي عليك
الا رددت هذا العطاء
على معاوية وضربت
جسده الشباب ووجهه
فأخذها ابن الانصاري
وأتى الى معاوية فعرف
معاوية الشر في وجهه
فقال ما تريد فقال ان
أبي يقرئك السلام
ويقول أمثلي ترسل
اليه بمثل هذا العطاء
فقال معاوية من الرسول
الى أبيك فقال فلان
فقال قاتله الله انا عاهدنا
العطاء لغير أبيك وعطاء
أبيك دفعناه الى رجل
غيره ثم قال يا غلام على
بعشرة آلاف درهم
وثلاثين ثوبا ووصيفا
ووصيفة مسرعا فحضر
الجميع وقال يا بن أخي
خذ الجميع وعد الى

فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنيا من بطن أمي ومن غذاني وربا في ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فاكببت القتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا سيدنا قد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فاشر علينا فقال الراعي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع ثمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا ظهورهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن ظهوركم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن ظهورهم ومشوا على أرجلهم سبع ساعات حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هاربا فاخبروني بقصتكم فقالوا اما هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فاكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لي ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلبه توبت اليهودي فلما رآه قال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أحمر وقال مقاتل كان أصهب وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهر وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروي عن علي كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايتين عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمران وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قنطور وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تعني (وأخبرني ابن فتحويه) باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطمير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم ستة وكلبهم ثامنهم ومرثلوس وبينوس وسارنوس ودارنوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أغر فوق القطمي ودون الكركي وقال محمد بن أمية القطمي الكلب الصغير وقال مابق بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الجيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبحه فاخذوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر الكلب وقد أخذوا عليه بالحجارة والطرد أقبل على رجليه ويحلي وقال بلسان طلق يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف موثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا البرد اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم * (رجعنا الى الحديث) * قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة ثلاثا كل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان * (رجعنا الى الحديث) * قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غير ربك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظروا اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فائتوني بالبنائين فاتي بهم فرماهم باب الكهف بالجص والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لا اله الا الله هم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من

www.alkottob.com

رقدتهم لما زغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عباد الله تعالى فقوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمر ناهذا لنرى عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فلما تأتينا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يجن نشتهي الطعام بر وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحل وأجود وأطيب فقال لهم غلام منهم يا خيار اخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وركائبه بر وانطلق لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا على علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تالله ان كنت صادقا فان أمري عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال يا على ان كنت عالما فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال يا أيها اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا المال قد أصبت كنزا فاعمل بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تالله ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال الا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان بدء الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسعة وتعتريني ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت في أمري ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحو من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا يصحبني معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم فرع الباب ففرع لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى فتيانه وقال له ما اسمك قال تملخا بن فاسيلين فقال الشيخ أعد على فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلها وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تملخا نزل عن فرسه وحمل تملخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تملخا ما فعل بأصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد ولها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركب أصحابه وأتوا تملخا فلما صار واتريبا من الكهف قال لهم تملخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسبون بوقوعهم علي افرائحة الرسل والدواب وملمسة الجسم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فتفوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تملخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس يقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد بلوكم فقالوا له يا تملخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فانا أريد ان قالوا ارفع يديك وارفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا بعثت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم

الى ولده يزيد فلما قرأه قال ما ترى يا يزيد قال أرى ان تبعث له جيشا أوله عندنا وآخره عندك يأتيك برأسه قبل منه فقال معاوية هيهات

وارفق بعملك فقدم الغلام ورجع اليهم برفق ورد الغلام الى أبيه وأخبره بذلك وهو من محسن اخلاقهم (وقيل) نزل بعض الاصوص الى دار لبعض ابن أبوب وهو قائم يصلي بالليل فجمع الاص جميع ما في البيت من ثياب وغيره وشده وحمله على رأسه وتخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج الاص من البيت يريد الخلاص فلما يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له صاحب البيت يا ابن أخي تعد المفتاح وافتح الباب واخرج فاعطاك صناع الى ذلك وقال ان مثلك والله ان يؤدي ثم ترك ما كان أخذه وتاب الى الله تعالى * (وعتبي بعضهم) قال كان لعبد الله ابن الزبير أرض بجاورة الارض معاوية ابن أبي سفيان وكان في كل أرض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في أرض عبيد الله بن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله ابن الزبير الى معاوية أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا أرضي فامرهم بان ينكفوا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية على كتابه دفعه

www.alkottob.com

كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا ذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لانسمني يهوديا فاشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك أعلم هذه الامة (وقال عبيد ابن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا معلوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم نفروا في عيدلهم عظيم في زي وموكب فأخر جوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله وقذف الله في قلوبهم الايمان وكان أسنهم رزنيرا الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من غير أن يظاهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرأى مجلسه وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم من صاحبه ما هو مخافة على نفسه ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيتناوشا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه ففرج فتيان منهم فتواقفا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فاقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض ناووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب سيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وقد هم قومهم فمات بوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في اللوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الاقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف سيارة * وقال وهب بن منبه جاء حواري من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره ان يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في منامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم بخبر السماء والارض وبخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لي لا يحول بيني و بينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيروهم الحواري وقال له أتدخل ابن الملك وتدخل معه هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبوا نهره ولم يلتفت اليه ثم انهم دخلوا معافيا ناجعاني الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا الفتية فالتمسوا فلم يقدروا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبهم حتى أووا هم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فنرى رأيكم فضرب الله على آذانهم فرجع الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فاندخلت فيه فتنحى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان من فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح

من ذلك يا بني قال ما هو يا أبت فقال على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فسامني والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة في جنب رضوان الله وقد كتبت على نفسي مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذين فيها لمن أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأ عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لا أعدمني الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تمثل في وجهه فرحا فقال له معاوية يا بني اذا لبيت بشيء من هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا لقوم لم نر في الحلم الا خيرا رضي الله عنه

*(وحكي ان المهلب بن أبي صفرة) * مر يحيى من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحي فقال هذا المهلب فقالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم وأتى الحي فارتمى الشاب بحجر فأتاه فأعطاه

www.alkottob.com

وكان بنزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها أكبر ذلك على أهل الايمان فاختفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أسر بين دمشق أن يبيع أهل الايمان فجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يبيع فيه الطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرتسف الحميا ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيختارون ثم يقطعون ويربطا ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كل واحد على كل باب من أبوابها حتى عفلت النتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر بقتله ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا أغنياء نفرقبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون رب السموات والارض ان ندعو من دونك الها لقد قلنا اذا شططا ربنا كشف عن عبادك المؤمنين النتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في صلاتهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن يجيرهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما شأنكم من أمر الذي انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيت الكفر ونحن لا نعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم فنهض أعينهم من الدمع مصفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبدها في الارض وان تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم غيروا الا أن يذبحوا الآلهتهم كما يذبح غيرهم من الناس وأما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها هو رب السموات والارض عظمة ان ندعو من دونه الها أبدا وان نقرب هذا الذي تدعونا اليه أبدا وكنا نعبد ربنا الذي له الحمد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا الا أبدا انا نعبد وايانا نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا لما نسمع بنا ما بالك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له فلما قالوا له ذلك أسرهم فزعموا بوسا كان عليهم من تلبوس عنده ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما علمتم فاني سأؤخر كم ولن نفرق بينكم فاختبروا لكما بدا لكم من العقوبة وما ينبغي ان أعجل لكم ذلك لاني أراكم شبابا حدثاء سنكم فلا أحب ان أهلككم حتى أبعل لكم أجلا فارجعوا فيه قولكم ثم أمر بداية كانت معهم من ذهب وفضة فنثرت منهم ثم أمرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها فرأى بعض أموره فلما رأى الفتيان دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا فقدموا مدينتهم ان يذكرهم فأخرجوا ثم أخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فتنفقوا منها وبتروا دوابا يسيرة ثم انطلقوا الى الجبل فخرجوا من المدينة حتى دخلوا الكهف فجلسوا فيه يتحدثون ويسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فأمر ابن يديه فبنيت عليهم ما بناه فلما قال ذلك بعضهم لبعض بعد كل إنسان منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتنفقوا منها وانطلقوا الى مدينتهم من نفقتهم وأتوهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال ابن عباس هو والله من دقيانوس وكانوا سبعة نفر وراعي معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فتبع عليهم فتبعوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني فاني أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم * (رجعنا الى حديث ابن اسحق) * فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الذي معهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلهم وأجلهم فكان لا يخاصم ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين استطعموا فيها ثم يأخذ درهما فيتطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم اخبارهل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك مالبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فاص العظامه فنبحوا الطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم ان دقيانوس دخل المدينة وانهم

قولك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

رأيت رجلا عرض على الموت ورأى النطع والسيف فهو لا يطلب غير ذلك ولم يكترث للقتل ولا عدل عما أراد الا لامر جليل وقد كان خرج على المعتصم ولقيه وأبته وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الاكناف والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وأمر الناس بالدخول فدخل عليهم وحضر السياف وفرش النطع وكان عليه جميل الوجه تام الخلقة حسن الهيئة فرآه المعتصم فرحمه ولم يمكنه أن يتولى قتله فأحب المعتصم أن يستطلعه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر يا فتى فاذكره فقال له أما أنت يا أمير المؤمنين فالحمد لله الذي جعلك الذي ولم يجعلني الذي ولا شفع المسلمين وآثار بك أستار الحق وأحمد بك شهداء الباطل وان .. الذنوب يا أمير المؤمنين لتفترس الانسان الا أن تجده وتصطلمه الا أن تمحقه وتواتيه الا أن تقدر عليه وتواتيه لقد كبر الذنب عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا

فتذاكروا القصة مع علماء المدينة ليذهبوا للملوا فيما أخبرهم بذلك فرحوا وقصدوا مجتمعين يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم بالخوف ارفعوا رؤسكم فانا مهما منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فلما مهما منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتذاكرون ويذكر بعضهم بعضا فيما نالهم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد باب الكهف فلما به ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم وقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا الليلة كانوا يحسبون اني غضبان عليهم بتجاهرهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال علماء المدينة ما أنت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أماتهم فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى نابلوس فلما قالوا له ذلك غلى سيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فالقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية للامة تستدل بهدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا ولكن كلهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد باب الكهف ودثر شعثهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهم مالهم أحدهما تندوسيس والآخر رومانوس اشتهرا أن يكتبا أن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلا في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح فعملا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي وبات قومه وبات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانا نحن من الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب وتسوانا في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه تجبرا وأنهم كانوا أئمة في الحق فحلفوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلق عليه وليس مسحا وجعل يحثو على رأسه الرماد ذا بالليل ونهارا يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية من آياتك يا ذا الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية ويحتج عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي أعطاه وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فانطلق فجعل لا ينزعان ثلما الا جارة وبينيان بها ذلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفضا عليهم باب الكهف وبعثهم الله من الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا استيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في

يقلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر
وتعة
وسيف المنايا بين عينيه
يصلت
وما جزعي مسن ان أتى
الموت نحبي
لأعلم ان الموت شيء
مؤقت
ولكن خلقي صيقل قد
تركتهم
وأكبادهم من حسرة
تتفلت
كأني أراهم حين أنعى
اليهم
وقد أعملوا آباط الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا صالحين
بغبطة
أذود الردى عنهم وان
حتموا
(قال) فبكى المعتصم
حتى ابتلت لحيته وقال
ان من البيان لسحرا
ثم قال والله يا تيم لقد غلب
السيف الصفوق
وهتك الله وأسبتك
وعلوت عن ذلك ثم أمر
بقتله فقتله على
موضعه الذي كان خرج
عنه ووصله بشيء كثير
(وتكلم بعضهم)
قال فقدم الى معن بن
زائدة أسارى فعرضهم
على السيف فقام اليه
رجل منهم وقال أيها
الامير نحن أسرى الشوق نحن
بالله بجماع من أثر
الطريق فانا نرى أيتان
لبطعامك فلكل كبد سواء أجر فامر بإطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم

ثم اعرضوا عليهم رجلا آخر وقال أيها الأمير قد أسرك وقد صرنا في قبضتك فانظر ما بدا لك وسنتبعك

وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه فأما هم كذلك إذ نظروا إلى ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتملخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا منذ أمس منذ هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد ظنوا لهم أنهم قد ناموا كما طولما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا هم لحتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلخا أنتم في المدينة لتدعوا الله وأنتم أيقاظ أو تقتلوا قالوا إن شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا انطوناه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم كإذا عاكم فقد أثم قالوا بأيلخا نطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم ونلطف ولا تشعرن بك أحد واتبع لنا طعاما واتنا به وزد تأتي العالم الذي بمثنابه أمس فإنه كان ذليلا وقد أحسن عشرتنا فعل تلخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الإهاب التي كان يتكرف فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفاف الربع فانطلق تلخا متاجرا حتى ظاهر من باب الكهف رأى عجارة فزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستقبلا بيده من الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما رأى تلخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الإيمان فلما رآها عجب وجعل يقلبها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبواب المدينة فنظر فرأى مثل ذلك فعل يتقبل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا قبل ذلك فعل يعجب ويتقبل له أنه حيران ثم انه رجع إلى الباب الذي أتى منه فعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يختفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فإنها ظاهرة لعل عالم ثم يرى انه لم ينم فانتسد كمامه وجعل على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك فرقا ورأى انه حيران فقام مستظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على الأرض أحد يذكر عيسى إلا قل وأما الذي أقامه من كل إنسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أمرني أن آتي فيها فإني أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله لأعلم مدينة بقرب مدينتنا فخام كما حيران لا يتوسم بها أنه لقي فيمن أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال افسوس قال في نفسه لعل بي مسا أو أمر الذهب عقلي والله ليصدق لي أن أبادر بالخروج منها قبل أن يسمع بي أحد فيشهر بأمري فإذا هو قد أتاه أصحابه حتى بين لهم ما هم فيه ثم انطلق وقال والله لو علمت الخبر بي من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم اشترى الورق التي كانت معه عطاها وسلم ثم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فأخذ الرجل وقلب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتداولونها بينهم من رجل إلى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يأتون تاجرا ويتجر يقول بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد أصاب كنزا في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون رأى أنهم قد عرفوا أمره فجعل يظن أنهم قد ظفروا به وتخوفوا أنهم يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس فقال وجعل الناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو يريد الفرار بنفسه والله لقد أخذتم ورقي فاسكتوا عني فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا له ممن أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين فانت بربك أن تخفيه عنا فأطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخفف عليك ما وجدت قال إن لم تفعل فإني أخاف السلطان وسأل إليه فلما سمع قولهم تجهم في نفسه ثم قال لقد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله ما نحن بتاركيك أن تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سخفي عليك فتغير في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبر بهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وملؤوه عليه ثم جعلوا يشدونه في عنقه ليذهبوا به إلى سكان المدينة فكلما سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزا فجتمع على أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تلخا

يتمكين قالت من وزرائك فإن وزراء فرعون كانوا أخبر امنهم فنظر الخليج الى وزرائه فرأهم صمتوا فقال لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا

يعقل بيلهم والنعم عليهم
عفا الله تعالى عنه وعن
جميع المسلمين (وعرض)
على الجليج أمرى فامر
بقتلهم فقتل منهم جماعة
ثم قال لهن سلمنهم وقد
عرض على القتل
لا يزال الله بين السنة
خيرا يا جليج فانا وان كنا
قد رأينا الذي فوالله
ما أحسنت في العفو فان
الله تعالى يقول في كتابه
العزيز فاذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب
حتى إذا أثخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منا
بعد واما فداء فهذا امره له
في الكفار فكيف في
المسلمين وقال الشاعر
وما قتل الاسرى
ولكن تكفهم
اذا أثقل الاعناق حمل
الحلل
فقال الجليج يا هؤلاء
اما بقية مرادكم لو قال لي
ما قال هذا الرجل عملا
ما قتلت منهم أحدا
ولكن أطلقوا سبيلهم
(ولما) ولى الجليج
العراق قال العمل بالمرأة
الحر وربة فاما سخرته
قالت لها أنه بالاحص
في وقعتها التي
تحرمت بين المدينة على
قتل وهي التي سبأ أهوالي
فقالت لها أنتم قد كان
ذلك فالتفت الجليج الى
وزرائه وقال ما ترون
فيما طلبت الجل به لها
فضحكت المرأة فاختلط
الجليج وقال لها على من

ما يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وليتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه وأخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة من علمائها أهلها وانهم سيلونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران يتنازعني بأتيه بعض أهله فخاصمه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة وهما بريهما وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن هؤلاء انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل يلتفت حيث ثم ورفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ علي اليوم صبرا وألهمني رشدا من عندك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين أخوتي البتة بهم يعلمون ما التيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواثقنا ان لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أيدريا البتة شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا ثم حدث به علما أصحابه من نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم علماؤها انه لم يذهب به الى دقيانوس أنفة وسكن ما به فأخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليه وجعلا ينظران فيه ثم قال أحدهما أن الكنز الذي وجدت ما فيه فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي وقومي هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تلطفا قال فمن أبوك ومن يعرفك بهما فأبى أن يسميهما فلم يحيروا جوابا واحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر ما يقول فتحير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرثي لك وانك تفلت بباطل هذا المال أبدا ثم ضرب هذه الورق ونقشها اكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ومن شاء كان يرى وحوالك سراه هذه المدينة وولاة أمرها وخزان هذه البلدة بايدينا وليس عند أحد من هذا الضرب درهم ولا دينار لا يعرف عندنا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تلطف أيها الرجل من شيء أنا لكم عمه فان فعلتم صدقتكم كما عندي فقالوا له لا تكتمنا شيأ قال ما عهدي بالملك دقيانوس فالوا الذي نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وملك بعده قرون كثيرة قال له تلطف والله ما أحد من الناس أحدا بصدقني على ما أقول لقد كان فيوران الملك دقيانوس أكره أهلها على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهرب بفتيانه عشية أمس فبينما نحن جلوس نشتري لاهلنا طعاما وأنا أمس الاخبار واذا نحن كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس ما يقول تعجبا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا واسمعه يريهما أصحابه فانطلق معه أرموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان المتبوء أصحاب الكهف ظنوا ان قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتيهم فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتحوفون اذ سمعوا الاصوات وبلبلة الناس وجلبتهم عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا فأن أعناقنا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه وبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تلقاء فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله وعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما باس الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثرهم أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من علماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وذاسيوس وكفريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من

ابقية علي رأسه فانكب عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدي وواحدي قد تلقاه (٢٥٣) الاوحد قلبي وأرى شروقي بالعدو

ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم
بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم
آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة
وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا
وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس
ان عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ
أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من المسند الذي كان عليه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض
تطولت علي ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي والعبد الصالح قسطيطيوس الملك فلما نبأ أهل
المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك خر معهم على وجهه وخروا سجدا
لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله
ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك
من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل
ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب
ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر
الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل
عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة فقيل
انهم الآن أرباب الكهف [illegible]
عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه [illegible] علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذا نبأ أصحاب الكهف وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار
أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم
قال ابسط كساءك وأجلس على طرف منه أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي
عليه الصلاة والسلام ما أمر به فحملتهم الريح حتى انتهت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا
منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه ان
ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا
وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم آمنوا بجمعهم [illegible]
به محمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا
مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى
له ثم انهم لا يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة فجلس كل واحد منهم على كسائه وحملتهم الريح الى
فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال
كيف وجدتموهم وما الذي أجابوا فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم
وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه
رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبائي
واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفتي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زاذانه

ثم ان [illegible] العقوبة فقال الآخرون هذا [illegible] بالامر [illegible] عن ولده [illegible] الذي [illegible] (وعن عبد الله بن عباس [illegible]) [illegible] مخزوم وكان [illegible] ابن الزبير [illegible] قال فرد الله [illegible] بأمير المؤمنين [illegible] الله أطلقوه وأمر له [illegible] (قيل) كان [illegible] كانوا [illegible] قبل ذلك [illegible] الشاعر [illegible]

الى أم قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال يا والدي بأي وجه تلقاني قال بالوجه الذي ألقى به ربي فانا [illegible]

وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه ليجعل له حدا من تلك الحدود يقيم فيها وقد بورئ بمجلس له وأمر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما صنع فظع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه وجاهده له فعمد الى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شيئا وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان الذي بالذي هو الذي علمك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك وحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشيء كن فيكون وانك انما عبدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك أن سأله عن ماله وأمر به من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك ويلك الذي تزعم كما تقول لرؤى أثره علينا كما ترى أتراه علي من حولي ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتعديد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افلون الاصم الابكم الذي لا يغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل ما لو فليا دما مال بولا يتسلف فانه عظيم قوملك بما مال الناس من ولاية الله تعالى فان الباس كان في يده أمر آدميا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبته له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل بخلبس وما مال بولا يتسلف فانه عظيم قوملك بالمسيح بن مريم وما مال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح العالية التي اختارها الله بكلمته وفضلها على اماثه وما مالت بولاية الله بارئ الروح وما مالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله صح عظيم ملكها حتى افتحت علم الملائكة في يوم فانتشت لحمها ودمها وانت في دمها وقلمت اضباع أوصالها فقال له الملك انك لتعد ثنا بشيء ليس لنا به علم فانا نعبد الرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فاني أنكر أن يكون هذا من أمر الشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل القرية بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يراك الا أن تعمل بعملهما فانزل منازلهما فقال له الملك أما لحق فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك تفرق بامور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك نحى جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والا فانا خسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فشرع جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه وتضع عليه في خلال ذلك بالخلي والخردل فغشي الله من ذلك الالم والهلال فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا تضرم بها رأسه حتى سال دماغه فغشي من الالم والهلال فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد جوفه فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس اما تجد ألم هذا العذاب الذي نعذبك به فقال ان ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب عني وهو معي لا يسمح علينا فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يقاتله في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن تبتله عن كلام الناس فامر به فقطع على وجهه ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على ثلاثة الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فقال يوما ذلك ونداعت الحجر فلما أدركه الليل أوحى الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما بدء الله تعالى به الملائكة وأول ما جاءه الوحي فقطع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأعاده وسقاه وبشره

www.alkottob.com

بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له اصدق يعدوك فجاهد في الله حتى يجوده فان الله يقول لك اصبر وابشر فاني قد بليت بعدوي هذا سبع سنين يعذبني ويقتلني مرتين أو أربع مرات وفي كل ذلك أرد اليه روحه فاذا كان في الله في الرابعة نقلت روحك أو فينا لك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جريج من على رؤوسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جريج ليس من أخرجك من السجن الذي سلمانه فوق سلمانك فلما قال له ذلك مد يده ودعا بالسيف العذاب حتى لم يغل منها شيأ فلما رآها جريج أوجس في نفسه خيفة وتوهم أنقبل على نفسه بها تيها على موته وهم يصعدون فلما فرغ من عذابه قال لهم الملك ما دونه بين خشبتين فدونكم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشر ومشى ستة من بين يديه وسار جريج حتى ثم صعد الى أبراجه فقطعوها فطفا وعوا له سبعة أسود ضارية كانت له في حبس وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بها فلما هوى نحوها أمرها الله عز وجل فقبضت برؤسها واعناقها وقامت على براثنها بين يديه فقال يومئذ ميتا وكانت أول موتاتهما فلما أدركه الليل جمع الله تعالى جسده الذي صلبوه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم دب الله اليه روحه وأرسل الله ملكا فاخرجه من قعر الجب فاتاه وهو يشره بالنصر فلما أصبحوا قال الملك ما جريج ليس قال ليبك قال له اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجني من قعر الجب أخرج فاخلق بعدوك وبلغه في الله حتى يجاهد موت الصابرين ولم يشعروا الا وأصحابه الآخرون الاوقد أقبل جريج وهم عكوف على عبدانهم قد صنعوه فرحا بعون جريج فلما نظروا الى جريج وهو مقبل قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجريج فقالوا انه هو فقال الملك ليس هو ولكن الآخرون الى سكون وبعدوا له هيبة فقال جريج بل هو أنا لبس أنا القوم انتم قتلتم وعذبتم فاحبا في الله تعالى بقدرته فعادوا الى الرب العظيم الذي أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا سحر أعينكم فبعدوا له من كان بلاد الملك من السحرة فجاءوا بسحرة قال الملك لكبيرهم اعرض علي من كبير سحرك ما يسرعني فقال له على شور من البقر فاذا أتيته فنفخ في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا بفدان فوثب الثوران بالزرع وجعلا يحرثان بالفدان وذوي وطعن وجعل يعبر كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تعيد لي جريجا كما بدأته فقال الساحر أي دابة تطلب أسرعه قال كالبا فقال الساحر اوجع على بنفسه من ماء فاني آتي بالتسبيح نفسه فقال الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشرب جريج حتى انه على آخر قدح فلما فرغ منه قال له الساحر هذا تجد قال ما أجد شيأ كنت قد عاشت فحلش الله لي بهذا الشراب وقد أتاني به صاحبكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك انك لو كنت تقاتل بجيوشك وجملك لكنت تقاتل بها الى يوم السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة منكم من أهل الشام قد صحبت جريجا وما يمنع من الاجابة ما تشتهيه وفي آخر ما بينه من البلاغة قال له يا جريج ليس انا من أتيت بك ولكن الذي أتى بك هو الذي أخرجك من قعر الجب وانه لقادر ان يحيي لي ثوري ذا حتى أعجب من ذلك فقال جريج ما شاء الله لا قوة الا بالله ثم ان أعطاهما ساوقال لهما اذهبي الى ثوريكما فاحرثا عليهما بذلك الفدان وقولا لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جريج ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومن قتلهما السباع وبيني وبينهما أيام فقال لها ولم تعدي منهما الا نيابا سيارا وقرعته بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت اليهما حتى أتت مصر فوجدتهما وكان أول شيء رأى الهاشم ثوريها فذهب أحدهما وشمر أذنى الآخر فجعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها جريج باذن الله تعالى وعلمت علمه حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعلمهم عند الملك انكم قد رأيتم أمر هذا الرجل على السحر والكهانة فلم يصل اليه عدائكم وقتلكموه فلم تنهل رأيتم ساحرا يدر أعن نفسه الموت أو أحد يحاط فقال له الملك ان كان الامر لكما قال رجل فسبحانه فاعلم استوى اليه فقال آمنت بالله واشهد أني بريء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جريجا ليس أربعة آلاف آمنوا فعند اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجريجا ليس هلا دعوت ربك فاحيا لك أصحابك هؤلاء

ندخل وانظر فاذا أصبحا كما فقال الهي ما هذا فقال هذا صنعي باصحابي في دار الفناء انظر يا موسى الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة

كل سنة ما دام قد صبرنا
عاسرا (وانشد في المعنى)
اذا كنت في أمر أكون
فيه مصيبنا
فقد قيل أنت ماجر
وتاركه
فكم دست الايام أرباب
دولة
وقد ملكوا أضعاف
ما أنت ملكه
(ورويت من موسى بن
عمران سلوات الله عليه)
انه خرج يوما فسمع الثور
واذا هو برجل واقف
على الطريق فقال له
أين يا عبد الله قال الى
الحياة قال الى الحياة
جالسة قال فما هي قال
قال له يكرمني وانه سيبة
من تحبسه يلقاه وقد
موسى عليه السلام
لعمري ما هذا من الرسالة
من جلاوة الملك بل ذاك
ربه يا موسى نسبني
ما عندي فاعلم
أن أعلم بالسبل
قال نعم ولكن الرسالة
منها أن تؤدي وتعلم
بذا الرسالة
وأنا الأمين
بما مضى
جميع ما أراد ربهم
موسى لم يعد فيه كان
نقال الهي وددت
أني شهدت معه
الملك فقال يا موسى
هرب منك قال لم قال من
أمرك الا يلتفت الى غيرنا
فان أردت ان تراه يا موسى
فادخل هذه الغيضة قال

من امتحنه الله ثلاث مرات فقال يا موسى هذه وأناله (وقيل في هذا المعنى شعرا) طال اشتياقي ولم أر قط لكم موضعا

الذين قتلوا اصبر ربك فقال له جرجيس ما خلى بيني وبينهم حتى جاءت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له خليان سلطاني انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك أمرا ان فعله ومعلوم لك كنا من قوم وانا أريك عشر كراسي وهذه مائدة بين أيدينا عليها أقداح وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والأواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء يعرف كل عود منها بلونه ونوره وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا علي وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والأواني كلها وساخت عروقها وتلبست اللحم ونبتت وأورقت وأزهرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم خليان الذي تمنى عليه ما تمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يضل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاه نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله عز وجل عاصفا فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والأرض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الأرض ففزع من روعها أهل الشام فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والأرض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طرقليا لا ندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الأعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه المقابر ورفات فيها أموات منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الأعاجيب الا لتكون حجة عليكم فتستوجبوا غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما قد قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون اليه من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب قالت لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فما مرت تلك الدعامة أن نبتت لها كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما نبت اللوبياء والباذروج وهو مثل البردي يكون بالشام وظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله من فوقه فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني قال لها أدنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال اني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فأحرقت في النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته

بقي اصطباري والأحشاء تقطع
يشتاقكم والجسم لا فراقه
دون القلب للأحباب منقطع
كي البادية مع هامل هطال
أسباب
وما رجعوا

(وقال ابراهيم بن أدهم نفعنا الله به) نزلت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لي القيم قم واخرج حتى أغلق الباب فقلت اني غريب أبيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر وقد حلفت أن لا يبيت فيه أحد ولو كان ابراهيم بن أدهم فقلت أنا ابراهيم ابن أدهم فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب ثم قال اخرج وجعل يجرني من رجلي على وجهي حتى رماني خارج المسجد بازاء حمام فرأيت شابا حسن الوجه يوقد النار في تنور ذلك الحمام فسلمت عليه فلم يرد علي السلام حتى فرغ وقال يا هذا اني أجير وخفت ان اشتغلت بالسلام عليك أن أكون خائنا فيما علي قلت بكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق أتقوت بالدانق وأنفق الدرهم على أولاد أخ لي في الله مات وتركهم فقلت له هل سألت الله في حاجة قط قال نعم منذ عشرين سنة وما قضيت قلت له وما هي قال لعلها ان قضيت

عن الزاهد بن وفاق على العابدين يقال له ابراهيم بن أدهم فتمنيت على الله رؤيته فرأيت فقلت له ابشر يا أخي فقد قضيت حاجتك وما رضي لي بأن أنيلك الا سعيا على رجلي فوثب من مكانه وعانقني وسمعته يقول قضيت حاجتي فانبضني فوقع ميتا (شعر)

أبدي شواهده في قلب شاهده ... وأن شاهده فيما يعاينه

الحمد لله لا بين ولا صلة ... هذا البيان لمعنى من يعاينه

(وقال علماء السلف رضي الله عنهم) بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزاة وكنا أربعة آلاف فحاصرنا قلعة على جبل لا نصل أسلحتنا اليه وفيها مجوس وأميرهم امرأة حسناء قال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم فرأت شابا ملثما من العرب وكان جلدا فارسا شجاعا يضرب بالسيف ويطعن بالرمح فقالت يا مباه فقالت لها جاريتها أما بالك قالت ان سمعنا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك قالت ستر بن بعد ستر ثم أرسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط أن تسلمي الى الظاهر الباطن والباطن لله قالت أما الظاهر فاعترفه وأما الباطن فما هو قال قلبك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فأرسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت اني امرأة كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذري فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبر والملك بخبر الصوت الذي سمعوه والريح الذي جمعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسعد لافاون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم اني أفعل ما بدا لك فقال له نعم مهما شئت فعلت فاد شلني على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم علي أن تنزل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب وبري الناس كرامتك علي فأنزله في بيته فنزل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما ان أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعن العجوز بذلك خرجت تتمول اينها على عاتقها فوضع جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظر واذا العجوز واينها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فتعلق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم من عاتق أمه حتى على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع على هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف ادعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك بالذي خلقك الا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركضت الارض برجله فخسفت بهم وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هار بافرقا من الخسف فلما مر جرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيم الروح النجس وانطلق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خسرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت هلاكه على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما تلتذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أمر جبريل بأن يقبض قبضة من طين الارض فقبضها فعجنها بالماء العذب والماء الفرات والماء الملح والماء المر ثم صورها على هيئة الانسان ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا على سبيله جرجيس فدخل ابليس من جوف صنم منها وهار بافرقا من الخسف فلما مر جرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيم الروح النجس وانطلق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خسرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت هلاكه على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما تلتذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أمر جبريل بأن يقبض قبضة من طين الارض فقبضها فعجنها بالماء العذب والماء الفرات والماء الملح والماء المر ثم صورها على هيئة الانسان ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا على سبيله جرجيس فدخل ابليس من جوف صنم ولا يدخل بعدها فيها ذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت عني فكيف تقتلك وذلك يا أيها الملك لم تمنع نفسها مني وانما هي خلق ضعيف لا أملك الا ما تملكني وفي فقال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكانتهم وكشفت لهم عن اعلام وعددت لهم افعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنظرون من هذا الرجل الا دعوه فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضللت هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر مني بشيء فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك ليكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بهم الملك عند ذلك فعلقت على خشبة جرجيس التي كان معلق عليها وجعلت على الاشراط التي جعلت على جرجيس فلما أتاها قالت ادع ربك يا جرجيس يخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من سلى الجنة يتفاخران به خروج روحي فلما خرجت وجاز بها بذلك التاج صعد بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر بلائي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطوات نقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم واسألك أن لا يدعو بعدي داع في بلاء وكرب فيذكرني ويتشدك باسمي الا فرجت عنه

ورحمته وأجبت وشفعتني فيه فاما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فاما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف فلم تؤثر فيه فاما رأى ذلك منهم أطبق عليهم بالقتلة الرابعة فاحترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فقال الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بحبرحبس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة حبرحبس في أيام ملوك العاوائث والله أعلم *(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)*

قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمر والعراقي باسناده عن ابن أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله اليضي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالخفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه تعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فاهدوهم في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا أتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعملوا حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثق يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذب يديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أحب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يقدر عنه شيأ فارسلوا اليها بحمامة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمته واذا هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت احب به قوتك ما رأيت مثلك فما فهل في الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أتاني بخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أبي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شئ أبدا ولا يعيبني الا شعري فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقته ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فدعوا أنه وأذنبوه فقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فاسرا ان يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فجذبهما جميعا فخر بهما فانهارت المدينة بمن فيها فاكوا فيها هلكوا وهلكت أيضا امرأته معهم وورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك العاوائث والله أعلم

(باب في قصة أصحاب الاخدود)

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامري يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يتعود بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يختلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتي المعلم فضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرآها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب

www.alkottob.com

آخر يقتل باب البلد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يا موسى ان وليا من أولياني قد حضره الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وفل لمن كان معك أن يصلي عليه فنادى موسى في بني اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه

أنت قتلته قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيل له الحق بهذا مع فانه يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيل له الحق بهذا مع فانه يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيل له الحق بهذا مع فانه

وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال أن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهم ما رب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد علي بصري فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد

ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فغضل له الملك أنعجب من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا أشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال ذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا وجاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به فاحملوه في قرقور وسطي البحر فان رجع عن دينه والا فالقوه في البحر فغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك لاقتلنك بالسيف فقال السيف عندي لا يضرني فدفعه الى الناس وقال لهم انه يريد أن يفسد عليكم دينكم فاصنعوا به ما شئتم فذهبوا به ليصعدوا به الجبل ليطرحوه منه فصعدوا به الجبل ليطرحوه منه فصعدوا به الجبل ليطرحوه منه

وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وتصلبني على جذع وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام

الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأعلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدودا وملأها نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقى في النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعي عن دينك فابت فألقي في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فان على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار وأمه على أثره وقد روي هذا الخبر باذكر نامر فوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن ذكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كما عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مد يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر رضي الله عنه ان وجدتموه وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس فاما الذي بالشام فانطاباخوس الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندار وانصرفوا جاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب ولا من مشركي العرب قال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من

وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذي أخبرتناه فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه الغربة نظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسرة فرفع بصره الي وقال الهي وسيدي ومولاي عبدك من عبيدك غريب في بلادك ذليل عليك ان عذابي يزيدني في ملكك لم أسألك المغفرة وليس لوجهك الا أنت وقد سمعت في ما أنزلت تقول اني أنا الغفور الرحيم أفكان يعسر أن أردك يا موسى وقد توسل بي وتشفع الي وعزتي وجلالي لو سألني في المذنبين من أهل الارض لوهبتهم له وأنا الغفور الرحيم (وروي) انه كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة وينادي في المدينة كل من تصدق بشيء قطعت يده وكان في المدينة امرأة صالحة تزوجها ومعها ولدان فكانت تغزل وتشتري كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة

فراص لها ولولديها فبينما هي على تلك الحالة اذ سمعت سائلا يسأل فاعطته قرصها صدقة وقالت له لا تأكل عندنا أحد فخرجوا عليه من الملك فاخذه فمضى فلما كان في بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال اعطتنيه امرأة فقبضوا

ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه أن تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس يا جعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاء نا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا فقالت خذ فيهم السيف فان أبوا أن يقروا فاقتل فقد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك منهم ومن أبى فاقذفه في النار فقد الاخدود وأوقد فيها النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذونواس بن شرحبيل بن تبع ابن بشرح الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فحيرهم ذونواس بين النار أو اليهودية فابوا عليه فاحرق منهم اثني عشر ألفا وقال مقاتل احرق في النار ومئة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا وتبعها ذونواس فسلط الله عليهم اريا طا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذونواس
وقد ما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
فقد تم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبرين قاسي
فامسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

(باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل وهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى في النار الا رجلا من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له فركض حتى أجازهم في الرمل فاتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكني أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على دينك فانصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له اريا ط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الى ثلث سبيا بها فلما دخلها وشمهم القتال فنفروا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلك جميعا فكان آخر العهد به ودخلها الرياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

دعيني لا أبالك لم تعنيني * حذاك الله قد أترفت ريقي
اذا نسقى من الخمر الرحيق * وشرب الخمر ليس على علوا
اذا لم يسكني فيها رفيقي * وان الموت لا يبهاه ناه
ولو شرب الشفاء من النشوق * ولا مستوهب في أسطوان
يناطح جلده بيض الاثوق * وتحدان الذي نبتت عنه
بنوه ممكا في رأس نيق
لتهمع أسفله حروث * وجرا الوجل اللق الزلبق
مصابيح السليط يطن فيه
اذا عيسى كرمضان البروق * فاصبح بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق
ونخلتها التي عسرت اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق

فلما بلغ ذلك أبرهة الاشرم كتب الى النجاشي يسأله أن يبعث له رجلا يبعثه الى قومه فيخبره بما كان من المرأة قاصر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى ان اقطرت فلما برأت خرجت الى البحر فركبت واسلم

www.alkottob.com

وأسلم ذو نواس مستبيا * وحشر قومه فمنك المضيق

قال فاقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن ابث بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح سل اخيله في أمر الحبشة حتى اتصل به واصد عين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليها الجند فارسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنا رمح ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا مارد افلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردت أن يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي وبعثته اليك لتطأ عليه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه بان ابث بين معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقذر فيها ثم لطخ بها قبلتها وتنحى فغضب لذلك أبرهة وقال انه انما فعل هذا ليدخل الكعبة فبلغ ذلك أبرهة فحلف ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فلما بلغ سائر الناس ان أبرهة يريد هدم الكعبة عظم ذلك عليهم وقالوا هذا والله الامر العظيم ان يغزو بيت الله الذي بمكة فخرج رجل من أهل ذلك البيت الذي يقال له ذو نفر بن ملوك حمير يقال له ذو نفر بن أشاهم ومن معه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نفر فاتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقائك لي خير لك من قتلي فاستجياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار بني سليم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وهذا أنا أدلي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود ابن معتب الثقفي في رجال من ثقيف وقالوا له أيها الملك انما نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعنون به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمته ليجمع اليه أموال الاوباش لعبد المطلب بن عبد مناف رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث سفاطة لميري الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفهم أبا فانى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فان لم تعرض دونه حتى يهدم فلا حاجة لي بدمائهم فان هو لم يرد القتال فأتني به فلما دخل سفاطة مكة دل على عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتالكم الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ينخلي بيننا وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان عنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق حتى أتى الملك فزعم بعض العلماء انه أردف على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نصر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء بما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن ان يقتل بكرة أو عشية ولكني سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع للشيخ عند الملك ما استطاع اليمن الخير

واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت سرو بنته وكانت بنت عم ابيها ابن عمي أما وأنت تصبر على الجوع فكيف الحيلة في هؤلاء الاطفال فقال لها ما ترين من شغلا أفضل قالت نعم اعمد الى سوق النخالين فلو عملت بنصف درهم كان فيه ما يكفي الاطفال فقال سمعا وكرامة قال فاخذ فاسا

أبواب السماء ومنعه من قبول الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجلسل جبريل فنزل اليها وقال لها يا أمة الله أمرني رب العالمين ان أوديك وزوجك وولديك ببركة الصفة ثم أنفذ بهم وزوجها وأصحابها يقولون لمن يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى وبرد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والنمر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي نصدقه من أجله رد علي يدي ورجلي وأولادي فقام على قدميه وقال آمنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمرأة في يوم واحد ووضعا في قبر من الجنة وارتفعت بهما الى السماء حتى غيبت عن الابصار نفعنا الله بهما وبركاتهما في الدنيا والآخرة آمين (رقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومي وكان له زوجة وأولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فقام الفتى وعياله ثلاثة أيام لم يعرفوا الطعام

فقال لها ما ترين من شغلا أفضل قالت نعم اعمد الى سوق النخالين فلو عملت بنصف درهم كان فيه ما يكفي الاطفال فقال سمعا وكرامة قال فاخذ فاسا

www.alkottob.com

ويعلم منزلا وحفلا عنده فقال فارحل الى أويس فانه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعلى ويعلم الناس من السهل والجبل والوحش والعير فرؤس الجبال فدأصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عند فانفعه فانه صديق لي وانى أحسبه يصل اليوم من الخير ثم ان أنيدا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءك فانزله بالملك حيث يأولا فصالحه فانك تستأذن عليه الملك يستأذن عليك انما أنت له فكلمه فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه مجلس بين يديه فأعظمه وأجله فعرفه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك وانصرفت زين الآن فقال له ولم قال حين جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لا هدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعني فقال له أنت ودلك ثم أمر له بابله فردت عليه فقال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ان عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدي كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة ونحو بلدين وآلة الهدلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما وردت الابل على عبد المطلب وجمع قاتهم بقرى تنا الظهران وأمرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تحوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا فراكا

(وقال أيضا)

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلـ * ـيب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصحابه هو وأبرهة بالحبش وتدنى بألا يدخول مكة وهي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال السكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال العوفي كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) واذا وجهوا هذا التأويل لوقان رؤس الاثنين يقال انسبهم الفيل الاعظم قالوا فاقبل بفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ارتل نجود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فمسحوه فابى ان يقوم يضربون بالعمول في رأسه فابى فادخلوا حديدا بين مراقه وموراقه وبطنه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان الله تعالى أرسل عليهم وهم في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار بحران في رجليه وحجر في منقاره أمثال العدس والعدس فلما شبخ القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو اليزيد انشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتهم إقوة فما وقع منها حجر على رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول

ويقال ان الفيل لما وجه الى مكة برك ولم يقدر على ان يسير الى مكة بحيلة ويقال ان عبد المطلب لما رجع من عند أبرهة أتى الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا فراكا

(وقال أيضا)

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلـ * ـيب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصحابه هو وأبرهة بالحبش وتدنى بألا يدخول مكة وهي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال السكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال العوفي كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) واذا وجهوا هذا التأويل لوقان رؤس الاثنين يقال انسبهم الفيل الاعظم قالوا فاقبل بفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ارتل نجود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فمسحوه فابى ان يقوم يضربون بالعمول في رأسه فابى فادخلوا حديدا بين مراقه وموراقه وبطنه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان الله تعالى أرسل عليهم وهم في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار بحران في رجليه وحجر في منقاره أمثال العدس والعدس فلما شبخ القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو اليزيد انشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتهم إقوة فما وقع منها حجر على رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول

(١) قوله واذا وجهوا هذا التأويل لوقان رؤس الاثنين يقال انسبهم الفيل الاعظم الخ المراد أن الافراد في الآية على هذا القول لوقان رؤس الاثنين (قوله أي سنك كل) أعلاه فارسي معرب بسجيل اى

To: www.al-mostafa.com

www.alkottob.com